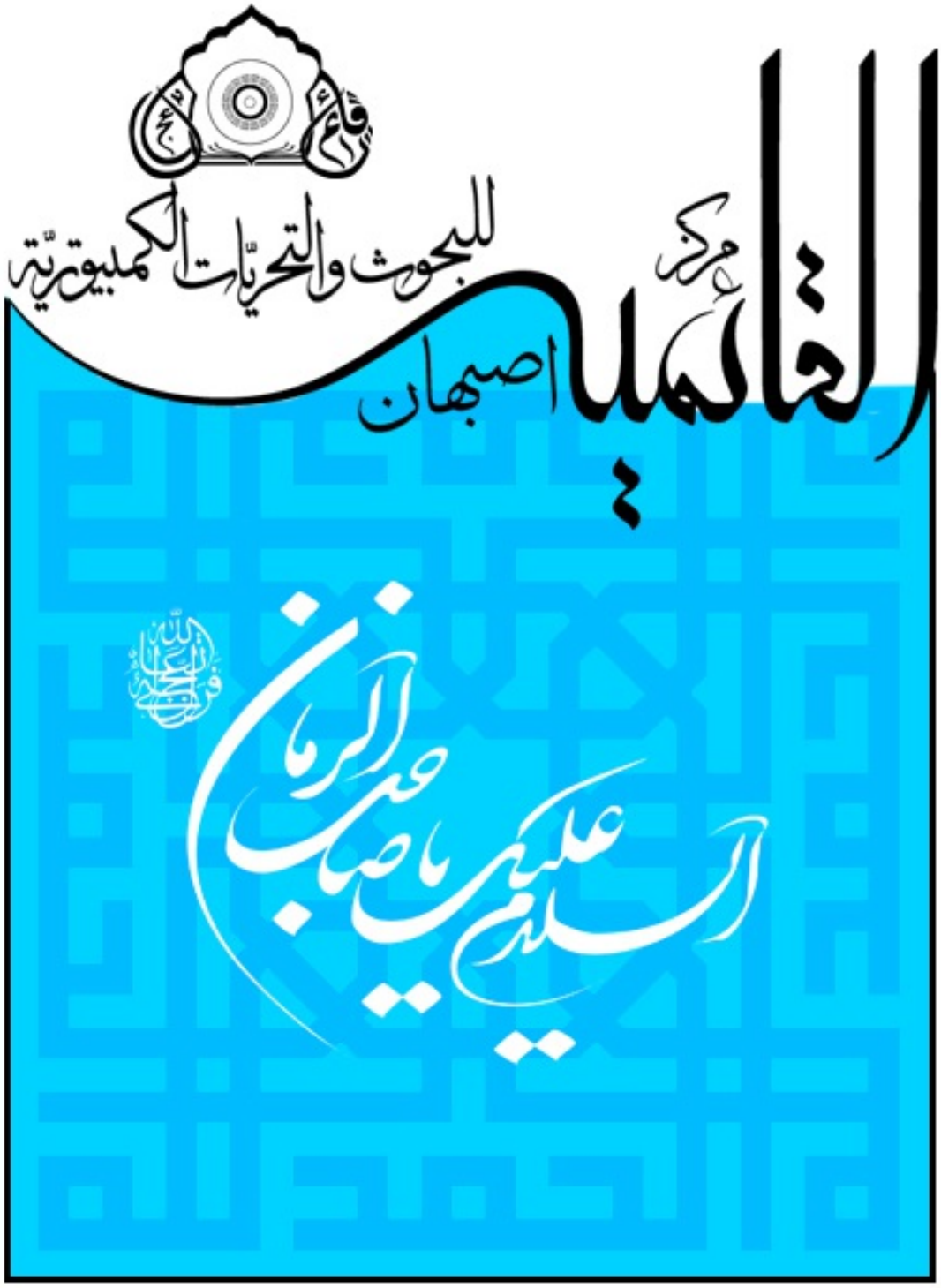

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

كتاب
الجواهر الثمينة
في محاسن المدينة

تأليف

محمد كبريت الحسيني المدني
المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ

تحقيق

محمد عبد محمد عبد اسماعيل الشافعي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية

كاتب:

محمد كبريت الحسينى المدنى

نشرت فى الطباعة:

دارالكتب العلميه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الجواهر الثمینة فی محاسن المدنیة ----- ۶
اشارة ----- ۶
ترجمة المصنف ----- ۶
وصف المخطوط للمحقق ----- ۷
[نموذج من صور المخطوط] ----- ۷
[مقدمة مولف] ----- ۸
[المقالة] الأولی ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
- إسعاد و إمداد- ----- ۱۸
باب فیما یتعلق بالحجرة المعطرة ----- ۲۶
ذکر نسب سیدنا و مولانا رسول اللّه صلی اللّه تعالی علیه و سلم ----- ۴۶
باب فی ذکر المصلی و النقا و العقیق المؤذن بطیب اللقا ----- ۵۸
باب فی ذکر سلع و مساجد الفتح و ما اشتمل علیه ذلک السفح ----- ۶۶
باب فی ذکر قباء و محاسن هاتیک الربا ----- ۶۹
باب [فی ذکر العالیة، و ریاضها الفائق نشرها علی العبیر و الغالیة] ----- ۸۳
باب فی ذکر أحد و مساجده و مشهده الشریف و معاهده ----- ۹۸
باب من ذکر الصدقة و السوافل و آبار العریض الکثیر النوافل ----- ۱۰۰
باب فی ذکر بقیع الفرقد و معاهده، و مزاراته و مشاهده ----- ۱۰۲
الفهرس ----- ۱۳۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۳۷

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية

اشارة

نام كتاب: الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية

نويسنده: حسينى مدنى، محمد كبريت

تاريخ وفات مؤلف: ۱۰۷۰ ه. ق

محقق / مصحح: شافعى، محمدحسن اسماعيل

موضوع: جغرافياى شهرها

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ناشر: دار الكتب العلمية

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۱۴۱۷ ه. ق

=====

تأليف: محمد كبريت الحسينى المدنى ترجمة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل

الناشر: دار الكتب العلمية النوع: ورقى غلاف فنى،

حجم: ۲۴×۱۷،

عدد الصفحات: ۲۴۸ صفحة

الطبعة: ۱

مجلدات: ۱

اللغة: عربى

ترجمة المصنف

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هو محمد بن عبد اللّه بن محمد مولده و وفاته بالمدينة.

هو من أحفاد شرف الدين بن يحيى الحمزى الحسينى المولوى المشهور بمحمد كبريت.

أديب قام برحلة إلى الروم [تركيا] سنة ۱۰۳۹ ه، ألف فيها: رحلة الشتاء و الصيف (ط) و زار دمشق و القاهرة و من كتبه:

- الجواهر الثمينة فى محاسن المدينة. و هو كتابنا هذا.

- [حاطب ليل] كبير جدّا.

- نصر من اللّه و فتح قريب ط. فيه تراجم بعض فضلاء المدينة.

- و الزنبيل اختصر به الكشكول للعاملى.

- و العقود الفاخرة فى أخبار الدنيا و الآخرة.

- بسط المقال فى القيل و القال.

توفى رحمه اللّه سنة ۱۰۷۰ ه.

انظر/ ترجمته فى:

خلاصة الأثر (۴/ ۲۸)

إيضاح المكنون (۱/ ۱۸۲)

الأعلام للزركلى (۱۶/ ۲۴۰)

كتبه السيد/ محمد على بيضون صاحب دار الكتب العلمية.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۴

وصف المخطوط للمحقق

بفضل اللّه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوّا أحد عثرنا لهذا الكتاب الجليل على مخطوطتين إحداهما فى دار الكتب المصرية و الثانية فى معهد المخطوطات و ثم ضبط نص الكتاب منهما:

وصف النسخة المرموز لها ب «أ»:

و هى نسخة المعهد المصورة من رضا رمبور و رقمها (۳۶۱۹) و رقم الفيلم ۳۰۳۳ عدد أوراقها [۱۱۳] خطها واضح.

وصف النسخة المرموز لها ب «ب»:

و هى نسخة خطها واضح و مقروء رقمها ۷۳۷۰

و لا يسعنى فى النهاية إلا أن أقدم الشكر لمشايخى:

الشيخ: جاد الرب رمضان. رحمه اللّه-، الشيخ الحسين الشيخ و الشيخ محمد أنيس عبادة رحمه اللّه، و الدكتور كمال عبد العظيم العنانى. و الشكر للسيد محمد على بيضون صاحب دار الكتب العلمية بيروت حفظه اللّه.

طالب العلم/ محمد حسن محمد حسن أ، محمد فارس

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۵

[نموذج من صور المخطوط]

صورة غلاف النسخة «ب»

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۶

صورة الصفحة الأولى من النسخة «ب»

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۷

صورة الصفحة الثانية من النسخة «ب»

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۸

صورة من النسخة «ب»

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۹

صورة من النسخة «ب»

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۰

صورة من النسخة «ب»

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۱

[مقدمة مولف]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [آل عمران: ۱۵۷] الحمد للّه الذى حبب إلينا المدينة، و جعلها من أفضل البقاع الأمينة فنحن من جوار هذا النبى الأمين. من حصن جمع بين شرقى المكان و المكين. أحمده على أن خصنا بملازمة بابه، و الوقوف على أعتابه حمد من عرف أن الكل من عنده. وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [الإسراء: ۴۴] و إنى إذا لم أجتمع [بجناية] أمر على أبوابه فأسلم و أشكره على نعمة الجوار. و جار الدار أحق بدار الجار. و الجار محسوب على جيرانه جار الكريم مسامح من ذنبه و أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له و أشهد أن سيدنا و سندنا محمدا عبده و رسوله و حبيبه [و خليله] المبعوث بأشرف الأديان و أكمل الملل النبىّ المرسل. الكريم [المفضل] المنادى من الأزل يا محمد. قد [اصطفيناك] من الكتاب الأول فما

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۲

أعظم قدرك عندنا و أفضل. آدم من دونه تحت لوائك يوم الأرض تبدل، لك الشفاعة و اللوى و الحوض و كل من الأنبياء [يستغيث] لنفسه و يسأل فما أسعد من توسل به و نادى الشفاعة أيا من من الشفاعة المعول و الشفاعة يا من يستغيث به [المكروب إذا ضاقت به الحيل] الشفاعة يا من قال له جبريل عليه السّلام [ها أنت و ربك] فدنا و تدلى و الصلاة و السلام على من أبرز من [خدر الغيب شموس] معانى عباراته الزاخرة، و اطلع من أفق المثانى أقمار [لطائف إشاراته] الفاخرة. اللهم انا نستوهبك [طيب] صلواتك و طيب تسليماتك بهذا السيد الذى زينت سماء معجزاته بكواكب خطابك الناقب و نشرت مناشير بنيانه من آفاق المشارق و المغارب و لمؤازريه الذين [نثروا] شمل أعدائه، و نظموا قواعده، صلاة تكون لنا صلة و بأجمل العوائد عائدة.

اللهم صلى و سلم عليه و على إخوانه من الأنبياء و المرسلين و آله [و أصحابه] و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين [آمين] .

أما بعد:

فلما كانت المدينة الشريفة مسقط رأسى و رياضها الوريقة منبت غراسى بلاد بها ينطق على [تماه] . و أول أرض مس جلدى ترابها فلا برحت تزهو على الأفق بابها [و لا يهمى فى ...] الرياض سحابها. و كيف لا فهى مهابط الوحى و منازل النبوة و مساقط الكرم و مغارس الفتوة و منارة النفوس و الجواهر و الرياض [الحسناء] بل الروضة الغناء [بادرتها] المواطن:

بلدة ما رأيتها قط إلاقلت هذى أرضى و مسقط رأسى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۳ لست أشكر [بها] من العيش إلاأننى لا أزال فى جلاسى

[يدنو لى] مع السماحة و ماو هو متهم يزيد من إيناسى

[فتهادى] فى حرزطة مقيمو مسائى ما بين ورد و آسى

يا خليلى من دون كل خليلو أنيسى من دون أهلى و ناسى

بلغ المصطفى بها من سلامو ثناء معطر الأنفاس

فهو سؤلى من الأنام جميعاطوق جيدى أمنيتى تاج راسى

لا [تخيل] الأيام صدق ولائىو اعتقادى من طيب أصل غراسى

فعلى كل من يحل بناديهو جمع الرقاق و الجلاس

من آله الأنام ألف و ألفمن سلام تام بغير قياس

و لقد جاء [فى] الأثر عن سيد البشر «حب الوطن من الايمان» :

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۴ و من المحبة نشر المحاسنو التشبيب بذكر الأماكن

أعد ذكر من حل الغضايا معدنىو أنا [ضربوا] بالأضالع و الصدر

لا تنس سكان العقيق و إن هم‌على و جنتى أجدره فى مدة [الهجر]

خطر ببالى. و لاح فى خيالى. أن أذكر بعض محاسنها و أتعرض [لذكر بعض أماكنها و اشبب باللوى و العقيق] و النقا و الفريق طور ... أيمان إذا لاقيت ذا يمن.

و إن لقيت معديا فعدنانى و قد بدا لى أن يكون هذا المجموع البديع وصفه المنيع جمعه مبتيّا على مقالتين و خاتمة و من اللّه تعالى المسئول حسن الخاتمة. فإذا تجلت شموسه و انجلت عروسه سميته الجواهر الثمينة. من محاسن [أهل] المدينة و باللّه التوفيق محاسن تهدى المادحين لوضعها فيحسن فيها منهم النثر و النظم و إذا نفحته نوافح القبول من حضرة السيد الرسول و عوذت محاسن هذه الرسالة بالمرسلات و ارتشف من زهر منثورها المطلول قطر النبات فالأولى بها حيث اشتملت على [أخبار] ديار المصطفى و هو فى الحقيقة حبيب القلوب على الإطلاق و انبأت عن آثار أزهارها مآثر النبوة و الصفاء و لا غرو أن تتأرج بهذه الأنفاس المدينة أرجاء الأفاق:

كرر حديثك مخطئا و مصيباإن كان عهدك بالديار قريبا

فلقد رجعت إلى القلوب بروح ماحدثت أرواحنا و قلوبا

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۵

أن تلحظها عيون العناية الرحمانية. و تشملها سوابق الرعاية الصمدانية [فتندرج] فى خزائن الملك المؤبد بالسعد فلا برح قائد اهتمامه المسدد بالتوفيق إلى أقوم طريق فلا زال رفيقه من رحيله و مقامه أو كما قال:

ملك كان الشمس ضوء جبينه‌متهلل [الإمساء] و الإصباح

و إذا حللت [ببابه] و رواقه‌فأنزل بسعد و ارتحل بنجاح

أو كما قال:

ملك إذا عاينت نور جبينه‌فارقته و النور فوق جبينى

و لو التثمت يمينه و برزت من‌أبوابه لغم الأنام يمينى

أعظم من تفخر الأساطين بتقبيل أعتابه و تتباهى السلاطين بخدمة أبوابه. أكرم من أنام الأنام فى ظل عدله. و أحيا ميت الإعدام بوافر إحسانه و فضله. مظهر [آيات] الألطاف الربانية. مصدر أنوار العنايات الرحمانية. مطرح الأزهار الملكوتية. مسطح الأنظار اللاهوتية باسط بساط العدل و الانصاف. هادم أساس الجور و الإعتساف. ناصر الشريعة القويمة [مالك] [المسالك] المستقيمة ظل اللّه تعالى الوريف الممتد على القوى و الضعيف صاحب القرآن السعيد و إسكندر الزمان المديد، الذى أجار الآثام من جور الأيام و أسبل على الأمة سوابغ الكرم و النعمة الأقاليم بأقلامه، و أمنت الأيام من أيامه، ناشر ألوية العدالة و الأمان الممتثل بنص إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ [النحل: ۹۰].

نادى به الملك حتى قيل ذا ملك‌دنا به العدل حتى قيل ذا بشر

سقى به اللّه دنيانا فأخصبهاو العدل يفعل ما لا يفعل المطر

هو مولانا السلطان الأعظم. و الخاقان المكرم، صاحب البند و العلم و السيف و القلم. سلطان البرين و البحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان [بن السلطان] الملك المظفر المعان. مولانا السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان بن

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۶

السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان بن السلطان بايزيد خان بن [بلدرم] السلطان مراد الغازى بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان خان عليهم الرحمة و الرضوان من الرحيم الرحمن.

أولئك الناس إن عدوا و إن ذكرواو من سواهم فلغو غير معدود

لو خلد الدهر ذا عز لعزتهكانوا أحق بتعمير و تخليد

اللهم أيد الإسلام و أعل كلمة الإيمان بدوام دولة هذا الملك الذى [أقيمت] بدولته شعار الدين و أخمدت بصولته نار الملحدين و عمرت بأيامه البسيطة و جعلت ملائكة النصر برايته محيطة اللهم اجعل فروع دولته من أيامه الزاهية الزاهرة يانعة و بهجتها فوق مطالع البدور الباهية الباهرة طالعة و زد من شأنه عظمة و علوّا و اجعل الجوزاء دون منازل مقداره [عزّة] و سموا ما دامت حبول عزمه من ميادين الظفر سابقة و رياض [هممه] بعيون كرمه ناضرة باسقة و همته العلياء فى البأس و الندى و من الفضل لم تبرح مدى الدهر فائقة فإن براعة استهلاله زاد اللّه تعالى من جلاله برعت أولا ببديع نظامه، و لم تتخلص من الحقيقة إلى مديح غيره و لا تكلمت إلا بحسن ختامه و حيث كانت الثريا أقرب تناولا من ذلك المرام كما يقضى بصدق هذه الدعوى [عز] شرف المقام.

[فيا دارها] بالخيف ان [مزارها] قريب و لكن دون ذلك أهوال

و كان يقال تمنى العلا سهل و إدراكه صعب و من تجاوز حده تعرض بجميعه للعطب و كان يقال: أين الماء من السماء و أين موقع السيل من مطلع سهيل أين ورقاء العرش من عنق العرش. أين من فلك المعانى فلك الصورة. و أين من بحر اللآلىء بحر الفكر و أين مطلع صباح البصائر من مطلع صباح الأبصار هذا أفق يتعاقب فيه شمس و قمر و ذاك أفق كله شموس و أقمار و دون رسم الديار حد بسيوف. مانع من دنا لسجف خباء. [لا تخافوا] فلو دنوت إليها أحرقتنى أشعة الاحتواء، و بالجملة فما مزية التقرب

إلى ابن داود برجل الجراد. و التسحب على البحور [بأوشاذ] التماد. و كيف أعرض على روح القدس و حيّا. و اجلب إلى صنعاء اليمن و شيّا أم كيف أخلع [ربقة] النهى.

و أقابل بين البدر و السهى. أين الهباء من [البهاء] و أين الأغبياء من النبهاء و حيث وقفت الأمانى دون تلك المآرب لعزة هاتيك المطالب. و قلت لأصحابى: هى الشمس [ضوؤها] قريب و لكن من تناولها بعد. فلتكن خدمة بخزانة مولى لا زالت عتبته العلية كعبة فضل يقول عليها و سدته السنية مدينة علم يهاجر إليها و لا برحت [وفود] العلماء عاكفة بناديه [و ألسنة] الرجاء من آفاق الثناء تناديه. بسلام فواتح أشواقه. نفر [من] بهيج الأزهار، و فواتح أوراقه أعطر من أريج الأشجار. مشفوعا بدعاء يقرع أبواب الإجابة بأنامل الرجاء [و ثناء] يملأ بطيب أرجه سائر [الأرجاء] .

أبلج لا يخجل راجى فضلهو لا يرى الوصمة فى سؤاله

أكفه على العطاء قد طبعتو الطبع لا يطمع من انتقاله

سلنى به يا من يساميه أقل‌هذا مجال لست من رجاله

هو مولانا و أحد العلماء و ماجد العظماء. ابن عباس العلوم محرر المنطوق و المفهوم، إياس القضاة [ركنّا و زهادة] و أويس الزمان عفة و سهادة. مجمع المفاخر. [و الألقاب الفواخر] المحقق دعوى كم ترك الأول للآخر؟

سل عنه و انطق به و انظر إليه تجدملأ المسامع و الأفواه و المقل

أكرم به من قاض تشرفت بأحكامه الشريفة، مصر المحروسة و ما والاها و استوفى المستحق بها من ذمة الزمان ديونه إذ تولاها، فلله إمداد نعمه، و مداد قلمه، إذ لم يشكل أمر الإنزال برؤس الأنامل إبهامه ورد الضلالة بحسن تدبير إلى أهلها و زودهم بالكرامة إنعامه فكيف لا و هو القائل فيه بعض واصفيه:

هنيئا لمصر إذ حوت قاضيّا حوى كمالا على تفضيله انعقد النص

فلو مثلت كتب النحاة بنعتهلما جاز أن يجرى على نعته النقص

عن ترجمان البيان [المحفوظ] الملحوظ بعناية المعيد المبدى مولانا شعبان أفندى [لا زال صدر] المعالى بمكانه من انشراح و فوائد و قلائد معاليه من أبهى و شاح. و لا برح الزمان ينفد ما صدر من قضائه و حكمه. و اللّه تعالى يزيده بسطة من علمه و جسمه. مصيبًا به الأغراض من مرامى المرام، محسنًا مطابقته [البديعية] من النقض [و الإبرام] فإنه أعز اللّه تعالى ذاته، و أطال و أطاب حياته، لا جملة من أخباره إلا و لها محل من الإعراب عن المقصد الجليل، و لا ضمير إلا و هو من اعتقاده على النحو القديم و الرأى الجميل.

[و ما ألطف ما قال]:

فلا زال ميمون اليمين بهمةتعلمنا بالفعل كيف نقول

هذا و لما كان من لازم من تمسك بأهداب الآداب اطلاع مواليهم على محاسن ما يستطاب. [و ما زالت] الألسنة طائرة و العادة جارية بإهداء النفائس إلى النفيس من المرؤس إلى الرئيس.

و أحسن ما يهدى إلى المرء مالهإليه ارتياح و هو ذكرى الحبائب

و لم تزل الفضلاء من كل زمان، و النبلاء من كل عصر و أوان يتقربون إلى خواطر [مخاديمهم] بأحسن ما يؤلفون و أبدع ما يصنفون. فلا غرو من إهداء هذا الوضع البديع إلى ذلك الجناب [البديع] فإن لكل جديد بهجة و لكل ناطق لهجة. و الجزئى كلى عند الكريم و القليل جليل [مع] ملاحظة التعظيم، و إن كنت من ذلك كمن أهدى الزهر إلى غصنه و القطر إلى مزنه. و البحر يمطره السحاب و ماله منّ عليه لأنه من [مائه] . هذا و لقد عرضت حكمة على لقمان و أهديت جرادة إلى حضرة السيد سليمان.

قال بعضهم من صدر كتاب له: و لما كانت الهدايا تزرع الحب و تضاعفه و تعضد

الشكر و تساعفه. أحببت أن أهدى إليه هدية فائقة تكون من سوق [فضائله نافقة] فلم أجد إلا العلم الذى شغفه حبًا و الحكم التى لم يزل لها صبا. و الأدب الذى اتخذه كسبا و رأيت فإذا التصانيف من كل فن لا تحصى. و الأمالى من سطور العلماء و طروس الحكماء أوسع دائرة من أن تستقصى، إلا أن التأنق من التحبير من قبيل إبراز الحقائق فى الصور و لكل جديد لذة و لا خلاف من ذلك عند أهل النظر رحمهم اللّه تعالى.

ما كان من حمل اليراع بكاتبخطا يبارى بهجة و بيانا

أخذ العصا بالكف ليس بمعجزالشأن من تحويلها ثعبانا

و كان يقال: الوضع وضعان: وضع له افتخار و وضع له تجار.

و حسن التأليف مواهبو للناس مما يعشقون مذاهب

و معلوم أن الجنون فنونو كل حزب بما لديهم فرحون

و قد يلام الغنى من الشىء يصنعهو ليس يلحقه لوم إذا تركه

هذا مع اعترافى بأنى من فنون الذوق قليل البضاعة و من شجون الشوق كليل الصناعة و لكن دأبى التقاط درر العبارات من حياض العلماء و ديدنى أخذ غرر الإشارات من عياض الحكماء فهو لسان إخوان الصفاء لا لسانى و بيان خلان الوفاء لا بيانى.

كمن يجد و ليس له بعيرو من يرعى و ليس له سوام

و من يسقى و قهوته شرابو من يدعو الضيوف [و لا] حكام

و بالجملة فإن المرء ما بين هاج و مادح و منتصر و قادح:

على أننى لم أخل من حاسد و منعدو و لكنى له باسط العذرى

و هذه بنات فكر عاجز و بينات ذهن بينه و بين المعانى حاجز قد ترهبت إما من الكساد [فليست] من المداد مستحّا أو من الوجل فجاءت تمشى على استحياء صفحّا و قد أطاع القول على هذا العذر المنصوص. و أبت كؤوس المعانى إلا أن ترقص بما فيها رقص

القلوص.

سقونى و قالوا لا تغنى و لو سقواجبال حنين ما سقونى لفنت

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۰

و من وقف على تحقيق هذا الكلام. أنشد من تصديق هذى الدعوى إذا قالت حذام و إن كنت فيما أعاينه أتعوض عن الجوهر بالخرز و أكتفى عن المعانى الجليلة بما هو سداد من عوز. لكنى ممن يعرف [الدرر و ان] لم يملكه، و ينقل التبر و إن لم يسبكه. و لقد جاء بعناية اللّه تعالى و نظره السعيد نزهة للنظر. هذا و إن السعادة كما يقال [لتلحظ] الحجر.

فكأنه من حسن رقة لفظهذكرى حبيب فاق كل حبيب

ما شيق إلا صريع عندهو لشعره يشتاق كل لبيب

[فليكن] كتابا بسببه ذكره الشريف يؤرخ، و كافور القرطاس بغالية أوصافه من معناه يضمخ:

ما تنسخ الأيدى يبيد و إنمايبقى لنا ما تنسخ الأقلام

فقد أسارت شفاه الليالى بقايا و أخلفت بواسق النخيل ودايا و على [رفيق] خزا من بادية العربية من عضاضة دولة الإسلام. واقيّا لهم على الوردة الفارسة. فى حدائق الكلام مآدب تغزو الروح و تهز العطف المروح إفادتها ميامن المستجن بطبه طيبا فسدت بها [اوكية] النطق على فنن اللسان رطيبا.

و أتى على ما فى من حضرتهليعجبنى ظل [حتى] المشرع

و قد استقرت العزيمة على الاكتفاء. بغيض من فيض. و طل من ويل و نهر من بحر. إذ كل [كتيره] عدو للطبيعة. و راكب سهوب الاسهاب مستهدف للوقيعة. و إنما يحمد المرء من اختصار [القيل] و إلقاء القول الثقيل أوجزت جمعى و من الايجاز فائدة و للكرام من التطويل تصديع. على أنى لا أزعم أنه جمع سلامه. و لا أدعى انه صنيع فاضل يستحسنه النبيه و العلامة و إلا فوحى البلاغة من بعد لم تنقطع و سلوك طريق الايجاز أصلا و رأسّا لم يمتنع. و من لى بخلو البال و استقامة الحال. و معاضدة الزمن الغشوم. بانتفاء الهموم و الشواغل [و مساعدة] القدر بكف أذى اللئام و الأرذال فأخذ من مصنوع الكلام و اننى على ذلك المقام. و كيف تصفو القريحة و صفاء الوقت يكدر.

و سبيل المحن من أعلى الروابى تحدر. مع أنى من زمن تشابه فيه الضاحك و الباكى.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۱

و قل به الشاكر و كثر الشاكى و فيما رفعت إليه من المضايق و حال دون أمالى من العوائق.

ما يرتج به الكلام على الفصيح و يشتبه الصواب على الحازم المسيح.

فإن اعترافى بالتأخر حيث لايقدمنى فضل أجل و أرجح

و ما أصدق ما قال:

إذا كان عون اللّه للمرء فائداتهيأ له من غير سعى مراده

و إن لم يكن عون من الله للفتىفأول ما يجنى عليه إجتهاده

و أنا اعترافى بالتأخير حيث لايقدمنى فضل أجل و أرفع

و كأنى بالحواسد و العذال، نسبونى من ذلك إلى المحال و قال قائلهم مادح نفسه يقريك السلام. فأقول نعم و يهدى من التحية و الثناء ما تتأرج به الرياض باكرتها الغمام [و من هاهنا نشرع من المراد] و اللّه الموفق للسداد و على كرمه التعويل. و بواسطة لطفه التأميل.

مسئلة : المدينة من [مدن] بالمكان أقام ، أو من دان إذا أطاع فالميم زائدة و ذلك لأن السلطان يسكن المدن فتقام له طاعة فيها، أو

لأن اللّه تعالى يطاع فيها أو لأنه عليه السلام يسكنها فدانت له الأمم. و هى أبيات مجتمعة تجاوز حد القرى [كثرة] و عمارة لم تبلغ حد الأمصار و قيل يقال لكل مصر، و المدينة علم على طابة مهاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بحيث إذا اطلق هذا اللفظ لا [ينصرف] إلا إليها و النسبة إليها «مدنى» و إلى غيرها من المدن مدينى للفرق كذا فى الوفاء.

مسئلة: المدينة من الأقليم الثانى و هو حيث يكون طول النهار الأطول ثلث عشرة ساعة و نصف ساعة و يرتفع القطب الشمالى فيه مقدار أربعة و عشرين جزء و عشر جزء و مساحة هذا الإقليم أربعمائة ميل و فيه سبعة عشر جبلا و سبعة عشر نهرّا و أربعمائة و خمسين مدينة كذا فى الخطط للمقريزى.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۲

مسئلة: دور كرة الأرض أربعة و عشرون ألف ميل و ذلك عن ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضع جبل على نقطة [من] الأرض و أدير الجبل على الكرة حتى انتهى الطرف الآخر إلى نقطة الابتداء كانت مساحة الجبل العدد المذكور و كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الأرض ستة و ستون ميلا و ثلثا ميل [فإذا ضربنا عدد درج الفلك من ستة و ستين ميلا و ثلثى ميل] كانت الجملة أربعة و عشرين ألف ميل و هى ثمانية آلاف فرسخ و صحرء [سجار] و وطاءة الكوفة من الأراضى [المتساوية] انتهى من كتاب سر الفلك.

مسئلة: أعظم جبل على وجه الأرض ارتفاعه فرسخان و ثلث فرسخ و نسبة ارتفاعه إلى كرة الأرض سبع [عرض] شعيرة إلى كرة قطرها ذراع و غاية ما يرتفع الطير فى الهواء اثنى عشر فرسخّا و تنقطع الكيفيات من وراء ثمانية عشر فرسخّا و لا يخلو وجه الأرض المعمور من [المشرق] من وقت إبداء فالوقت الواحد يكون شروقّا عند قوم زوالا عند غيرهم غروبّا عند آخرين و أصغر كوكب يرى من الثوابت كالسها أكبر من زحل و زحل مثل الأرض إحدى و تسعين مرة و النجم تستصغر الأبصار رؤيته، و الذنب للعين لا للنجم فى الصغر.

مسئلة: ان قيل تقرر من الشرع و من علم الهيئة أن الأرضين سبع كالسموات فلم لم يذكر فى الكتاب العزيز إلا الأرض؟ .. الجواب أنه عليه السلام «رقى إلى السموات السبع» فلتشرفها به ذكرت أو لأن الانتفاع من أرض الدنيا فقط بناء على أنها طبقات و لم يتشرف به غيرها و من كتاب «المواهب اللدنية» قد جاء أن السموات شرفت بموطىء قدميه صلّى اللّه عليه و سلم، بل لو قال قائل: إن جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء لشرقها بكونه صلّى اللّه عليه و سلم حالا فيها لم يبعد بل هو الظاهر المتعين و حكاه بعضهم عن الأكثرين لخلق الأنبياء منها و دفنهم فيها لكن قال النووى: الجمهور على تفضيل السماء على الأرض ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة.

مسئلة: هل للمدينة حرم كما بمكة أم لا؟ الجواب أنها ليست بحرم عندنا و المراد

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۳

من الوارد الحرمة الحاصلة لها بتوطينه عليه السلام إياها و دفنه فيها و معنى حرمت أوجبت حرمتها و حماها بإقامتى فيها فصارت حمى محروسّا من الآفات كما ورد «عن كل نقب منها ملك يحرسها» و لذا يصرف عنها الدجال و يؤيده انه كان صغير بالمدينة و كان عليه السلام يقول له: «يا أبا [عمير] فافعل النغير » فلو كانت كمكة لما جاز ذلك» انتهى من كتاب زهر البساتين قال الملا على القارى من شرح لباب المناسك و عباب المسالك عند قوله و إذا دنا من [حرم] المدينة المشرفة أى حولها من الأماكن المحترمة إذ لا حرم للمدينة عندنا كحرم مكة من أحكامها.

قلت: و فيما ورد من الأحاديث من ذلك ما يقضى للمدينة المنورة بأنها حرم

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۴

كمكة من أحكامها فقد أطال الكلام على ذلك السيد السمهودى فى تاريخه الوفاء.

و أنشد عليه بعضهم:

إن المدينة لا يشك كمكةحرم و لكن بالنبى تفضل

فهى الأمان لخائف و لعاكف‌فيها معاش ليس فيه معضل

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۵

و فى الصحيح اللهم إن إبراهيم حرم مكة و إنى حرمت ما بين لابتيها» .

و على القول بأنها حرم فهى بريد من بريد و ذلك ما بين عير إلى ثوربيان يحدها من الجنوب إلى الشمال و هما مأزماها و ما بين لابتيها أى حدتيها الشرقية و الغربية.

و نظم ذلك من قال:

حرم المدينة حده فيما حكواعيرًا و ثورًا قبلة و شمالا

و اللابتان تحدها يا ذا النهى‌شرقًا و غربًا فاعتمده مقالا

مسئلة: صح أنه عليه الصلاة و السلام التفت إلى المدينة الشريفة و قال: «إن اللّه برأ هذه الجزيرة من الشرك» .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۶

و قال بعضهم: قلت هنيئا لأهلها فإنهم برآء من الشرك بشهادة.

[قال بعضهم هذا] :

هذا الأثر. و بشرى لهم بتسميتها «دار الأبرار» و دار الأخيار و العاصمة و المرحومة و المرزوقة. و الناجية. و المقدسة و الجابرة و دار السلامة.

أساميناً لم تزده معرفةو إنما لذة ذكرناها

و بالجملة فإن فضل المدينة لا ينكر و محاسنها الغراء لا تحصى و لا تحصر و جيران صاحب «الحوض و الكوثر» «المغفور له من ذنبه ما تقدم و ما تأخر» على يقين إن شاء اللّه تعالى من السلامة فى المعاد و ثقة بالكرامة فى يوم الأشهاد.

و ما أحسن ما قال:

تلك دار إن لم تكن هى‌ذات النفس منى فإنها [مشتهاها]

لو تمكنت أن [أقضى] بها[العمر] جميعا لما قصدت سواها

و ما أحسن ما قال الشيخ محمد البكرى:

دار الحبيب إخوان تهواهاو نحن من طرب إلى ذكراها

و على الجفون متى هممت بزورةيا ابن الكرام عليك أن [تغشاها]

فلا أنت أنت إذا [حللت] بطيبةو ظللت ترتع فى ظلال رباها

عنا الجمال منى الخواطر و التى‌سلبت عقود العاشقين خلاها

لا تحسب المسك الزكى كتربهاهيهات أين المسك من رباها

طابت فإن تبغ التطيب يا فتى‌فأدم على الساعات لم تراها

و أبشر ففى الخبر الصحيح مقررأن الإله بطابة سماها

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۷ و اختصها بالطيبين لطيبهاو اختارها و دعا إلى سكناها

لا كالمدينة منزل و كفى لهاشرفًا حلول محمد بفناها

حظيت بهجرة خير من وطئ الثرى‌و أجلهم قدرًا فكيف تراها

كل البلاد إذا ذكرت كأحرف‌من اسم المدينة لا خلت معناها

حاشى [مسمى] القدس فهى قريبة‌منها و مكة إنها إياها

لا فرق إلا أن ثم لطيفةمنها بدت يجلو الظلام سناها

جزم الجميع بأن خير الأرض ماقد حاط ذات المصطفى و حواها

و نعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكا مأواها

و بهذه ظهرت مزية طيبةقعدت و كل الفضل فى مغناها

حتى لقد خصت بروضة جنةالله شرفها بها و حباها

ما بين قبر للنبى و منبرحى الإله رسوله و سقاها

هذى محاسنها فهل من عاشققلق شحيح باخل بنواها

إنى لأرهب من توقع بينهافيظل قلبى موجعا أواها

[و لقلما] أبصرت حال مودعإلا رثت نفسى له و شجاها

فلكم أراكم قافلين جماعةمن [أمر] أخرى طالبين سواها

قسمّا لقد أذكى فؤادى بينكمنارّا و فجر مقلتى [أمواها]

إن كان أعجزكم طلاب فضيلةفالخير أجمعه لدى مثواها

أو خفتم ضررّا بها فتأملوابركات بلغتها فما أزكاها

أف لن يبقى الكثير لشهوةو رفاهة لم يدر ما عقباها

و العيش ما يكفى و ليس هو الذىيطغى النفوس و لا خسيس مناها

يا رب أسأل منك فضل قناعةبيسيرها أو [تحببا] لحماها

و رضاك عنى دائما و لزومهاحتى توافى مهجتى أخراها

فإن الذى أعطيت نفسى سؤلهاو قبلت دعوتها فيا بشراها

بجوار أو فى العالمين بذمهو أعز من بالقرب منه يباها

من جاء بالآيات و النور الذىداوى القلوب من العمى فشفاها

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۸ أولى الأنام بخطة الشرف التىتدعى الوسيلة خير من يعطاها

إنسان عين الكون سر وجوده[يس] إكسير المحامد طه

حسبى فلست أفى بذكر صفاتهو لو أن لى عدد الحصى أفواها

كثرت محاسنه و أعجز حصرهافغدت و ما تلقى لها أشباها

إنى اهتديت من الكتاب بآيةفعلمت أن علاه ليس يضاها

و رأيت فضل العالمين محدداو فضائل المختار لا تتناها

كيف السبيل إلى تقصى مدح منقال الإله له و حسبك جاها

إن الذين يبايعونك إنمافيما تقول يبايعون الله

هذا الفخار فهل سمعت بمثلهواها لنشأته الكريمة واها

صلوا عليه و سلموا فبذلكم تهدى النفوس لرشدها و غناها

صلى عليه اللّه غير مقيدو عليه من بركاته أتماها

و على الأكابر إله سرج الهدىأحبب بعترته و من والاها

و كذا السلام عليه ثم عليهمو على عصابته التى زكاها

أعنى الكرام أولى النهى أصحابهفئة التقى و من أهدى بهداها

و الحمد لله الكريم و هذهنجزت و ظنى أنه يرضاها

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۹

[المقالة] الأولى

اشارة

فيما يتعلق بالمكان و يشتمل على أبواب. هى بالقبول إن شاء اللّه تعالى مفتحة لأولى الألباب.

أبواب إقبال تفتح بالهناأيام شعبان لها أبان

قال الزمان و قد رأى إقبالهايا ليت دهرى كله شعبان

باب: فيما تميزت به المدينة الشريفة عما سواها، و ذكر بعض محاسنها التى يطرب لها المحب و يرضاها، و لا أتعرض لحصر ألقابها فيعترض دونها الحصر، بل كحضور الملاح لرشاقتها تختصر [شعر]

أمليانى حديث من سكن الجزعو لا تكتباه إلا بدمعى

فإننى أن أرى الديار بطرفىفلعلى أرى الديار بسمعى

و من أحسن محاسنها السنية: إشتمالها على البقعة التى انعقد الإجماع على تفضيلها على سائر البقاع، و إن كان صلوات اللّه و تسليماته على فروعه و أصوله روح وجود الكائنات و سر الموجود جلية و جميلة.

لا تقل دارها [بشرقى] تجدكل نجد للعامرية دار

و لها [قنن] على كل بنآءو على كل دمنة آثار

و ما أحسن ما قال:

أحن إليه و هو قلبى و هل تریسواى أخا وجد يحن لقلبه

و يحجب طرفى عنه إذ هو ناظرىو ما بعده إلا لإفراط قربه

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۳۰

و قال آخر:

أمر له و به و منه تعينتأعياننا و وجودنا المتلبس

و حقيقة طوت البعيد خرامةنجد و ليت [ألقاب] طى العس

و وراء ذلك و لا أشير لأنهسر لسان النطق عنه أخرس

و قال:

وجود غيرك يأكل المنى عدمو أى غير و أنت الكل لو علموا

هام الورى بمعان [فيك] قد جمعتو كلهم لك عشاق و ما فهموا

و من محاسنها أن سائر بلاد الإسلام [فتحت] بالسيف. و افتتحت حصن بالقرآن العظيم، و أنه يبعث [منها] أشراف هذه الأمة يوم القيامة. على ما نقله القاضى عياض من المدارك عن مالك.

و من محاسنها «تحريكه عليه السلام دابته عند قدومه إليها إذا أبصر منازلها و دعاؤه لها بالبركة» . و قوله: «غيروا فقد سبق المفردون» .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۳۱

و من محاسنها تأسيس مجسده على يده الكريمة و كون «ما بين بيته و منبره روضة من رياض الجنة» . و ان ذلك يعم مسجده و لو اتصل بصنعاء و كون «المنبر على ترعة من رياضة الجنة» .

و ما أحسن ما قال عبد اللّه الفيومى:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۳۲ سكان طيبة أبلى الحب صبكمو الشوق باق ليوم العرض فى طول

تالله لم ينسه المقياس [روضتكم] و لا تسلى عن الزرقاء بالنيل

[و من محاسنها] إن ترابها شفاء من الجذام كما هو الوارد . و شفاء من كل داء بالتجربة الصادقة. المعروفة عند الخلف و السلف و ما أوقع ما قال:

و لو قيل للمجنون ليلى أحب [أم] جنان [بها] حور حلت نعم الخد

لقال غبار من تراب يقابلهاأحب إلى قلبى و أشهى من الخلد

فائدة: ذكر علماء الخواص أن من قدم أرضّا فأخذ من ترابها فجعله فى مائها ثم شربه [عوفى من بلائها] .

و قيل: يستحب للمسافر أن يصحب معه تراب أرضه التى ولد بها فإذا قدم أرضّا أخرى جعل منه شيئّا فى مائها و شرب منه فإنه يسلم من ضررها و هو من المجربات.

و من محاسنها: أن من أصابه عرض أو مرض. و أقبل على الشباك الشريف متضرعّا مستغيثّا. لم يبرح حتى يفرج اللّه تعالى كربه و الناس فى ذلك تتفاوت بحسب الاعتقاد و الاستعداد.

و إذا لم تر الهلال فسلملأناس رأوه بالأبصار

و كان يقال: الفوائد فى العقائد.

و كان يقال: المخ مواهب و المواهب مخ، و لذلك يفتح لشخص دون آخر من الأبواب ما لا يتطرق إليه بسبب من الأسباب و كان يقال:

فما كل عين بالجمال قريرةو لا كل من نودى يجيب إذا دعى

فقل للعيون الرمد للشمس أعينسواك تراها من مغيب و مطلع

و كان يقال:

دنت بأناس عن ثناء ديارهمو شط بليلى عن دنو مزارها

و إن مقيمات بمنعرج اللوىلأقرب من ليلى و هاتيك دارها

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۳۳

و قال آخر:

يقولون لى دار الأحبة قد دنتو أنت كئيب إن ذا العجيب

فقلت و ما نفعى بدار قريبةإذا لم يكن بين القلوب قريب

و أقول كما قال المتقدم:

صبرّا إن ذاك الحسن عنى محجبأ ليس [بزيادة شرف تشهد الصبا]

إذا رمت أن تبدى مصونان خدرهفحدث بذاك الحى عن ذاك الخبا

و ما أحسن ما قال:

و إنى لمشتاق إلى أرض طيبةو إن خاننى بعد التفرق إخوانى

سقى اللّه أرضا لو ظفرت بتربهاكحلت به من شدة الشوق [أجفانى]

و بالجملة فكل مقصور على سربه و ذوقه، الناتج عن حبه و شوقه و كان يقال. لا يفتح القال العيوب إلا من سلم من العيوب و إما من عرى عن الكشف و الشهود، و استنطاق ضمائر صحائف الوجود فحرام عليه التفكر فى الآثار الكونية و الأسرار اللدنية، فليلزم لسان الاعتراض و لا يبرز رعونات الأغراض، فإنه يخشى عليه سلب السابقة فى عالم الأرواح و الخاتمة فى عالم الأشباح، و ليرجع إلى نقض فطرته و قصور باعه فى ميدان حكمته، فلا يشهد حقيقة الكمال، و لا يظفر من أبكار المعانى بلذة الوصال، و ليقل بلسان التسليم وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ [يوسف: ۷۶].

و قال ابن رافع رأس فى شذور الذهب:

و حظ العيون الرمد من نور وجههالسدته خط العيون العوامش

فلا أخصبت إلا لذى الحلم و التقىو لا أجدبت إلا لأهل الفواحش

و الحمد للّه الذى أطلع من اجتباه من عباده الأبرار على خبايا الأسرار، و أسمع من ارتضاه من أصفيائه الأخيار من الغيب تغريد سواجع قضايا الأقدار، و أودع قلوبهم من جواهر المعرفة ما تحتار عيون البصائر و الأبصار، و أطمع نفوسهم من إحراز رموز كنوزها بيد الإظهار من سجف حجب الأستار الذى قدر حكم أحكامه و كل شىء

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۳۴

عنده بمقدار، و بصر من شاء لإكرامه بنور الهامة، فاستخرج غرائب الأسرار بنواقب الأفكار و صلّى اللّه تعالى على سيدنا و سندنا محمد المصطفى المختار و مؤازريه الأئمة الأطهار، صلاة متصفة بالاستمرار متلوة آناء الليل و أطراف النهار.

تنبيه : قال العلامة ابن حجر فى كتابه الجوهر المنظم فى زيارة القبر المعظم:

حرم عند أرباب القلوب على كل قلب شغل بالإرادات الدنية. و الشهوات الدنيوية أن يصل إليه المدد النبوى. بل ربما يخشى [عليه] من الوقوف بين يديه صلّى اللّه تعالى و سلم عليه فيجب الاجتهاد فى تصفية الجنان مع ملاحظة الاستمداد. من سعة العفو عما لا وصول إليه، فإنه يمد كلا بما يناسب حاله، و لا وصول إلى الحضرة الإلهية إلا من بابه كما قيل:

و أنت باب اللّه أى امرىءأتاه من غيرك لا يدخل

- إسعاد و إمداد-

حكى القاضى شهاب الدين بن خلكان فى ديوانه أن الفقيه منصور التميمى أصابته مسبغة فى سنة شديدة القحط، فرقى سطح داره ليلا و نادى بأعلى صوته:

الغياث الغياث يا أحرارنحن خلجانكم و أنتم بحار

إنما نحسن المواساة فى الشدةلا حين ترخص الأسعار

قال: فأصبح على بابه مائة حمل من البر. توفى الفقيه منصور الشافعى سنة ست و ثلثمائة.

و ما أحسن ما قال:

لا تحزنن و لا تخفودع التفكر و الأسف

أين عودك الجميلفقس على ما قد سلف

لوائح و حوائج حكى بعض الأمراء: يسمع عن رجل من أهل اللّه تعالى أنه قال:

«من رآنى ضمنت له على اللّه تعالى الجنة» فقال الأمير: كيف ساغ لهذا الرجل أن يقول

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۳۵

مثل هذا الكلام مع أن رؤية أبى جهل للنبى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه لم تفده فقال له بعض من سمعه: إنما أراد الشيخ بقوله «من

رآنى» رؤيـة ولاية [و أبو جهل] لو رأى النبى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه رؤية نبوة لم [تفده] السعادة على أنه «قيل بتخفيف العذاب عمن تشرف برؤيته».

يا أرمد العين قم قبالتهفدو باللحظ نحوه رمدك

فائدة : رأيت فى بعض التذاكر. أن من أصابه رمد يقف تجاه الحضرة الشريفة، و ينشد هذين البيتين مرات، فإنه يزول رمده.

قال و قد أصابنى الرمد مرة [فقلت] كذلك فزال ما اشتكيته و البيتان هما هذان:

أنت الملاذ و أنت الغوث للبشرمن معجزاتك رد العين [للنظر]

فانظر إلى لعلى أن أرى فرجافبحر جودك يبرىء شدة الضرر

و من الفوائد الشرجية ما يقرأ أو يكتب للرمد قول:

إذا ما مقلتى رمدت فكحلىتراب مس نعل أبى تراب

هو البكاء فى المحراب ليلاهو الضحاك فى يوم الضراب

و مما يكتب للرمد، و هو مروى عن ابن عجيل اليمنى :

يا ناظرى بيعقوب أعيذكمابما استعاذ به إذ مسه الكمد

قميص يوسف قد جاء البشير بهبحق يوسف اذهب أيها الرمد

قال فى المواهب اللدنية: أنبئت أن العلامة أبى عبد اللّه ابن رشد قال: لما قدمنا المدينة الشريفة سنة أربع و ثمانين و ستمائة كان معى رفيقى الوزير أبو عبد اللّه بن أبى قاسم [بن] الحكيم و كان أرمد العين فلما وصلنا ذا الحليفة نزلنا عن الأكوار و قد قوى الشوق لقرب المزار فنزل و بادر إلى المشى على قدميه. احتسابا لتلك الآثار و إعظامّا [لمن جل] هاتيك الديار فأحس بالشفاء، [فأنشد لنفسه فى وصف الحال] .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۳۶ و لما رأينا من [ربوع] [حبيبنا] [يثرب] أعلامّا أثرن لنا الحيا

و بالترب منها إذ كحلنا جفوناشفينا فلا بأسّا نخاف و لا كربا

و حين تبدى للعيون جمالهاو من بعدها عنا أديلت لنا قربا

نزلنا عن الأكوار نمشى كرامةلمن حل فيها أن نلم بها ركبا

تسح سجال الدمع فى عرصاتهو تلثم من حب لواطئه التربا

و ان بقائى دونه [لخسارة] و لو أن كفى تملك الشرق و الغربا

فيا عجبّا ممن يحب يزعمهيقيم مع الدعوى و يستعمل الكثبا

و زلات مثلى لا تعده [كثرة] و بعدى عن المختار أعظمها ذنبا

[و من نبويات] المواهب:

ألا مع برق يغتدى و يروحأم النور من أرض الحجاز يلوح

أريج الصبا هبت بطيب عرفهمأم الروض من وجه الصباح يفوح

إذا ريح ذاك الحى هبت فإنهاحياة لمن يغدو لها و يروح

ترفق بنا يا حادى العيس و التفتفللنور بين الواديين وضوح

فما هذه إلا ديار محمدو ذاك [شأنها] من البقاع [يلوح]

و ألا فما للركب هاج اشتياقهمفكل من الشوق الشديد يصيح

و أتت مطايا القوم حتى كأنهاحمام على قصب الأراك تنوح

و قد مدت الأعناق شوقا و طرفهاإلى النور من تلك الرياح لموح

رأت دار من تهوى فزاد حنينهاو مدمعها فى الوجنتين سفوح

إذا العيس باحت بالغرام و لم تطقجفاء فما للصب ليس ينوح

قال فى المواهب:

و لما قربنا من المدينة المنورة و أعلامها، و تدانينا من معاينة رباها الكريمة و آكامها، و انتشقنا عرف لطآئف أزهارها و بدت لنواظرنا بوارق أنوارها، و ترادفت واردات المنح و العطايا و نزل القوم عن المطايا.

أنشدت ممتثلا:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۳۷ أتيتك زائرًا و ودت أنىجعلت سواد عينى أمتطيه

و ما لى لا أشير على [المآقى] إلى قبر رسول الله فيه

و لما وقع بصرى على القبر الشريف، و المسجد المنيف، فاضت من الفرح سوابق العبرات، حتى أصابت بعض الثرى و الجدارات، و كان ما كان مما لست [أذكره] فظن خيرًا و لا تسأل عن الخبر.

[أنشد لنفسه أبو العباس أحمد بن محمد]

أيها المغرم [المشوق] هنيئًاما أنالوك من لذيذ التلاقى

قل لعينيك تهملان سروراطالما أسعداك يوم الفراق

أبدل الوجد بالسرور ابتهاجاو جميع الأشجان و الأشواق

و أمر العين أن تفيض سجالاو توالى بدمعها المهراق

هذه دارهم و أنت محبما بقاء الدموع فى [الأماق]

[أنشد لنفسه أبو العباس أحمد بن محمد]

إذا ما حدى الحادى يا جمال بيثربفليت المطايا فوق خدى تعتق

فما عبق الريحان الا و تربهاأجل من الريحان طيبا و أعبق

و من محاسنها: حديث «من صلّى فى مسجدى هذا أربعين صلاة كتب له براءة من النار و براءة من العذاب، و براءة من النفاق» .

و منها: «أنه من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فيه كان بمنزلة حجة» .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۳۸

و «أن إتيان مسجد قباء يعدل عمرة» .

«و أن صيام شهر رمضان فى المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها» و كذا سائر أفعال البر فيها.

و كل عبادة شرعت بالمدينة فهى [بها] أفضل منها و منها أن ما بين منبره و مسجده روضة من رياض الجنة و هذا جانب كبير من هذه البلدة المشرفة [بمكة] و منها «حثه عليه السلام على الموت بها و الوعد على ذلك بالشفاعة و الشهادة» .

و إنى إذا أوعدته [أو وعدته] لمخلف إبعادى و منجز وعدى

و ما أحسن ما قال:

[لست آسى على تفرق شملىغير قبرى بأى أرض يكون]

أ بأرض البقيع تحت ترابفيه جدى و والدى مدفون

بين قوم أعزة من حماهمو لهم عند ربهم تمكين

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۳۹ أم بأرض أخرى فيا ليت أنىمن سوى أرض طيبة لا أكون

تلك أرض لخاطرى مثل ليلىو فؤادى بحبها المجنون

و ثراها لمقلتى أن تراهاإثمد منه تستنير العيون

إن ظنى بخالقى لجميلليس فى مثله تخيب الظنون

[و من محاسنها] : ان أهلها أول من يشفع لهم مع الاختصاص بمزيد الإكرام «و أنه يبعث الميت بها من الآمنين» .

«و انه يبعث من بقيعها سبعون ألفّا على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حساب» .

و توكل ملائكة بمقبرة البقيع كلما امتلأت أخذوا بأطرافها، فكفوها من الجنة «و يبعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس» .

و ما أصدق ما قال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۴۰ ألا أيها الباكى على ما يفوتهمن الحظ فى الدنيا جهلت و ما تدرى

على قوت حظ من جوار محمدحقيق بأن تبكى إلى آخر الدهرى

ستدرى إذا قمنا و قد رفع اللوىو أحمد هادينا إلى موقف الحشرى

من الفائز المغبوط فى يوم عرضهأجار النبى المصطفى أم أخو الوفر

[و منها] : «شفاعته أو شهادته عليه السلام. لمن صبر على لأوائها» و شدتها. «و وجوب شفاعته لمن زاره بها» .

قم وزر حجرة الرسول و يمم كعبة الجود معدن الأسرار

و إذا لم تجد إليه سبيلازر حماه بالوصف و الأخبار

و منها: «اللعنة و الوعيد الشديد لمن أخاف أهلها أو ظلمهم» و ان من «أرادها و أهلها بسوء أذابه اللّه كما يذوب الملح [فى الماء] ». و عنه عليه الصلاة و السلام

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۴۱

«ما من مسلم يسلم [على] فى شرق و لا غرب إلا انا و ملائكة ربى ترد عليه السلام» فقيل له فما بال أهل المدينة فقال: و ما يقال لكريم من جيرانه و جيرته، إن مما أمر به من حفظ الجوار حفظ الجار.

و قال بعضهم: تأكدت وصيته صلّى اللّه تعالى عليه و سلم بقوله «حقيق على أمتى حفظ جيرانى». و قوله «لا يزال جبريل يوصينى بالجار» ، و لم يخص جارّا دون جار و فهم منه أن سكان بلده قريبهم و بعيدهم حاضرهم و غائبهم. مليهم و عاجزهم، على حد السواء فى استحقاق الرعاية من حيث الجوار، و إنما التفاضل بالتقوى و حسن الأدب، فنسأل اللّه تعالى كما من علينا بنعمة الإسلام، و خصنا بجوار نبيه عليه أفضل الصلاة و أزكى السلام. أن يوفقنا سلوك [الأدب] فى هذا المقام و أن يرزقنا و المسلمين شفاعته فى يوم الزحام و ان [يلهم] من ولى شيئًا من أمورنا الرفق بنا و حسن القيام.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۴۲

يروى عن مالك رحمه اللّه تعالى: أنه دخل على المهدى فقال له [أوصنى فقال] : أوصيتك بتقوى اللّه، و العطف على أهل بلد رسول اللّه صلّى اللّه تعالى و سلم عليه و جيرانه، فإنه بلغنا أنه قال «المدينة مهاجرى، و منها مبعثى، و بها قبرى، و أهلها جيرانى و حقيق على أمتى حفظ جيرانى، فمن حفظهم كنت له شفيعًا و شهيدا يوم القيامة و من لم يحفظ وصيتى فى جيرانى. سقاه اللّه من طينة الخبال» .

و ما أحسن ما قال:

لى فيك يا ربع الحبيب معاهدقلبى المقيم على العهود موادد

و لساكنيك على حفظ مودةما خنتهم أبدّا و ربى شاهد

و منها الوعيد لمن لم يكرم أهلها و إن إكرامهم و حفظهم. حق على الأمة قال بعضهم: ليس المراد إكرام أهل النعم منهم و المستورين بالأداب فإن [قال] أولئك تقضى بإكرامهم، و إنما الكلام فى إكرام المبتلى منهم و من عدم الأدب و الفضيلة، و ألبسته الفاقة رداء

المذلة، و كان يقال: إذا أقبلت الدنيا على قوم، ألبستهم محاسن غيرهم، و إذا دبرت عن قوم سلبتهم محاسن أنفسهم و هذه الدسائس أيضًا تكشف عند التأمل، و التوفيق لمن يدعى [محبة] آل النبى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه. و ما أحسن ما قال:

يا أهل طيبة قد سكنتم أضلعىفودادكم نام و شوقى محكم

لا غرو أن أبغى هواكم منشدّامن أجل عين ألف عين تكرم

[و منها] حديث «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبى» .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۴۳

و ما ألطف ما قال:

فنحن بقربه فيما اشتهيناو أحببنا و ما اخترنا و شينا

يقينّا لا نخاف و إن ظننابه خيرًا أرانا يقينا

نميل على مكارمه كأناإذا قلنا نميل على أبينا

[و منها] حديث «من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاء و قلبه مشرب جفوة» .

[و ما أحسن ما قال] :

و مسك حديثى فى هواها لأهله[يضرع] و فى سمع الخلبين ضائع

سلا و هل سلا قلبى هواها و هل لهسواها إذا اشتدت عليه الوقائع

و قولا لها يا قرة العين هل إلىلقاك سبيل ليس فيه موانع

و ما أحسن ما قال:

قنعنا بنا عن كل من لا يريدناو إن حسنت أوصافه و نعوته

نحن جاءنا يا مرحبا بمجيئهيجد عندنا ودّا صحيحا ثبوته

و من صد عنا حسبه الصد و القلا و من فاتنا يكفيه أنا نفوته

و منها ما يوجد بها من رائحة الطيب الزكية و طيب العيش بها خصوصًا لأهلها الذين لا تغلق لهم بالدول و الدنيا.

[رياض] نجد عرفها ضائعو نشرها الأرجاء قد [عمنا]

و من يقل فى المسك اين الشذاكذبه فى الحال من [شما]

قال القزوينى:

فى كتابه آثار البلاد و أخبار العباد عند ذكر المدينة المنورة:

و للطيب فيها فضل رائحةعليه منه فى غيرها

و ما أحسن ما قال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۴۴ يا خير من دفنت فى التراب أعظمهفطاب من طيبهن [القاع] والاكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنهفيه العفاف و فيه الجود و الكرم

و قال آخر: الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية ؛ ص۴۴

أكرم بها بقعة بالمصطفى شرفتعلى البقاع فضمت أكرم الرسل

أجل من وطىء القبر و أفضل منمشى على الأرض من حاف و منتعل

و للّه در القائل:

طاب الصعيد بجسمه فكأنهروض [ينم] بعرفه المثارج

ما جسمه مما يغيره الليلاو الروح منه كالصباح الأبلج

و منها أن من عاب قرابتها أو [انتقص] سكانها استحق التعزير.

و قد عزر مالك رحمه اللّه تعالى شخصّا لنقص تربتها بأنها سبخة.

و ما ألطف ما قال:

دار طه هى التى أتوخىو لطه تشتاقها الأعضاء

فعليها من المهيمن نورو على التراب راية بيضاء

و لله در الأمير أبى فراس حيث يقول:

على الربع العامرية وقفةليملى على الشوق و الدمع كاتب

و من مذهبى حب الديار لأهلهاو للناس فيما يعشقون مذاهب

قال فى الوفاء و لا يجوز لغير أهل المدينة المنورة أن يماروا أهل مكة المكرمة، أو ينافسوهم لأن اللّه تعالى فضلهم على سائر البلاد.

و من محاسن المدينة « [زيادة] البركة بها على مكة» و أن المدعو به بها من البركة ستة أضعاف ما لمكة من البركة» و منها أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم، كما نقل عن مالك رحمه اللّه تعالى.

و قيل: البقاع لا أثر لها فى ذلك و فيه نظر.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۴۵ و تأمل فى الأرض آيات فلا تك منكرّاو عجائب الأشياء من ملكوته

و منها: حديث «يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدوا عالما أعلم من عالم المدينة» .

قيل معناه: أن العالم من أهل المدينة أعلم منه من غير أهلها، و فيه إشارة إلى أن للبقاع أثرّا فى ذلك و فى الأرض قطع متجاورات فافهم.

و قول ابن عيينة: نرى هذا العالم مالك بن أنس لا يمنع من ذلك، لأن مالكا كان إذ ذاك من علماء المدينة [و يؤيده] قول سفيان، و قد قيل له ما قاله ابن عيينة. «إنما العالم من يخشى اللّه تعالى. و لا يعلم أحد كان أخشى للّه تعالى من العمرى قتيبة.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۴۶

و من محاسنها: قلة المظالم بها [و شذور] التظاهر فيها بالمنكرات بالنسبة إلى غيرها من بلاد الإسلام.

[و ما أصدق القائل] :

[قل] لمن أبصر حالا منكرةو رأى من دهره ما حيره

ليس بالمنكر ما أبصرنهإن من عاش يرى ما لم يره

و قال آخر:

قل لمن شاهد أمرّا أقلقهو رأى ما يستحيل الفسقة

سترى هذا الذى تنكرهمستحبّا بعد تلك الطبقة

[و من محاسنها] حديث «المدينة كالكير تنفى [خبثها] ».

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۴۷

قيل: معناه تصفى أهلها من الكدورات، حتى يكونوا محلا للفيض الرحمانى.

و قيل هو على بابه و يكون إخراج الخبيث منها زيادة فى [حسرته] و هذا بعيد مما أعتقده. أو هو من باب الترهيب.

فهذا اختيارى فوافق ان رضيت بهاو لا فدعنى و من أهوى و اختاره

و ما أحسن ما كتب به بعضهم إلى أبى الوفا:

أيجوز أن أظمأ و ماء غديركم‌عذب و فيه من الزلال رحيق

و يضيمنى دهرى و فى عتباتكم‌تلقى الرجال و تستريح النوق

«فكتب له الجواب»

أهلا و سهلا إن أتيت و مرحبّاما فى حمى كرم الأحبة ضيق

لا [تيأس] من روح من أحببته‌فعلى الأحبة [للمحب] حقوق

و ما أحسن ما قال:

و بعد ذاك الجفا إن جئت معتذرّاإلى حمانا تجد عفوّا و غفرانا

حتى تظن بأن الوصل ما برحت‌أيامه و كأن الهجر ما كانا

و من محاسنها أنه عليه السلام. «رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة».

فأصبح على بئر غرس. و «رؤيا الأنبياء حق» [عليهم الصلاة و السلام] .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۴۸

و منها [أن] العجوة من الجنة . فقد اشتملت المدينة المنورة على شىء من أرض الجنة [و مياهها] و ثمارها ... و ما أحسن ما قال:

رياض نجد بكم جنان‌فضية حورها حسان

و ترب واديكم بنجدمسك و حصباؤها جمان

و الجار فى ربعكم عزيزو الحد فى أرضكم مصان

و الريح من [شعبكم] عبيرو الزهر ورد و زعفران

يا من لهم فى الفؤاد مثوى‌عذابه يشهد الجنان

كم حن قلبى إلى لقاكم[و بيننا] الغور و الرعان

و كنت أخفى الهوى و دمعى‌من شدة الوجد ترجمان

و بالجملة فقد اشتملت المدينة الشريفة على محاسن تعشقها العقول و أوانس ما بين القلب و همومه تحول. و لطائف تعطر أندية الأفكار طيبا، و تعطى من تعرض لنفحاتها من عرفها الطيب نصيبّا.

و حدثنى يا سعد عنها فزدتنى‌شجونّا فزدنى من حديثك يا سعد

فما أحلى ذاك الحديث و هو حبيب النفس و عشيق الطبع و سمير ضمير الجمع. تتولع به الأرواح لا ـ الرياح، و تزهى به الألسن لا الأغصن، و تبدو به طلعة البئر لا الشجر [و يحلو] بجناه. الجنان لا الجنان [يجلو به] المنطق السحار لا الأسحار.

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره‌هو المسك ما كررته [يتضوع]

فإن قر قلبى فاتهمه و قل له‌بمن أنت بعد العامرية [تولع]

قال المجد الشيرازى فى المغانم المطابة فى مقام طابة: و بعد فإن العناية بالمدينة

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۴۹

الشريفة متعينة و الرعاية لتعظيم حرمتها لكل خير متضمنة و الوسيلة [تبشر] شرفها شائعة و الفضيلة لا شتات معاهدها جامعة لأنها طابة ذات الحجر المفضلة، و دار الهجرة المكملة و حرم النبوة المشرف بالآيات المنزلة و البقعة التى تهبط الإملاك عليها «و المدينة التى يأرز الإيمان إليها» و المشهد التى تفوح أرواح نجد من ثياب زائريه و المورد الذى لا تروى من الشوق إليه غلة واردية و البقعة التى خصها اللّه تعالى بالنبى الأطهر «و الحومة التى فيها الروضة المقدسة بين القبر و المنبر» و التربة التى سمت على الآفاق بساكنها و فضلت على جميع بقاع الأرض بالبقعة [التى] هى أفضل أماكنها.

بقعت ضمت الرسول تسامتو علا قدرها على الآفاق

فهى عند الجميع لا شك خيرمن جميع الثرى على الإطلاق

و جدير [لمواطن] عمرت بالوحى و التنزيل. و تردد فيها الأمين جبريل [عليه

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۵۰

السلام] لمواطن صح و اشتملت تربتها على جسد سيد البشر، و انتشر عنها من دين اللّه تعالى ما انتشر. مدارس آيات و مساجد صلوات، و مشاهد خيرات، و معاهد معجزات، مناسك دين، و مسالك تمكين، مواقف سيد المرسلين، و متبوء خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة و فاض عبابها و مواطن [مهابط] الرسالة و أول [أرض] مس جلد المصطفى ترابها، أن تعظم حوماتها و تستنشق نفحاتها، و تقبل ربوعها و ساحاتها.

دار خير المرسلين و من بهدى الأنام و خص بالآيات

عندى لأجلك لوعة و صبابةو تشوق متضاعف الزفرات

و على عهد إن ملأت محاجرىمن تلكم الحومات و الساحات

لأعفرن مصون وجهى [بينها] و أقبل الآثار و الحجرات

قال فى المواهب اللدنية: و قد أطلت فى الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة، و إن كان مذهب إمامنا الشافعى تفضيل مكة لأن هوى كل نفس حيث حل حبيبها على أن للقلم فى أرجاء تفضيل المدينة مجالا- واسعا و مقالا- جامعا، لكن الرغبة فى الاختصار تطوى أطراف بساطه و الرهبة من الإكثار [تصدق] و عن تطويله و إفراطه و أنت إذا تأملت قوله عليه السلام «يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه و قريبه هلم إلى الرخاء و المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون و الذى نفسى بيده لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف اللّه فيها خيرا منه» ظهر لك أن فيها [إشعارا يذم] الخروج من المدينة بل نقل المحب الطبرى عن قوم انه عام أى مطلقا [أبدا] و قال انه ظاهر [اللفظ] انتهى.

و أقول [فى المعنى]

أيا ساكنى أكناف طيبة حسبكممن السعى [للعليا] جيرة أحمد

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۵۱ فمن يبتغى عنها بلادا و إن سمتلأمر من الدنيا فليس بمهتد

و ما أحسن ما قال [الناظمى] محمد بن مسدد

على عهود عن دياركم لا [أخطو] و لو [طال] فيها العيش أو طاول القحط

على أننى فيها على خير حالةعزيز جناب لا يزاولنى البسط

أبى اللّه أن ترضى سواها [حيلتى] [فتنتقل] أقدامى إلى غيرها الوخط

أأرحل عمن لا يضام نزيلهو من لا يطيق الخطب فى جاره [يسط]

[أأضرب] صفحا عن شفيعى و نافعىإذا أعرضت عن الأقارب [و الرهط]

فما أسعد القوم الذين [رضوا] بهمعينا و فى أكنافه أبدا حطو

أولئك يمحو اللّه عنهم ذنوبهمو لو عظمت فحشا و لم يمحوها ضبط

[فكم] عسرات إلى أقيلت ببائهو من شدة حلت و قد أحكم الربط

و لى هفوات قد كثرت و لا أرىلها غير جاه المصطفى نافعا قط

فيا سيدى سل لى من اللّه عطفةو طيب رضى لا يختشى بعده سخط

و جبر الكسير ظالما قد شكوتهإليك فداركنى ليجبر الوهط

و خذ بيدى يا أكرم الخلق عند ماأقدم يوم العرض إذ ينصب القسط

هناك لك العليا هناك لك الرضاهناك لك العز الذى ماله خلط

عليك صلوات اللّه ثم سلامهو آلك و الأصحاب ما اضطرب الخمط

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۵۲

باب فيما يتعلق بالحجرة المعطرة

و المنبر الشريف و ذكر فضل الروضة [المطهرة] و المسجد المنيف [نفائس هذا الباب] أنفاس روضة. و نظم المعانى سلسبيل و سلسل. لما بنى النبى صلى اللّه عليه و سلم مسجده بنى لنسائه حجرا على نعت بناء المسجد من اللبن و جريد النخل و هى تسعة أبيات على أبوابها مسرح الشعر الأسود طول كل ستر ثلاثة أذرع [و] و العرض ذراع، فلما كانت أيام الوليد بن عبد الملك أمر بإدخالها فى المسجد و لم تكن منه قبل بنائها.

[و عن] سعيد بن المسيب انه قال «وددت انهم لو تركوها على حالها ينشأنا شىء من المدينة و يقدم قادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول اللّه صلّى اللّه تعالى و سلم عليه، فى حياته فيكون ذلك فيما يزهد الناس فى التكاثر و التفاخر.

قلت: و حيث قامت بأوصاف هذه الحجر أقلام الأعلام فهى بأبصار التصور لذى الاعتبار مشاهدة و لكن المحسن و المقبح كما يقال هو العرف فيا ليت شعرى ما الفائدة:

أرى الصمت خيرا من [عظات] بليغةإذا لم يكن للسامعين قبول

و أما الحجرة الشريفة النبوية فقد بنيت مرات و من أحسن ما [حكى] فى ذلك أن السلطان نور الدين [الشهيد] حفر حولها خندقا إلى الماء و ملأه بالرصاص المذاب و ذلك فى سنة سبع و خمسين و خمسمائة بسبب واقعت النصرانيين. فصار [ذلك] صورّا محكمّا على الحجرة و اما المقصورة الآن و القبة المشرفة ففى غاية الاتقان و الاحكام و هى ملحوظة بعناية اللّه تعالى للولادة و الحكام [و لسنا] فى صدد اخبار

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۵۳

عمارتها و القيام عليها بل فى التعرض لذكر بعض محاسنها فمن ذلك الزيارة التى هى الغنيمة و النعمة السنية العظيمة.

هنيئا لمن زار خير الورىو حط عن النفس أوزارها

فإن السعادة مضمونة[لمن] حل طيبة أو زارها

قال العلامة فى الجوهر المنظم: نقل المطوعى عن السلف أنهم كانوا قبل إدخال الحجر فى المسجد يقفون فى الروضة مستقبلين الرأس الشريفة، لتعذر استقبال الوجه الكريم و إذا سن استدبار القبلة فى الخطبة لأجل مواجهة السامعين فلأجله أولى.

[و أى] بلاد اللّه حلت به فماأراها و فى عينى حلت غير مكة

و أى مكان ضمها [حرم] كذاأرى كل دار أوطنت دار هجرة

و الوقوف أفضل فإن قعد [جثا] على ركبتيه. ناظرّا إلى الأرض أو إلى أسفل ما يستقبله من جدار القبر الشريف. [و يغض] طرفه عما هنالك من الزينة و غيرها. و يمثل ذاته الشريفة بين عينيه حتى كأنه يراه مع ملاحظة الأدب [و الاستغاثة] .

و ما أحسن ما قال:

[بمثلك] الشوق الشديد لناظرىفاطرق أجلالا كأنك حاضر

و قال آخر:

و اطراق طرف العين ليس بنافعإذا كان [طرف] القلب ليس بمطرق

مسألة: إذا وقف وضع يمينه على يساره. على ما قاله الكرمانى و روى الإرسال و لكل [وجه] .

وجه الأول: أنه يستلزم أن يكون الإمساك محاذيا للقلب، و يستفاد منه أنه لا يمسك كذلك إلا [النفيس] و منه ينتقل إلى أنه لا أنفس من القلب، فيمسك عن الخواطر المذمومة فكان الإمساك الحسى وسيلة إلى الإمساك المعنوى الذى هو روح الصلاة، و سرها المقصود منها.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۵۴

و وجه الثانى: أن الإرسال صورة الانطراح، بل الموت المشار إليه بموتوا قبل أن تموتوا. فحقيقة الحركات و السكنات لله الواحد القهار. [و بملاحظة] ذلك يكون الإرسال أولى، و هو سنة أهل البيت فتأمله.

مسألة: يسن للزائر أن يقصد الروضة المطهرة مع الوقار و الافتقار فيصلى تحية المسجد، بمصلاة عليه [الصلاة] السلام و هو المحراب النبوى و يسجد للشكر على نعمة الوصول إلى هذا المقام. ثم يقصد القبر المكرم نحو الرأس الشريف كما هو المأثور عن أهل البيت. مع أن فيه إيثار الأشراف فهو [اللائق] بالأدب و لأنه عليه [الصلاة] و السلام «لما فرع من دفن إبراهيم قال عند رأسه: «السلام عليكم» و هو ظاهر فى أن السلام من جهة الرأس و يختم بوقوفه عند القبر الشريف عند نهاية الصفة مما يلى القبلة بصف [اسطوانة] التوبة. إذ هو موقف السلف فيدعو و يصلى و يسلم.

و عن المجد اللغوى: السلام عليه صلّى اللّه عليه و سلم عند قبره أفضل من الصلاة للأخبار الواردة .

و ينبغى بعد زيارة اللقاء أن يجمع بين الصلاة و التسليم و عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما «لا ينبغى الصلاة من أحد إلا على النبى صلّى اللّه عليه و سلم».

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۵۵

و قيل: يقصرها على الأنبياء.

و قيل عليه دونهم.

و قيل: بجوازها مطلقا بلا كراهة.

و قيل: تبعا و مثلها السلام، إلا إذا كان تحية لحاضر أو طى غائب حكاه ابن حجر.

مسألة: من استودع السلام قال: السلام عليك يا رسول اللّه من فلان بن فلان.

و إبلاغه سنة لأنه للاستمداد منه صلّى اللّه عليه و سلم بخلاف إرسال السلام للغائب فإن إبلاغه واجب على من لم يصرح بعدم قبول تحملة عقب التحميل لأن فى تركه وسيلة إلى المقاطعة المحرمة .

مسألة: نقل ابن الهمام أن مذهب أبى حنيفة رحمه اللّه تعالى استقبال القبر الشريف قال: و ما نقل عنه يعنى قول الكرمانى من استقبال القبلة مردود بما رواه فى مسنده عن ابن عمر رضى [اللّه تعالى] عنهما مرفوعا أنه قال: «من السنة استقبال القبر المكرم و جعل الظهر إلى القبلة و يقف على نحو أربعة أذرع من جدار القبر الشريف» و ذلك أقل من مراتب [البعد] . و أما الإطالة و خلافها فهى بحسب الحضور فمن فقده فالانصراف أولى به و يسلم على الصديق الأكبر، و الفاروق الأطهر، و إفراد كل بالسلام أولى.

[و عن] مالك رحمه اللّه تعالى: السلام عليكما يا صاحبى رسول اللّه [صلى اللّه عليه و سلم] و هكذا فى بعض مناسك الحنفية. و هل يشير بأصبعه إذا أراد الزيارة إلى الصاحبين كما هو صنيع أهل البادية. قال فى مناسك السروجى نعم يشير بيديه إليهما، إذا أراد أن يسلم عليهما و لا أدرى ما معنى التخصيص لأنهم يسلمون على النبى صلّى اللّه عليه و سلم كذلك.

مسألة: كره مالك رحمه اللّه تعالى و غيره من الأئمة دون الثلاثة كلما دخل الرجل المسجد و خرج [الوقوف با] لقبر الشريف. قال: و إنما ذلك [للغرباء] و ذلك كله

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۵۶

قد يفضى إلى [الملل] و قلة الأدب و الحكم يدور مع العلة و عنه عليه [الصلاة] و السلام «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد» .

مسألة: قال فى الجوهر المنظم: مذهب أهل البيت تقبيل القبر و مسه و قال أحمد بن حنبل رحمه اللّه تعالى: لا بأس به و عليه المحب الطبرى و ابن أبى الصيف و غيرهم من الأجلا كالسبكى و أضرابه .

و قال الغزالى فى الأحياء. مس المشاهد و تقبيلها عادة اليهود و النصارى ، و لما رجع بلال رضى اللّه عنه من الشام جعل يبكى و يمرغ وجهه على القبر.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۵۷

و عن الزهراء البتول رضى اللّه تعالى عنها لما قبر عليه [الصلاة] و السلام أخذت قبضة من تراب قبره [عليه الصلاة و السلام] و جعلته على عينيها و بكت و أنشدت:

ما ذا على من شم تربة أحمدأن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت على مصاب لو أنهاصبت على الأيام صرن لياليا

و فى حديث أبى أيوب الأنصارى رضى اللّه تعالى عنه أن مروان أقبل فرآه ملتزم من القبر المكرم، فأخذ برقبته. و قال: هل تدرى ما تصنع قال: نعم لم آت الحجر و إنما أتيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم.

لا تبكوا على الدين إذا وليه أهلهو لكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله

و عن بعضهم:

اتبع طريق الهدىو لا يضرك قلة السالكين

و إياك و طرق الضلالةو لا تغتر بكثرة الهالكين

و هذا الحق ليس به خفاءفدعنى من بنيات الطريق

[مسألة] : إن قيل: ما [حكمة] دفنه عليه [الصلاة] و السلام بالمدينة المنورة و قد جاء أن كل أحد إنما يدفن فى المحل الذى خلق منه و إنما خلق عليه [الصلاة] و السلام [من الطينة التى خلقت منها الكعبة] .

[قيل] : حكمة افراده عن مكة [المشرفة] بمحل بعيد منها ليكون متبوّعا لا تابعًا، و لتتمايز الناس فى شد الرحال إلى [نصوصه] .

[و قد] حكى صاحب عوارف المعارف أن الطوفان لما علا الكعبة موج منها موجة إلى كل محل قبره الشريف فهو فى الحقيقة لم يدفن إلا فى أصل الكعبة.

و حكى السهروردى أن سليمان عليه السلام زار محل قبر محمد صلّى اللّه عليه و سلم و أخبر بأنه سيقبر فيه، و اختصاص المدينة بذلك من بين قرى الحجاز لأنها باعتبار ذاتها لا بما عرض لها من نحو [حماها] مع أنها نقلت إلى الحجفة أعذب أرض فى تهامة

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۵۸

[و أعدلها] و أكثرها ماء و نخيلا، و أحسنها أهلا و مقيلا سيما و فيها أخوال نبينا صلّى اللّه تعالى و سلم عليه و أنصاره [إلى] غير ذلك من محاسنها و محاسنهم الجمة التى لا تكاد توجد فى غيرهم.

و ما أحسن ما قال:

زر أشرف الرسل الكرام و إن بنابك [منزلا] و شط قرب مزاره

فعليك بالتاريخ يا [مغرم] بهلتشاهد الأخبار من آثاره

مسألة: قال العلامة ابن حجر فى كتابه الجوهر [أن] النبى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه حى يرزق، أى من المعارف الربانية و الكرامات الرحمانية ما يليق بعلى مقامه و يتلذذ [به] فى قبره. كما كان يتلذذ به قبل وفاته و لكونه غذاء لروحه الشريف عبر عنه بالرزق.

مسألة: النفس كلما كان استيلاؤها على ما ليس من شأنه الدخول تحت حيازتها، لو لا ما اختصت به من ضروب مقاهرته كانت به أشد

ابتهاجًا و أنشدوا:

رأيت النفس تسأم ما لديهاو تطلب كل ممتنع عليها

و قد أجمعوا على أن إحساس النفس بالملائم و المناقى بعد مفارقة البدن أشد و أقوى للتخلى له، فيكون الإدراك بالحواس الباطنة أقوى لشبهها عند خلوها بهذه الحواس بحالة المفارقة و قالوا [بتصور] الذات المحمدية بما وصفت به سبب لمشاهدتها التى هى من أسنى المطالب [إشارة فى ضمن بشارة] روى عنه عليه الصلاة و السلام «من رآنى فى المنام فقد رآنى فى اليقظة و لا يتمثل بى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۶۰

الشيطان» . و عنه من «رآنى فقد رأى الحق» . و عنه «من رآنى فلن يدخل النار»

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۶۲

و فى رواية لن يدخل النار من رآنى كذا فى التحفة الفاخرة فى إصلاح الدنيا و الآخرة، و فى المواهب اللدنية عنه عليه [الصلاة] السلام «من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة. أو فكأنما رآنى فى اليقظة و لا يتمثل بى الشيطان».

و عنه: «من رآنى فى المنام فقد رآنى. إنه لا ينبغى الشيطان أن يتمثل فى صورتى .

قال القاضى أبو بكر بن العربى: رؤيته صلّى اللّه تعالى و سلم عليه بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة و رؤيته على غير [صفته] إدراك المثال فإنه الصواب ان الأنبياء [عليهم السلام] لا تغيرهم الأرض فيكون إدراك الذات الكريمة حقيقة و إدراك الصفات

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۶۳

إدراكًا للمثال قوله «فسيرانى» تفسيره فسيرى ما رأى لأنه حق [و غيب] قوله «فكأنما رآنى» قيل معناه انه لو رآنى فى اليقظة لطابق ما رآه فى المنام فيكون الأول حقّا و حقيقة و الثانى حقّا و تمثيلا، و هذا كله إذا رآه على صورته المعروفة [فإن رآه على خلاف صورته المعروفة] فى حياته فهى أمثال و المعتمد أن رؤيته فى كل حال ليست باطلة و لا اضغاث أحلام .

و عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما انه رأى النبى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه فى النوم فبقى [متفكرًا] فى هذا الحديث بعد أن استيقظ فدخل على بعض أمهات المؤمنين لعلها خالته ميمونة فأخرجت له المرآة التى كانت للنبى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه فنظر فيها صورة النبى عليه السلام و لم ير صورة نفسه.

و تم وراء النقل علم يدق عن مدارك غابات العقول السليمة.

[و قال] الغزالى ليس معنى قوله «فقد رآنى» انه رأى جسمى و إنما المراد انه رأى مثالا صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذى فى نفسى إليه و الآلة تكون تارة حقيقة و تارة خيالية و النفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه و لا شخصه بل هو مثاله على التحقيق.

و قال فى بعض فتاويه: من رأى الرسول صلّى اللّه عليه و سلم فى المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة المنورة و إنما رأى مثاله لا شخصه و ذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة و الشكل.

قال الطيبى المعنى من رآنى فى المنام بأى صفة كنت [فليبشر] و ليعلم أنه قد رآنى رؤيا الحق و كذا قوله فقد رآنى [فالشرط و الجزاء إذا اتحدا دلا على الغاية فى الكمال أى فقد رآنى] رؤيا ليس بعدها شىء و لا يخفى طيب نشر هذا القول.

و ما أحسن ما قال:

ليته خصنى برؤية وجهزال عن كل من رآه الشقاء

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۶۴ أو بتقبيل راحة كان للهو فى اللّه أخذها و العطاء

و أما رؤيته صلى اللّه تعالى و سلم عليه فى اليقظة بعد موته فلم تنقل عن أحد من الصحابة و التابعين و قد اشتد حزن فاطمة صلوات اللّه على أبيها و عليها عليه حتى ماتت كمدًا بعده بستة أشهر و بيتها مجاور لضريحه الشريف. و لم [ينقل] عنها [رؤيته] فى المدة التى

تأخرتها عنه و إنما يحكى ذلك عن بعض الصالحين. عن أنفسهم أنهم رأوه فى المنام فرأوه فى اليقظة أخذا بظاهر حديث «من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة».

قيل: و المنكر لذلك إما أن يكون ممن يؤمن بكرامات الأولياء أولا، فإن كان الثانى فقد سقط البحث معه فإنه يكذب ما أثبتت السنة بالدلائل الواضحة و إن كان الأول فهذه منها لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء فى العالمين العلوى و السفلى، مع التصديق بذلك.

[قال] الشيخ أبى السعود: لم يكن لى شيخ إلا النبى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه و إنه كان يصافحه عقب كل صلاة.

و قال الغزالى: أرباب القلوب فى يقظتهم يشاهدون الملائكة و أرواح الأنبياء و يسمعون منهم أصواتا و يقتبسون منهم فوائد.

و ما أحسن ما قال:

رأى الشمس لا تبقى النجوم لعينه[فظن] النجوم الأفق قد [عدمت] و هما

رويدك لا أن النجوم تغيبتو لو قويت عيناك ما فقدت نجما

فكن عبد ما تبدو من الحسن و اتخذإلى القبح معنىّ يجعل القبح حسنّا [ما]

و دعنى و حالى فهو حالى بروضةزهت و غدير صفقت و رشا الما

و دع لائما فى العشق قد مات فهمهفهل قادر [على] أن تستعير له فهما؟

و بالجملة فالقول برؤيته بعد موته بعين الرأس يقظة يدرك فساده بأوائل العقول لاستلزامه خروجه من قبره و مشيه فى الأسواق و مخاطبته للناس و خلو قبره من جسده الشريف فلا يبقى منه شىء بحيث يزار مجرد القبر و يسلم على غائب، أشار إلى ذلك «القرطبى» فى الرد على القائل بأن الرائى له فى المنام رأى حقيقة ثم يراه كذلك فى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۶۵

اليقظة قال: و هذه جهالات لا يقول بشىء منها من له أدنى سكة من المعقول و ملتزم شىء من ذلك مختل [مجنون] .

و للشيخ مسلم شيخ الطائفة المسلمة:

فمن يدعى فى هذه الدار أنهيرى المصطفى حقا فقد فاه مشتطا

و لكن بين النوم و اليقظة التىتباشر هذا الأمر مرتبة وسطا

كذا فى المواهب.

و قال مولانا السيد صبغة اللّه. قدس [اللّه] روحه العزيز عند قوله [و خلوه] من قبره فيه نظر و تأمل لا يخفى.

قلت: لعله ينظر من طرف خفى إلى قول أبى الطيب المتنبى:

كالبدر من حيث التفت رأيتهيهدى إلى عينيك نورّا ثاقبا

كالشمس فى كبد السماء و ضوؤهايغشى البلاد مشارقّا و مغاربا

و ما أحسن ما قال الآخر:

و ما البدر إلا واحد غير أنهيغيب و يأتى بالضياء المتجدد

فلا تحسب الأقمار خلقّا كثيرةفجملتها من نير متعدد

[و فى الحى هيفاء المعاطف لو بدتمع الورق كأن الوقت فيها تغنّت

عجبت لها فى حسنها إذا انفردتلأية معنى يفد نراك تشتت]

[و ما أحسن ما قال] :

[ترى] ترى منه عينى ما وعت أذنىو يشرح الخبر ما قد أجمل [الخبر]

[فعشقتى] فيه لأن رؤية عرضتو السمع يدرك ما لا يدرك البصر

[و ما أحلى ما قال]:

فمن كان من كنز المواهب منفقّافليس فقيرّا للتعمل و الكسب

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۶۶ و من كان فى وجه الكريم مطالعّافليس فقيرّا للرواية و الكتب

و أقول:

أرى مطالعتى فى الكتب ما نفعتلعل وجهك يغنينى عن الكتب

فمن رأى وجهك الباهى [و مهجته] فإنه فى غنى عن كل مكتتب

مسألة: قال فى الجوهر: ليس للإنسان أن يشم طيبّا فى كل يوم. فإن لم يستطع ففى كل يومين فإن لم يستطع ففى كل جمعة.

قلت: من محاسن المدينة و فضل سلطان الأنبياء عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم أن فى كل ليلة جمعة يطلق أنواع البخور و العنبر فى الحجرة المعطرة فيشمه كل من كان فى المسجد الشريف و يكتفى به الفقير و العاجز.

مسألة: تجاه الوجه الشريف فى الجدار مسمار من فضة مموه بالذهب فى رخامة حمراء. من استقبله كان مستقبل الوجه الشريف.

قال ابن حجر فى الجوهر المنظم [قلت] : و كان يسمى الكوكب الدرى حتى كانت أيام [المقدس المبرور] السلطان ابن السلطان ابن السلطان مولانا السلطان أحمد خان عليه الرحمة و الرضوان فجعل عليه حجران من الألماس مكفوتان [بالفضة و الذهب] فهما من أثاره الحسنة زاد اللّه فى حسناته و جعل الملك فى عقبه ما دارت بسعادتهم أفلاك عناياته و على ذكر الكوكب [فلله] در الفاضل [ابن سراج حيث يقول] :

الكوكب الدرى من شأنهيخفى معاوجه السراج المنير

فكثروا الجوهر [أو قلل] [سواه] فالجوهر الفرد عديم النظير

[و للسلطان] أحمد خان عليه الرحمة و الرضوان الأثار الحسنة و المآثر المستحسنة [و الصلات] الجارى ثوابها فى صحائفه و الهبات التى خلدت فى صحف أخبار مكارمه و لطائفه و من أحسن آثاره الباقية حسناتها على تعاقب الملوان الحنفية

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۶۷

المجاورة لباب الرحمة، فإنه حسن [وصفها] ، و عم من فى المدينة المنورة نفعها.

إن آثارنا تدل علينافانظروا بعدنا إلى [آثارنا]

[أو كما قال] :

همم الملوك إذا أرادوا [ذكر] من بعدهم [فبالس] البنيان

إن البناء إذا تعاظم شأنهأضحى يدل على عظيم البانى

و على [الخصوص] ذلك [السبيل] المشتمل على الماء السلسبيل فإنه عز و سما وصفه على الواصف و أبى [إلا] أن يتزايد [ثوابه] المتضاعف:

سلسبيل الماء فيه مطلققيد الناس بطيب المورد

قد سرى بين رياض [دبجت] برخام أبيض فى أسود

و جلا فى العين من مرمرةشكل زهر جل على قطف اليد

و فى سنة سبع و أربعين و ألف من الهجرة المأمونة من الرجف قدم المولى الذى تشرفت ديباجة هذا الكتاب بألقابه الشريفة [و تعطرت أزهار أوراقه بنشر شمائله السائقة] اللطيفة. لا زالت رايات العزّ بسعوده خافقة و سواجع السعد بصعوده ناطقة و لا برحت أعوامه مواسم التهانى و أيامه مباسم الأمانى. أعياده تعود مجددة السعود مغدقة بالجود، أيامه عائدة و قد خلدت محامده بالدعوات

الصاعـدة و ذلك بعـد قضائه المناسك الشـريفة إلى هـذه المدينـة المنيفة و معه حجر من الألماس محفوف بأحجار مختلفة [مكفوتة] بصفائح الفضة و الذهب. و هذا الحجر من آثار صدر الدولة العثمانية و ركنها الشديد و عمار الخلافة الخاقانية و أمينها الرشيد المسدد بعناية اللّه تعالى فى الأقوال و الأفعال القائل فيه بشهادة الواقع لسان الحال:

ليس الزمان بصالح إلا علىتدبيره فى النقض و الأبرام

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۶۸

ألا و هو الصدر الذى تحملت به صدور المواكب و أصبح بين أقرانه كالبدر بين الكواكب أجل [وزراء] خليفة اللّه تعالى على مسطح البسيطة شرقّا و غربّا و أجمل من شمله نظر سلطان من سلاطين الأمة و منحه قربّا. أنيس الحضرة السلطانية و جليس الدولة الخاقانية عمدة أصحاب العز و التمكين، قدوة الخواص و المقربين المتحلى بالنعوت الكريمة المصطفوية المتخلى إلا ـ عن الكمالات النبوية المحفوظ من الاغيار [و الأكدار] مولانا مصطفى باشا سلام دار لا زال المستحق يستوفى من ذمة الزمان فى أيامه الشريفة ديونه و لا برح من الأنصار [يعلو] همته و إحسانه لمن هاجر إلى هذه المدينة و اللّه تعالى يبقيه صدرّا منشرحّا تتعالى عقود الممالك منه بحسن النظام و بحسن خاتمته إن شاء اللّه تعالى يصير مسكا لكل ختام، و بالدعاء أرى ختم الكلام له فما توفيه حق المدح أقلام اللهم يا من بيده مقاليد الأمور و يا من يبدل القضاء المبرم بسابق لطفه و صالح الدعاء المبرور أيده بملاحظة عناية مولانا السلطان الأعظم و الخاقان المكرم الأفخم المنوه باسمه الكريم فى صدر هذا الكتاب. المفضى له بالسعد المؤبد على تعاقب الأحقاب لا زالت مقاليد الأمور بيديه كأعنة حياده [مذللا] تحت قدمه الشريف كالركاب [حزب] اعاديه و أضداده و لا برح كل مستحق مستوفيّا فى أيامه الشريفة ما كان له فى ذمة الزمان من الديون ممتعّا بالارتشاف من عذب هذا المنهل الذى ما برح عينّا يشرب بها المقربون و اللّه تعالى يمده بعنايته فى [إقامته] [و مستقره] و يجعل مبتدأ [رحيله] مقترنّا بحسن خبره آمين آمين لا أرضى بواحدة. بل ألف آمين فى [ألف] أمينّا فوضع المولى المنوه باسمه الكريم أعلاه. دام غلاه ذلك الحجر المكرم تحت الحجرين المذكورين جدار الضريح المعظم [فزاد به] شعار الإسلام جمالا و اكتسب بهذه الخدمة السنية فضيلة و كمالا.

و إذا سخر الإله أناسالسعيد فإنهم سعداء

و قلت [أنا] فى ذلك، و إن لم [أكن حاضرّا هناك] :

زار خير الأنام خير همامقد تسمى شعبان و هو ربيع

عم جيران أحمد بنوالدون ذاك النوال خصب مريع

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۶۹ جاء بالجوهر الثمين لطهمن وزير و هو الجناب [المنيع]

مصطفى المجد و الندى و المعالىو سلحدار نعمة لا تضيع

يا له جوهرّا تسامى و سامىبمقام فيه الثنآء يضوع

عند وجه النبى قد وضعوهفغدا و هو مشرق و لموع

كان هذا فى عام سبع و ألفو تمام النظام فيه بديع

و بالجملة فإن هذا الحجر الميمون مما زان و ازدان و صار أثرّا حسنّا يبقى إن شاء اللّه تعالى على ممر الزمان.

[و ما أحسن ما قال فى غير هذا المجال

و إذا الدر زان حسن وجوهكان للدر حسن وجهك زينا

و تزيد ابن أطيب الطيب حسنّاإن تمسيه ابن مثلك ابنا]

و ما أحسن ما قال فى غير هذا المجال:

أقول و الدر على جيدهايزهو بما فيها من الزين

ما علق الجوهر فى نحرهاإلا لما تخشى من العين

مسئلة: قال العلامة ابن حجر فى كتابه الجوهر المنظم فى زيارة القبر المعظم:

النظر إلى الحجرة المعطرة و القبة الشريفة عبادة كالنظر إلى الكعبة المشرفة [يعنى] أن الناظر إليها يثاب عليها حيث ورد كما رواه أبو الشيخ عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها مرفوعًا «النظر إلى الكعبة عبادة» [و روى] الطبرانى و الحاكم. «النظر إلى على عبادة» .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۷۰

[قيل] معناه أن عليًا رضى اللّه عنه كان إذا برز قال الناس لا إله إلا اللّه ما أشرف هذا الفتى لا إله إلا اللّه ما أعلم هذا الفتى لا إله إلا اللّه ما أكرم هذا الفتى لا إله إلا اللّه ما أشجع هذا الفتى فكانت رؤيته رضى اللّه عنه تحملهم على كلمة التوحيد كذا فى النهاية.

و الحاصل أن كل ما يكون النظر إليه يدل على الحق فهو عبادة كما روى أن أولياء اللّه تعالى هم الذين إذا رأوا ذكروا اللّه تبارك و تعالى.

وجوه عليها للقبول علامةو ليس على كل الوجوه قبول

وجوه إذا ما أسفرت عن جمالهاسجدت على أعتابهن عقول

و قال آخر:

[وجه] عليه من الحياء سكينةو مهابة تجرى مع الأنفاس

و إذا أحب اللّه يومًا عبدهألقى عليه محبة للناس

و من الأشعار التى يجوز أن تنشد تجاه الحضرة النبوية و سمع بإنشاد بعضها من بعض العلماء عند القبر الشريف و حصل بإنشاد بعضها المدد الشامل الوسيع من ذلك الجناب الرفيع:

إليك و إلا [لا] تشد الركائبو عنك و إلا فالمحدث كاذب

و فيك و إلا فالرجا مخيبو منك و إلا لا تنال الرغائب

و منها للشيخ عبد الرحيم البرعى:

يا سيد العرب العرباء معذرةلنادم القلب لا يغنى تندمه

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۷۱ يا صاحب الوحى و التنزيل مرحمةفأنت تعفو عن الجانى و تكرمه

أثقلت ظهرى [بأوزارى] و جئتك لاقلب سليم و لا شىء أقدمه

لك الجميل من الذكر الجميل و من كل اسم جود عظيم الجود أعظمه

فانهض بضيع كتيب أنت ملجؤهو امنعه من كل خطب مر مطعمه

و اجعله منك بمرأى العين مكرمة[إذا ألم] به من ليس يرحمه

و إن دعا فأجبه و ارحم جانبهيا خير من دفنت فى القاع أعظمه

عليك من صلوات الله أكملهايا ماجدا عمت الدارين أنعمه

و الآل و الصحب ما لاح النجاح و ماحامت على أبرق الجنان حومه

و من ذلك فى هذه المسالك:

إن لم أكن أهل [أهيل] لقربكمأو كنت يا سيدى قد ساءنى أدبى

هبنى على الباب مطروحًا قربهاتمر بى نفحات منك تدخل بى

و من هذه [متحب] البهية [و التعب] الشهية.

لا أبرح الباب حتى تصلحوا أعوجىو تقيلونى على عيبى و نقصانى

فإن مننتم [فيا عزى] و يا شرفىو ان منعتم فيا ذلى و خسرانى

و من هذا الفن المشتهى و الحسن الذى انتهى:

فى حالة البعد روحى كنت أرسلهاتقبل الأرض عنى و هى نائبتى

و هذه نوبة الأشباح قد حضرتفامدد يمينك [كى] تحظى بها شفتى

حكى الجلال السيوطى أن السيد أحمد الرفاعى رحمه اللّه تعالى أنشد هذين البيتين عند القبر الشريف فبرزت اليد الكريمة من تحت الستر حتى قبلها و ظفر [بيمنها] و بركتها و ما أحسن ما قاله:

إذا لحت بى ناجتك كل جوارحىو إن غبت عن [العين] أناجيك بالقلب

فأنت [فى] قلبى حضورًا و غيبةو أنت جلا عينى فى حالة القرب

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۷۲

و من هذه الدرر فى هذه الغرر:

كل ربع تحل فيه ربيع كل دار حوتك دار المقامة

كل يوم أراك فيه [معيد] النحر عندى فى حلق أهل الملامة

و مما راق مبناه ورق معناه:

نعم لولاك ما ذكر العقيقو لا جابت له الفلوات نوق

نعم أسعى إليك على عيونىتدانى الحى أو بعد الطريق

إذا كانت تحن لكك المطايافماذا يفعل الصبر المشوق

و من هذا

[و من ألطف ما قال] :

هبنا و من أمسى و أنت حبيبهو لو أن نيران الغرام تذيبه

و طوبى لقلب أنت ساكن سرهو لو بان عنه الفه و قريبه

و تبا لمطرود عن الباب مبعدلقد ضاق فى هذا الوجود رصيبه

[و من هذا النظم العامى و الكلام العالى]

يا طيب الأصلين يا من قربهيهدى المسرة للأحبة و الهنا

إن لم تكن عينى فإنك نورهاأو لم تكن قلبى فأنت له المنا

[و من هذه الدر المكنون فى سلك هذا الفنون] :

أما و الذى أبكى و أضحك و الذىأمات و أحى و الذى أخرج المرعى

لقد خاب من يسعى إلى غير بابكمو فاز الذى يومّا إلى بابكم يسعى

و ما [أوقع ما قال فى كثير] من الرجال:

إنى و إن بعدت دارى لمقترب‌منكم بحسن موالاة و إخلاص

قرب و إن أبدى مودتهأشهى إلى القلب [منه] النازح القاصى

[و للّه در القائل] :

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۷۳ حاولتها فوجدت أسباب الرجاموصولة باليأس من [أسبابها]

إلا لمن أعطى الصبابة حقهاو أتى بيوت الحى من أبوابها

أنشد الجمال الطبرى لنفسه:

أنخ أيها الصادى الشديد ظمؤهو رد منهلا أحلى من الشهد ماؤه

و سل عند باب المصطفى أى حاجةأردت و ما تهوى فرحب فناؤه

[و مما تحرك له القلب] و مما رق [نسيمه] و راق تسنيمه:

أنخ الركائب فى فناء الدارو انزل بساحتها نزول الجار

يهنيك يا سعد الوصول إليهمفلقد بلغت منازل الأبرار

و من الآداب السنية، الموصولة المناهل البهية:

أنخ مطاياك إن ظفرت بهمو اطلب قراهم فإنهم عرب

واسع على الرأس خاضعًا فعسىيشفع فيك الخضوع و الأدب

[سلم سلمت على سلمى بذى سلمو سل سليمى عن المحجوب فى الخيم

و الثم لثام تمام حول حلتهاطاب به نسمات الطيب فى النسم]

[و مما يرتشفه السمع راحا [و يمدحه عليه فى النسيم من الدقة حيالها]

غير ليلى لا [بد] يرى فى الحى شىءسل متى [ما] ارتبت عنها كل حى

كل شىء سرها فيه تسرىفلذا يثنى عليها كل شىء]

و مما يتحرك له الرأس فى هذا الجناس:

إذا نحن أثنينا عليك نصائحفأنت كما تثنى و فوق الذى تثنى

و إن جرت الألفاظ منا بمدحهلغيرك إنسانًا فأنت الذى نعنى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۷۴

و من أصدق المدح فى سلك هذه الملح:

المدح يدرى إنكم أكبرمن كل ما ينظم و ينثر

و إنما يثنى على فضلكمكل ولى بالذى يقدر

و كيف يقضى حقكم مادحضلت قوافيه بكم تفخر

و من أحسن الكلام فى مثل هذا المقام:

نعم هذه الدار الذى أنت تطلبإلى أين عنها يا لك الخير تذهب

أعن دار سعدى بعد ما بان بانهاو فاح شذا أنفاسها تتجنب

و لاحت و هو يومًا توارت و إنمابتنزيهها عن ذاك طرفى يكذب

و من أحسن ما وشته الأقلام و حصل به المرام:

الحمد لله هذا القصد و السولحبل الوصال بخير الرسل موصول

هذا مرادى و هذا منتهى أملىو كم كان لى فى الوصل تأميل

هذا أسر سرور قد سررت بهفالسعد ساعدنى و الشمل مشمول

هذا الهنا و المنا و الخير اجمعهفالصدر منشرح و القلب مشمول

قرت العيون بذا الوصل اللذيذ كمابرت يمينى بفضل الله فالقيل

الحمد لله لا أحصى الثناء لهحمدا يكون به للسعد تكميل

و من أجل محاسن الحجرة المعطرة اشتمالها على المدد الشامل لمن زار [معالمها] [و اشتغل] [القلب بالتوجه الصحيح] إلى صاحب الروضة و الضريح (يروى) أن اعرابيّا وقف أمام القبر الشريف و قال يا رسول اللّه سمعت فيما أنزل عليك اللّه وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً [النساء: ۶۴] و إنى قد جئتك مستغفرا من ذنبى و مستشفعّا بك إلى ربى» قال الراوى فأخذتنى سنة فرأيت النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه فقال لى إلحق بالأعرابى فبشره بالجنة» و الأخبار من ذلك كثيرة و فى الصحيح انه عليه السلام قال

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۷۵

«من زار قبرى و جبت له شفاعتى» قال بعض العلماء: يجب على زائره صلى اللّه تعالى و سلم عليه أن يجزم بنجاته و عنه. عليه السلام؛ «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى» «و من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة» و عنه عليه السلام «لا يكيد أحد أهل المدينة إلا انماع و إن أمهل كما ينماع الملح فى الماء» و عنه عليه السلام «اللهم [اكفهم] من دهمهم» أى أغار عليهم بغتة و عنه عليه السلام «اللهم من ظلم أهل المدينة و أخافهم فأخفه و عليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين. لا يقبل اللّه منه صرفّا و لا عدلا» و عنه عليه السلام «اللهم إن ابراهيم خليلك

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۷۶

و عبدك و نبيك دعاك لأهل مكة، و أنا محمد عبدك و رسولك أدعوك لأهل المدينة مثلما دعاك به إبراهيم لمكة، أدعوك أن تبارك لهم فى صاعهم و مدهم و ثمارهم، اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة و اجعل ما بها من وباء بخم فوائح و فوائح» .

حكى أهل السير أن تبعّا لما قدم المدينة أراد خرابها فجاء حبران من قريظة يقال لهما شحيتا و منيه فقالا أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة و أنها مهاجر نبى من بنى إسماعيل إسمه أحمد، يخرج آخر الزمان فأعجبه ما سمع منهما و صدقهما فيما قالا فكف عن أهل المدينة فهو صلى اللّه تعالى و سلم عليه وقاية و حماية و معونة لسكان بلده قبل ظهوره و بعد ظهوره فى حياته و بعد وفاته اللهم اجعلنى و من أحبه دايمّا أبدا جاره و لا تحرمنى بفضلك بالدارين جواره فإن العيون لا تنقطع عن الكريم و الذنوب لا تمنع من [إحسان] الرؤوف الرحيم.

إن كان لا يرجوك إلا محسنفيمن يلوذ و يستجير المذنب

مسك روحى و مسلك توخى وجدانى.

عيانى لزائرى الحضرة الجامعة المحمدية قال اللّه تعالى وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً [النساء:

۶۴] قال مولانا السيد [أسعد] البلخى تغمده اللّه برحمته صريح النص يدل على أن الظالم سواء كان مشركا أو مسرفا أو منافقا لو جاء إلى النبى صلى اللّه تعالى عليه و سلم مستغفرّا تائبّا مما كان منه من التفريط و استغفر له الرسول صلى اللّه عليه و سلم و هو قد استغفر للجميع فإنه مأمور به لهم من عند اللّه تعالى «لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» فإذا تحقق الشرط و هو مجيئه مستغفرا ترتب عليه الجزاء و هو وجدان اللّه تعالى توّابا رحيما و المجىء إليه عليه السلام أعم من أن يكون فى حياته [أو] بعد انتقاله بل بعده أبسط حضورا لمن قصده و لا شك أن التوجه إلى وجهته الروحية مع التمثل [إليه] بين يديه بالجثمان أكمل و أجمع للفضائل، و إذا كان حال الظالم نفسه هكذا فى زيارته فكيف بالصالح، فضلا عن المتقى و العارف المتحقق، و كلام اللّه تعالى حق و وعده صدق فمن لم يجد اللّه تعالى فى زيارته النبى صلى اللّه عليه و سلم فليراجع نفسه الغبية فإنه إما أخل بالشروط أو وجده سرا وجدانا بسيطا غيبيا منزها عن الكمية مجهول الكيفية و ما تحقق علمّا يقينّا مركبا تصديقيّا

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۷۷

[شهاديا] فلا يلومن إلا نفسه القاصرة، فإنه لا منع فى فيض الحق و لا ضيق فى جاه المرور بل القصور من قبل الزائر [و تحقيق] هذا

الوجدان [وجدان] كان بمعنى أدرك و صادف فهو يتعدى إلى [مفعول واحد و هو الوجد السرى] [البسيط المجهول الكم و الكيف أعنى الحضور الإشراقى عين العالم و المعلوم و إن كان بمعنى علم من أفعال القلوب] فهو يتعدى إلى مفعولين بمعنى التصديق [المركب] المتضمن للحكم الإيقاعى أو الانتزاعى أعنى علم العلم المسمى بالحصولى و الأول العلم الحضورى الإشراقى و هو علمه سبحانه و تعالى بذاته و جميع صفاته و بالعالم الذى هو فعله و علم الملأ الأعلى و علم الإنسان بذاته و لوازمها الأول كذلك. [حضورى بمعنى الانكشاف التام بغير غيبة] و الثانى العلم الحصولى للإنسان العاقل تصورًا أو تصديقًا بما خرج عن ذاته بطريق التمثل الصورى، أعنى ارتسام صور الأشياء فى القوة المفكرة فحصل من ذلك أن العارف المتحقق جامع بين الوجدان السرى البسيط أن اللّه تعالى هو الباعث للعبد الثواب عليه الجائى به إلى الزيارة أو القاصد تشوقًا و محبة أينما كان بالتوبة و الايمان و لكل مؤمن إن كان متوجهًا إليه من سائر الآفاق إيمانا أولا و استحضارًا نجيًا ثانيًا لأنه لا يؤمن إلا بإذن اللّه تعالى خصوصا بالزيارة للزائر و بين التصديق اليقينى الشاهدى أن العبد المؤمن الزائر مظهر اسمه التواب من قوله «ثم تاب عليهم» ليتوبوا.

و الحبيب المزور صلّى اللّه تعالى و سلم عليه بالمؤمنين رؤوف رحيم بالنص فالمؤمن المتحقق بالوجدانين له علم بسيط متعلق بذاته سبحانه و تعالى و صفاته و يشاركه فيه جميع الأشياء المسبحة بحمده تبارك و تعالى و له فضل علم أعنى التصديق اليقينى المتعلق بأحكام اللّه سبحانه و تعالى و أفعاله المترتب بعضها على بعض، و هو مناط الثواب و رفع الدرجات [و أما الزائر] الفاقد فإما أن يكون غبيا لا يدرى الزائر و المزور، و لا تحقق رد المزور سلامه عليه فضلا عن تحقق سلام المزور قبل سلام الزائر كما قال تعالى وَ إِذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ. أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الأنعام: ۵۴] [و هو كما قال]:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۷۸ تاهت الألباب فيك فماميزت وردّا من الصدر

فذاك لا عرف الإجابة و لا باعث له على الزيارة إلا الضيق و الشكاية من أمر المعاش و المضائق الدنيوية و فضل اللّه تعالى أوسع و رحمته وسعت كل شىء و كمال شفقته سيد المزور، معروف حيث سبقت له العناية بترتب المقدمة، فسوف ينتفع بتفضيل النتيجة عند كشف غطاء البشرية و إما أن يكون من الفرق التائهة الحائرة المنكرة للرؤية و اللقاء دنيا و عقبى و لا كلام لنا معه حيث حرم ما فاز به غيره فى هذه النشأة معجلا و إن كان فى المطلوب من حيث لا يعلم، كما قيل:

رب أمر نحو الحقيقة ناظربرزت له فيرى و ينكر ما يرى

و ربما تأول نص التنزيل بقياس عقله على مقياس دائه فى نقله فبعد عن المرام و تاه فى مهامة الكلام، لأن هذا الوجدان و الإدراك البسيط السرى التصورى و اليقين المركب الايمانى الاستحضارى القلبى المسمى بالإحسان المشار إليه بكأنك تراه فى هذه النشأة الجامعة خصوصا فى حضرته صلّى اللّه تعالى و سلم عليه بكمال ذاته المقدسة أبدا يصير رؤية أخروية تفصيلية و مشاهدة جليلة مناسبة لتلك النشأة النورية النزيهة عن اعراض هذه النشأة [و الجواهر] المكتنفة بها و إنما حبس [المتأول] بالشبه ثم من اللّه تعالى على هذه الأمة المرحومة بآية أخرى تدل بصريحها على سعة الرحمة على العبد أينما كان فقال جل و علا وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً [النساء: ۱۱۰] و الاستغفار مجازى و هو أن يقول بلسانه أستغفر اللّه و لا يتصور شيئًا، بقلبه، و حقيقى و هو الذى حظى به الكحل و هو نصب [أعينهم] أن سبقت لهم الحسنى و العناية الأزلية من اللّه تعالى لسرهم و روحهم و لطيفتهم بطلب استعداداتهم الغير المجعولة بستر أنانيتهم و تعينهم الجزيئى، المائل عن حد الاعتدال فى سعة بحر إطلاق وجود سيدهم فاستمر فناؤهم فى ربهم و بقائهم بوجوده فى سائر المراتب الاستيداعية و المقامات الاستقرارية، فلا جرم دام شهودهم فى جميع أحوالهم بغير مزاحمة دعوى الاستقلال بالوجود، و كانوا معه سبحانه و تعالى فى شهود شؤونه حيث كان معهم أينما كانوا فاستغفارهم أزلى أبدى بستر وجودهم فى وجود سيدهم و فى سائر أسمائه و صفاته و أفعاله و سمعوا خطاب لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ [غافر: ۱۶] بل شاهدوا جهادًا أنه الواحد فى الكل فلا يكن الزائر أنزل حالا ممن ذمة اللّه تعالى فى كتابه من الظمآن الذى وجد اللّه عنده فوفاه

حسابه و كان يقول قديمّا مشايخ ما وراء النهر من طلب

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۷۹

شيئّا وجده، و يقول مشايخ العراق من وجد شيئّا طلبه و شيخ الإسلام من مشايخ خراسان يقول النزاع لفظى و المآل واحد سواء ضربت الزجاج على الحجر أو الحجر على الزجاج. و أنا مع العراقيين [و مآل الأقوال] يرجع إلى ما نحن فيه من الوجدان [البسيط السرى] و المركب التفضيلى و يتعلق بهذا الباب.

ما نقل عن بعض المحققين انه قال كل شىء إذا طلبته وجدته إلا الحق سبحانه و تعالى فإن وجده سابقه لطلبه و كان يقال ما خطر ببالك فاللّه بخلاف ذلك، و جاء فى الخبر أن سيدنا موسى عليه السلام قال: «يا رب أ بعيد أنت فأناجيك أم قريب فأناديك» فسمع اللّه تعالى يقول «أينما قصدتنى وجدتنى» و يشير إلى الذوق الموسوى قوله تعالى فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [البقرة: ۱۱۵] و ما أعذب ما قال: الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية ؛ ص۷۹

كما ذا تموه بالشعبين و العلمو الأمر أوضح من نار على علم

أراك تسأل عن نجد و أنت بهاو عن تهامة هذا فعل متهم

و أقول كما قال:

إن كانت الأعضاء خالفت الذىأمرت به من سالف الأزمان

فسلوا الفؤاد عن الذى أودعتمفيه من التوحيد و الإيمان

تجدوه قد أدى الأمانة منهمافهبوا له ما زل فى الأركان

و ما أرجى ما قال:

عصيت فقل لى كيف ألقى محمدّاو وجهى بأثواب المعاصى مبرقع

عسى اللّه من أجل الحبيب و قربهيداركنى بالعفو فالفضل أوسع

فائدة: عن ابن [الجوزى] قال: قحط أهل المدينة قحطّا شديدّا. فشكوا ذلك إلى عائشة رضى اللّه عنها فقالت «انظروا إلى قبر النبى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه و بينها سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب و سمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق انتهى. فالكوة التى فى القبة الشريفة هذا أصلها و سنة أهل المدينة اليوم فى مثل ذلك. فتح باب المواجهة من المقصورة المحيطة بالجهة المعطرة و الاجتماع هنالك للدعاء و الاستغاثة [فائدة]

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۸۰

ورد عنه عليه السلام «أن فى مسجدى لبقعة قبيل هذه الاسطوانة يعنى الثالثة من المنبر و القبر و تسمى أسطوان القرعة لو يعلم الناس ما صلوا إليها، إلا أن تطير لهم قرعة.

قيل: و الدعاء عندها مستجاب كذا فى الجواهر.

مسألة: ورد انه عليه السلام قال «ما بين حجرتى و منبرى روضة من رياض الجنة» قال الخطابى معناه من لزم طاعة اللّه فى هذه البقعة آلت به الحال إلى روضة من رياض الجنة يوم القيامة.

و قال غيره: يجوز أن يكون هذا الموضع بعينه روضة من رياض الجنة يوم القيامة و قال آخر كانت الصحابة رضى اللّه تعالى عنهم تقتبس العلم من النبى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه فى ذلك الموضع و هو مثل الروضة و يؤيده قوله عليه الصلاة و السلام «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا يا رسول اللّه و ما رياض الجنة قال حلق الذكر» .

دقيقة قال فى المواهب: و اعلم أن أعظم نعيم فى الجنة و أكمله التمتع بالنظر إلى وجه الرب تبارك و تعالى و رسوله صلّى اللّه و سلم عليه و قرت العين بالقرب من اللّه تعالى و رسوله مع الفوز بكرامة الرضوان التى [هى] أعظم من الجنان كما قال تعالى وَ رِضْوانٌ مِنَ

اللَّهِ أَكْبَرُ [التوبة: ۷۲] و لا ريب أن الأمر أجل مما يخطر بالبال أو يدور فى الخيال و لا سيما عند فوز المحبين فى روضة الانس و حضيرة القدس بتحية محبوبهم الذى هو غاية مطلوبهم فأى نعيم يدانى تلك المحبة و لذتها و قرة العين بها و بهجتها، و هل فوق نعيم قرة العين بمحبة اللّه تعالى و رسوله نعيم. فلا شىء أجل من حضرة يجتمع فيها المحب بأحبابه فى مشهد مشاهد الإكرام و العز المقيم حيث يتجلى الحق جل جلاله «و يقول سلام عليكم عبادى و مرحبا بكم أهل ودادى أنتم [المؤمنون

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۸۱

الآمنون] لا خوف عليكم اليوم و لا أنتم تحزنون، هاذى يدى مبسوطة عليكم و أنا ربكم أنظر إليكم فيقولون ربنا حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم و الرضى عنا فيرفع الحجاب و يتجلى الحق جل جلاله فيخرون سجدا فيقول اللّه تبارك و تعالى قد رضيت عنكم فلا أسخط عليكم أبدا» فما أحلاها من كلمة و ما ألذها من بشرى. فيقولون الحمد للّه الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور [الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ] [فاطر: ۳۴- ۳۵] [و اللّه أعلم] .

مسئلة: ليس فى الجنة عبادة إلا الحمد و الشكر و التسبيح و التهليل عن غير تكليف و إلزام و إنما هو من تيسير الإلهام وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ [الزمر: ۷۴].

إلهى لك الحمد الذى أنت أهلهعلى نعم ما كنت قط لها أهلا

إذا ازددت تقصيرا تردنى تفضلاكأنى بالتقصير استوجب الفضلا

و قال آخر:

لك الحمد يا اللّه فى كل حالةو من جملة الآلاء قولى لك الحمد

فلا حمد إلا أن تمن بقوةتعاليت لا يقوى على حمدك العبد

و قال غيره:

إذا كان شكرى أنعم اللّه نعمةعلى أنه من مثلها يجب الشكر

فكيف يكون الشكر إلا بفضلهو إن طالت الأيام و اتسع العمر

مسئلة: قدم النبى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه المدينة المنورة ضحى يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول فاستقبله زها خمسمائة من الأنصار فما

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۸۲

رأى أحد مثل ذلك اليوم و خرج يوم الجمعة عند ارتفاع النهار فركب ناقته و المسلمون عن يمينه و شماله و من خلفه منهم الماشى و منهم الراكب فما مر بدار من دور الأنصار إلا قالوا هلم يا رسول اللّه إلى القوة و المنعة فيقول لهم خيرا و يدعو و يقول عن ناقته انها مأمورة خلوا سبيلها. فمر ببنى سالم فأتى مسجدهم الذى فى وادى رانونا و أدركته صلاة الجمعة. فصلاها لهم هنالك. فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ثم ركب ناقته و صار حتى انتهت به إلى زقاق الحبشى ببنى النجار فجعلن النساء و الولدان يضربن على [الدفاف] و يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداعوجب الشكر علينا ما دعى لله داع

و فى رواية:

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر [المطاع جئتنا تمشى] رويدا نحونا يا خير ساعى.

و مر عليه السلام بجوار من الأنصار و هنّ ينشدن و يقلن:

نحن جوار من بنى النجاريا حبذا محمد من جار

و قال عليه الصلاة و السلام «اللّه يعلم انى أحبكم . ثم سار عليه الصلاة و السلام إلى أن بركت ناقته على باب دار أيوب الأنصارى رضى اللّه تعالى عنه فنزل بها سبعة أشهر ثم بنى مسجده» قال أهل السير. بناه أولا. مايهٔ فى مايهٔ و قيل أقل من مايهٔ فى طول سبعة أذرع [و قيل فى طول خمسة أذرع] فلما فتح اللّه تعالى عليه خيبر بناه [ثانيا] و زاد عليه مثله و لما هاجر عليه الصلاة و السلام فرح بقدومه الشريف أهل

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۸۳

المدينة و كان يوم قدومه عندهم أعظم من يوم الزينة و أول كلمة سمعت منه بالمدينة المنورة «أيها الناس أفشوا السلام و اطعموا الطعام و صلوا الأرحام و صلوا بالليل و الناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» و لما بركت ناقته الميمونة عند المسجد الشريف قال هذا المنزل إن شاء اللّه تعالى اللهم أنزلنى منزلا مباركًا و أنت خير المنزلين. فقال المحل بلسان الحال:

بقدومكم نزل السرور بساحتىو غدا بها طير الهنا يغرد

و لقد سموت على الديار بقربكمحتى كأننى فوقهن الفرقد

سبحان من بالعز أبدل ذلتىو أنالنى منحّا عليها أحسد

إن البقاع إذا نظرت رأيتهاتشقى كما تشقى الرجال و تسعد

و «كان موضع المسجد الشريف حديقة ليتيمين من الأنصار هما أسهل و سهيل و كانا فى حجر أسعد بن زرارة.

و قيل: معاذ بن عفرا فاشتراه النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه أو استوهبه و بناه مسجدًا و أمر بقطع ما كان فيه من النخيل و الفرقد و كانت فيه قبور جاهلية فأمر بها فنبشت و أمر بالعظام فغيبت و لما أخذ فى بنائه قال «ابنوا لى عريشًا كعريش أخى موسى ثهامات و خشبات و ظلة كظلة أخى موسى و الأمر أعجل من ذلك قيل و ما ظلة موسى قال كان إذا قام فيه أصاب رأسه السقف.

و كان على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه يرتجز فى عمل المسجد فيقول و لا يستوى من يعمر المساجدا. يداب فيها قائمًا و قاعدا. و من يرى عن الغبار حائرا.

فأقيمت فيه سوارى من جذوع النخل ثم طرحت عليها العوارض و الخصف و الأذخر فعاشوا فيه و أصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف عليهم. فقالوا: يا رسول اللّه لو امرت بالمسجد فطين. فقال «لا عريش كعريش موسى» فلم يزل كذلك حتى فارق الدنيا صلى اللّه تعالى و سلم عليه و زاده شرفًا و فضلا لديه ثم تداولته أيدى الخلفاء و الملوك فوسعت فيه و بنته [على] مقتضى حال الوقت و تفصيل ذلك مما يطول شرحه و قد تكفلت بأخباره التواريخ أنشدنى [العلامة] الشيخ إبراهيم بن أبى الحرم [المدنى] أجازه لنفسه:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۸۴ من رام يستقصى معالم طيبةو يشاهد المعدوم كالموجود

فعليه باستيفاء تاريخ الوفاتأليف عالم طيبة السمهودى

[و روى] عنه عليه السلام «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. المسجد الحرام و مسجدى هذا و المسجد الأقصى» .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۸۵

و عنه عليه الصلاة و السلام «من دخل مسجدى يتعلم خيرًا و يعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل اللّه من دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذى يرى ما يعجبه و هو لغيره» .

و عنه عليه الصلاة و السلام «أنا خاتم الأنبياء و مسجدى خاتم مساجد الأنبياء أحق المساجد أن يزار و تركب إليه الرواحل، صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» كذا فى منح الفتاح .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۸۶

و عنه عليه الصلاة و السلام «من خرج على طهر لا يريده إلا للصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه كان بمنزلة حجة» .

و عنه عليه السلام «لا تقوم الساعة حتى تقلب على مسجدى هذا الكلاب و الذباب و الضباع فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلى فيه [فلا]

يقدر عليه» كذا فى الدرة.

و ما أحسن ما قال:

السباق السباق قولا و فعلاحذر النفس حسرة المسبوق

و من محاسن المسجد الشريف «القبة الزرقاء» التى من حظى بقربها قضت له السعادة الأزلية بأن لا يشقى. كيف لا و قد اشتملت على ضريح سلطان الأنبياء و ترجمان الأصفياء فلقد سعدت بها طيبة الطيبة و استنزلت بساكنها من اللّه تعالى [و شآبيب] رحمته الطيبة.

فيا حسنها و الليل مرخى سدولهو قد أشرقت بالنور قبتها الزرقاء

و قالوا يرق العيش فيها على الفتا. فقلت و ما أحلاه عيشًا و إن رقا.

و من محاسنه الروضة المطهرة و ما اشتملت عليه من الآثار المحمدية.

قال فى الجوهر المنظم لم يتحدد عرض الروضة [لاختلاف الروايات] الصحيحة.

قال ابن جماعة و الظاهر منها أن جميع مسجده روضة فهى تطلق على أماكن متفاوتة فى الفضل، فأفضلها ما بين القبر و المنبر، ثم ما بين بيوته كلها و المنبر، ثم بقية المدينة، ثم ما كان خارجها إلى المصلى. انتهى كلام الحافظ ابن حجر رحمة اللّه تعالى عليه.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۸۷

و ما أحسن ما قال ابن جابر:

إذا قمت فيما بين قبر و منبربطيبة فاعرف أين منزلك الأرقا

لقد قمت فى دار النعيم بروضةو من قام فى دار النعيم فلا يشقا

و قال آخر:

بهجة العين روضة المختارتنجلى فى مشارق الأنوار

حرم حل فيه خير إمامجامع الفضل قبلة الأبرار

أول العاملين فى الخلق لكنآخر المرسلين فى الإنذار

باذخ الأصل ناسخ الجهل علماراسخ الفضل شامخ فى الفخار

مضرى و أبطحى حسيبقرشى و هاشمى نذارى

صفوة الحق أشرف الخلق طرانخبة من خلاصة الأخيار

يا رسول الإله كن لى شفيعًايا شفيع العصاة من حر نار

أنت فى الأنبياء سلطان شرعجئت بالسيف منذر الكفار

فعليك السلام من عبد ودما سرى سر نسمة الأسحار

و على الآل و الصحابة جمعاو على التابعين و الأنصار

مسئلة: قوله عليه الصلاة و السلام «ما بين حجرتى و مصلائى روضة من رياض الجنة» قيل المراد مصلاه فى مسجده و قيل مصلى العيد و هو ما فهمه بعض الصحابة رضى اللّه تعالى عنهم كذا فى الجوهر المنظم.

مسئلة: ما بين المنبر و مقامه الذى كان يصلى فيه أربعة عشر ذراعًا و شبرًا بذراع اليد المعتدلة حكاه ابن حجر.

مسئلة: كان المنبر الشريف من طرفاء الغابة ثلث درجات و ذلك فى سنة ثمان من الهجرة و عنه عليه الصلاة و السلام «منبرى على حوضى» .

قال الخطابى: معناه من لزم عبادة اللّه تعالى عنده انه يسقى من الحوض يوم القيامة و قال غيره المعنى أن اللّه تعالى يعيد (هذا المنبر بعينه على حالة فينصبه عند حوضه كما يعيد) الخلائق أجمعين.

و عنه عليه السلام «منبرى على ترعة من ترع الجنة» .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۸۸

قال ابن سلام فى الترعة ثلاثة أقوال:

أحدها: انها الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة.

و ثانيها: أنها الباب.

و ثالثها: أنها الدرجة.

و روى «على رتعة» بتقديم الراء [على التاء] و الرتعة بسكون التاء و فتحها الاتساع فى الخصب و كل خصب مرتع .

و عنه عليه الصلاة و السلام «لا يحلف أحد عند منبرى هذا. [على] يمين آثمة، و لو على سواك أخضر، إلا تبوأ مقعده من النار أو وجبت له النار» .

و فى رواية «من حلف عند منبرى هذا يمينا كاذبا يستحل بها مال امرء مسلم فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل اللّه منه صرفا و لا عدلا» .

فائدة: عن كعب الأحبار ما من يوم و ليلة إلا و ينزل عند الفجر سبعون ألفا من الملائكة يحفون بالقبر الشريف، و يصلون عليه إلى الليل، ثم ينزل سبعون ألفا يفعلون كذلك إلى الفجر و هكذا حتى يقوم صلّى اللّه تعالى و سلم عليه من قبره فى سبعين ألفا يزفونه و المراد أنهم يصلون صلاة مخصوصة و إلا- فجميع الملائكة يصلون عليه كما قال تعالى إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً و قد صح فى الحديث أن الملائكة تسعة أعشار الخلق .

فائدة: فى عشر الستين و سبعمائة اشترى السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر قرية من بيت مال المسلمين بمصر. و وقفها على كسوة الكعبة المشرفة فى كل سنة و على كسوة الحجرة المعطرة فى كل خمس سنين مرة بالحريرة الأخضر و الأبيض. مكتوبا فيها الشهادتان على رسم الدلالات. و أسماء الخلفاء و من محاسن آل عثمان خلد اللّه تعالى دولتهم أنه إذا ولى أحدهم الملك. كسى الحجرة المعطرة بكسوة أخرى بالحرير الملون و الوضع البديع و فى أيام المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة و الرضوان، كسيت مرتين، و إذا وصلت الكسوة الجديدة قسمت تلك الكسوة القديمة. على خدام الحرم الشريف.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۸۹

تتمة : بيع كسوة الضريح النبوى. إذا صارت مخلوقة و جددت و نقلها جائز بناء على [أن] ذلك موقوف على إذن السلطان. حتى يظهر ما ينافيه و إنما الخلاف فى كسوة الكعبة. بناء على شرط الواقف. كذا فى كتاب زهد البساتين. و هذا بالنظر إلى الكسوة العثمانية و لا بأس بإخراج تراب الحجرة المعطرة. [و تراب] المسجد الشريف. و أثاره للمتبرك. و قال فى شرح لباب المناسك لا بأس بإخراج تراب الحرم و أحجاره و أشجاره اليابسة و إلا- ذخر مطلقا و ماء زمزم للتبرك به إجماعا زاد فى الكبير و تراب البيت للتبرك به لكنه [داخل] فى عموم [ما سبق] و هذا فى القدر اليسير الذى لا يؤدى إلى التعمق فى الحفر قاله الملأ على القارىء تتميم رحمه اللّه تعالى .

قال السبكى فى كتابه تنزل السكينة على قناديل المدينة اختلفوا إذا وسع المسجد عما كان عليه فى زمنه صلّى اللّه و سلم عليه هل تثبت الفضيلة أم لا. أم تختص بالقدر الذى كان فى زمنه و ممن رأى الاختصاص الإمام النووى و رأى جماعة عدم الاختصاص كما فى مسجد مكة و قد ثبت أن مسجده كان سبعون ذراعا فى ستين و أما تعليق القناديل فى الحجرة المعطرة و جعلها لها ملكا أو وقفا أو نذرا أو هبة فلا يجوز التهاون به. و إن لم يكن تعليقها فى الأول واجبا و لا مندوبا فقد صار شعارا يحصل بإزالته نقص. فيجب إدامتها [مع] إبقائها على الملك.

و من محاسن المسجد الشريف محرابه صلّى اللّه تعالى و سلم عليه و شرف و كرم.

فإن الوقوف بهذه المواقف الجليلة من أعظم النعم الجميلة و أى فضيلة أعظم من الوقوف بذلك الموقف الشريف و التملى بأنوار

ذلك المقام المنيف أنشدنى بمصر المحروسة سنة اثنتين و أربعين و ألف. السيد الشريف القاضى محمد الحجازى إجازة لنفسه.

و ما أجود ما قال:

إذا رمت جالها الق ظهرك يا فتىلظهر سما فى الناس و هو رحاب

اما تنظر المحراب لو لا استنادهإلى البيت لم تخضع إليه رقاب

فائدة: ابتداء الإمام الحنفى بعد الستين و ثمانمائة و محرابه نهاية زيادة عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنه و من محاسن المسجد الشريف باب الوفود المبلغ قاصد

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۹۰

تلك العتبة العلية المقصود فإنه الباب الذى لا يشقى وافده و المورد العذب الذى لا يظمأ وارده.

قيل: و من خواصه أن من أصيب بنائبة و استند إليه فرج اللّه تعالى كربه و هون صعبه و إن خلا عن الاستعداد و لم تكن فيه قابلة الاستمداد.

و ما أحلى ما قال:

و باب إذا أمه وافدرآه من الغيث [أدنى] و اندا

له الفتح دأب و من شأنهيرد و قاصده لن يردا

و من محاسن المسجد الشريف الباذهنج اللطيف فإنه ينزل منه الهواء الرطب خصوصًا فى الأيام الحارة فيحصل به رفق بالمحدورين بل و يستغنى به عن نسيمات البساتين و هو فى ثلاثة مواضع من المسجد الشريف و عليه فما أحسن ما قال:

يا طيبة نفحة باذهنج لم يزلبهوائه لنفوسنا تنفيس

معرى بجذب الريح من آفاقهفكأنه للريح مغناطيس

و من محاسن المسجد الشريف صحنه فإن الجالس فيه أحسن حالا منه فى البساتين مع ما اختص به من مشاهدة الحجرة المعطرة و القبة الشريفة إلى غير ذلك من الفضائل التى لا تحصى و النوافل التى لا تستقصى و فى الصحن نخلة مرصة حولها درابزين من خشب مربع الشكل و هى من بقايا نخلات كانت هناك قيل كانت بصحن المسجد نخيل مغروسة نحو خمسة عشر.

قال المجد اللغوى: و فى أيام عزيز الدولة، شيخ الخدام غرس كثير من هذا النخل الذى بالمسجد اليوم و كأنه لم يتعرض أحد لهذه البدعة كذا فى المغانم و فى كتاب زهر البساتين فإن قيل كيف ساغ غرس النخل فى المسجد و هو من البدع المنهى عنها الجواب ان المسئلة مختلف فيها فمنهم من [كره] و منهم من [منع] و منهم من أباح و لا يسوغ الانكار إلا فى مسائل الإجماع. و أما حكم ثمرتها فإنها مباحة لجميع المسلمين كالنابت فى المقبرة و البيدا و حجة الطريق تتميم فى ذكر أبار النبى صلى اللّه

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۹۱

تعالى و سلم عليه و هى كثيرة الا ان المشهور منها سبع و فى ذلك يقول أبو اليمن المراغى:

[و ما أجل ما قال]

إذا رمت آبار النبى بطيبةفعدتها سبع مقالا بلا و هن

«إريس و غرس رومة و بضاعة، كذا بصة قل بئر صاء مع العهن بئر إريس كأنيس و تعرف ببئر النبى صلى اللّه تعالى عليه و سلم. سقط خاتمه الشريف من يد عثمان. رضى اللّه عنه. فى أيام خلافته. فنزحت فلم يوجد. و عندها حدائق ذات بهجة و ماؤها أعذب ماء هنالك و هى فى غرب مسجد قباء طولها أربعة و عشرون ذراعًا و شبرًا. منها ذراعان و نصف فى الماء و عرضها خمسة أذرع و طول قفها الذى جلس عليه النبى صلى اللّه تعالى عليه و سلم ثلاثة أذرع و عند البئر اطم عال خراب. يعرف بالحصن. كذا فى الجوهر المنظم.

قلت: و قد تجد ذنبآء البئر بعد ذلك مرات. وزيل فى علو السقف و جعل فى قبلى البئر مسجد لطيف. و الحصن اليوم مسكن. فلاح البئر المذكورة بئر غرس بفتح أوله و يروى بالضم. جاءها النبى صلى اللّه تعالى عليه و سلم فدعا بدلو من مائها ، فتوضىء منه ثم سكبه فيها ، فما ترفت بعد ذلك. و رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة، فأصبح على غرس. فتوضأ منها، و بصق فيها ، و أهدى له عسل فصبه فيها، و هذه البئر بينها و بين مسجد قباء من جهة المشرق نحو نصف ميل. و عند ركنها الشرقى القبلى الحديقة المغلية. طول بئرها سبعة أذرع و عرضها عشرة أذرع و الماء ذراعان. كذا فى الدرة الثمينة. و مجال البئر قبلى و اشتهر عند أهل الفلاح أن المجاز الشامى أوفق بالصنعة و سره الانحدار الطبيعى و مساعدة الهوى.

و فى الجوهر المنظم ورد يا على إذا أنا مت فاغسلنى من بئر غرس بسبع قرب لم

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۹۲

تحلل أوكيته فغسل منها كما أمر و كانت خرابا فجددت [بعد السبعمائة] . و لها درجة من داخل الحديقة و يقربها مسجد و لها درجة أخرى من خارج الحديقة عمرت عام اثنين و ثمانين و ثمانماية و كانت عليها حديقة غناء فصارت بورّا كأن لم تكن.

و ما أوقع ما قال :

[بنى] الدنيا أقلوا الهم فيهافما فيها يؤل إلى الفوات

بناء للخراب و جمع مالليغنى و التولد للممات

و بئر رومة بالضم فى غربى المدينة بعيدة منها و هى فى تراح واسع من الأرض و طى. و عندها بناء من حجارة عظيمة كان ديرا ليهودية طولها ثمانية عشر ذراعّا و عرضها ثمانية أذرع و ماؤها حلو صاف طيب- ورد (نعم القليب قليب المزنى) - و كانت ليهودى يبيع ماءها للمسلمين فقال عليه السلام من يشترى رومة فيتصدق بها فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه فى دلائهم و له فيها شرب فى الجنة . فساوم عثمان رضى اللّه عنه اليهودى فأبى عن بيع كلها فاشترى منه نصفها باثنى عشر ألف درهم فجعله للمسلمين و صار لكل يوم فكان المسلمون يستقون فى يوم عثمان ما يكفيهم يومين.

فقال اليهودى: أفسدت على [تركن] فاشترى النصف الثانى بثمانية الآف درهم

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۹۳

و استقل بها المسلمون، و حول هذه البئر آبار طيبة الماء عجيبة الوضع و البناء بحيث يزعم الناظر إليها أنها من وضع الجنة لغرابة أمرها.

[و ما ألطف ما قال] :

و قد كان أرباب الفصاحة كلمارأوا عجبا عدوه من صنعة الجنة

بئر بضاعة بموحدة مضمومة و تكسر فمعجمة و قيل مهملة و هى فى شمال المدينة.

صح أنه قيل للنبى صلى اللّه تعالى عليه و سلم انه يستقى لك من بئر بضاعة و هى بئر تلقى فيها [لحوم] الكلاب؛ و المحائض فقال: إن الماء طهور لا ينجسه شىء ، و فى ذلك كما لا يخفى رخصة عظيمة و نعمة جسيمة و صح أنه عليه السلام «بصق فيها و توضأ من دلو منها ورده إليها و دعا لها» و كان المريض يغتسل منها فيبرأ. يكون الماء فيها على قدر ذراعيه و عرضها ستة أذرع و طولها أحد عشر ذراعّا و شبرا و هذه البئر فى بستان و ماؤها عذب طيب لونه صاف أبيض طيب الرائحة. كذا فى الدرة.

قلت: و عندها اليوم مسجد لطيف و أما البستان فقد صار من أنضر الحدائق و أحسنها.

و للنجم من بعد الهبوط استقامةو للدهر أياما تجور و تعدل

بئر البصة: بموحدة مضمومة فمهملة مخففة.

و قيل: مشددة من بص الماء رشح. و الأول من و بص كوعد إذا بلغ.

خرج إليها النبى صلى اللّه تعالى عليه و سلم و غسل رأسه منها بالسدر يوم الجمعة

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۹۴

و صب غسالة رأسه و فراقة شعره فيها ، و هى قريبة من البقيع على يسار الطريق السالكة إلى قباء فى حديقة موقوفة على الفقراء و هى ما بين النخيل، و قد هدمها السيل [و طمها] ثم غمرت و الماء فيها أخضر و إذا انفصل منها فهو أبيض طولها أحد عشر ذراعا منها ذراعان فى الماء و عرضها تسعة أذرع و هى مبنية بالحجارة حلوة الماء طيبة، و فى الحديقة بئر أخرى فى قبلتها أصغر منها رجح بعضهم الكبرى و اختار بعضهم الصغرى.

بئر حا: قال المجد: هى بئر قريبة الرشا ضيقة القنا طيبة الماء و قد أفرد لها بعضهم مصنفّا و فى الدرة الثمينة: فى الصحيح من حديث أنس ابن مالك رضى اللّه تعالى عنه قال: كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا من نخل و كانت أحب أمواله إليه بئر صا و كانت مستقبلة المسجد، و كان عليه السلام يدخلها و يشرب من مائها فلما نزل قوله تعالى لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ [آل عمران: ۹۲] أتى أبو طلحة إلى النبى صلّى اللّه تعالى عليه و سلم فقال يا رسول اللّه إن اللّه تعالى يقول: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون و أنا أحب أموالى إلى بئر صا و إنها صدقة للّه أرجو برها و ذخرها عند اللّه تعالى فضعها يا رسول اللّه حيث أراك اللّه. فقال رسول اللّه صلّى اللّه تعالى عليه و سلم بخ ذلك مال رابح . و قد سمعت ما قلت و إنى أرى أن تجعلها فى الأقربين. فقال أبو طلحة: افعل. فقسمها فى أقاربه و بنى عمه.

قال فى الوفا: و كان منهم أبى بن كعب، و حسان بن ثابت فباع حسان حصته من معاوية بن أبى سفيان فقيل له تبيع صدقة أبى طلحة فقال أ لا أبيع صاعّا من تمر بصاع من دراهم.

قال الحافظ ابن حجر: و بيع حسان لحصته من معاوية دليل على أن أبا طلحة

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۹۵

ملكهم الحديقة المذكورة. و لم يقفها عليهم، و يحتمل أن وقفها، و شرط أن من احتاج إلى بيع حصته جاز له كما قال بجوازه على و غيره.

قال فى الوفا: قلت: و قد اشترط ذلك [على] فى صدقته. كما [حكاه] ابن شبة عن نسخه كتاب الصدقة.

و قد اختلف الناس فى ضبطه:

فقال صاحب النهاية: بئرحا بفتح الباء و كسرها و بفتح الراء و ضمها و بالمد فيهما و بفتحهما و القصر.

و قال الزمخشرى بيرحا فيعلى [من البراح] و هى الأرض المنكشفة الظاهرة و قيل هى على الإضافة. و حا اسم رجل أو قبيلة فينون أو هو مقصور و هذه البئر اليوم فى وسط حديقة صغيرة قريبة من البقيع و من سور المدينة على طريق سالكة طولها عشرون ذراعّا منها أحد عشر فى الماء و عرضها ثلاثة أذرع و شبر و هى فى مقابلة المسجد النبوى من جانب الشمال.

بئر العهن: بئر بالعالية مليحة منقورة فى الجبل لا تكاد تنزف و تسمى اليسيرة برك عليها النبى صلّى اللّه تعالى عليه و سلم و توضأ منها و بصق فيها و كانت للأنصار و هى اليوم لآل شدقم من بنى حسين أشراف المدينة. عليها حديقة غناء و فيها روضة حسناء.

و قد اختلف فى السابعة من الآبار: فقيل: هى العهن و هو المشهور عند أهل المدينة.

و قيل بئر السقيا .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۹۶

[و قيل بئر جمل] و لا تعرف جهتها فضلا عن عينها.

و عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها أن النبى صلّى اللّه تعالى عليه و سلم قال فى مرضه صبوا على من سبع قرب من آبار شتى ، و لا دلالة فى الحديث على إرادة هذه الآبار المذكورة.

ذكر عن النبى صلّى اللّه تعالى عليه و سلم قال فى الدرة لما كانت أيام الخندق و كانوا يخرجون مع النبى صلّى اللّه تعالى عليه و سلم

و يخافون البيات فيدخلون كهف بنى حرام و هو فى غربى جبل سلع تجاه الحديقة النقيبية فبات فيه النبى صلّى اللّه تعالى عليه و سلم حتى إذا أصبح هبط و نفر العيينة التى عند الكهف و توضأ منها .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۹۷

ذكر نسب سيدنا و مولانا رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه و سلم

هو محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهد بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قال قائلهم:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهمإذا جمعتنا يا جرير المجامع

[و إلى ههنا اتفقوا و اختلفوا فيما وراء ذلك] خاتمة.

قال بعضهم هذا النسب الشريف يكتب لكل شىء لأنه اشتمل على حروف الاسم الأعظم و قد جرب فى مهمات كثيرة و ما زال السلف يحفظون و يأمرون أولادهم بحفظه و التبرك به. و ما أحسن ما قال:

فهات لى ذكر من أحب و خلىكل من فى الوجود يرمى بسهمه

لا أبالى و لو أصاب فؤادىأنه لا يضر شىء مع اسمه

باب: فيما اشتمل عليه سور المدينة السنية و ذكر بعض منافذها العذبة الهنية:

بشراك يا ساكن المنازلبمنزل ماله مماثل

تشاهد المصطفى دوامامن حيث لا مانع و حائل

فاشكر لمولاك [كل] حينفالفضل بالشكر غير زائل

و ما أصدق ما قال:

إذا كنت [فى] طيبة ساكناو كنت بعيدًا من المسجد

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۹۸ فإن فضيلة من قد دنتبه داره منه لم تجحد

قيل لم يكن فى المدينة المنورة سور فى الزمن القديم و أول من بنى بها سورًا بعد خراب أطرافها عضد الدولة و ذلك بعد الستين و ثلثمائة فى خلافة الطائع بن المطيع قال المجد اللغوى فى المغانم و كان مصلى العيد داخل الباب و يروى أن اسحق بن محمد الجعدى بنى سور المدينة سنة مائتين و ثلاثة و ستين و جعل فيها أربعة أبواب و يحكى عن القاضى سنان الحسينى أنه كان يقول فى الخطبة على المنبر اللهم صن من صان حريم بيتك بالسور محمد بن على بن منصور.

تتميم فى أيام الشريف أبى نمى محمد بن بركات شريف مكة المشرفة استولى على الديار المصرية ملك الروم السلطان الأعظم سليم عليه الرحمة و الرضوان فجهز إليهما قاصدًا بالاستمرار و الاستقرار و الاستيلاء على [أقطار] تلك الديار.

[و من أحسن ما قال] :

فلا عد منهم نعمة خلقت لهمو دنيا بهم فيها الحياة تطيب

فكان السلطان سليم عليه الرحمة هو أول من ملك الحرمين من آل عثمان و ذلك فى سنة تسع و عشرين و تسعماية.

و من محاسن السلطان سليم قوله على ما حكاه عنه القطب الحنفى فى كتابه الاعلام:

الملك لله من يظفر بنيل غنى يتركه قسرًا و يضمن بعده الدركا

لو كان لى أو لغيرى قدر أنملةفوق التراب لكان الأمر مشتركا

و فى أيام ابنه السلطان «سليمان» عليه الرحمة و الرضوان كان بناء سور المدينة المنورة اليوم. و ذلك فى سنة تسعماية و تسعة و ثلاثين و بنى على أساس السور القديم فى سبع سنوات لتعطيل العمارة فى خلال المدة. و كان تمامه فى سنة تسعماية و ست و أربعين و دائر السور بذراع العمل ثلاثة آلاف و اثنان و سبعون و قيل هو ما بين الأبراج و التجويف. أربعة آلاف و المتصرف عليه مائة ألف دينار و كتب على الباب الغربى إنه

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۹۹

من سليمان و إنه بسم اللّه الرحمن الرحيم و قد حصل و للّه المنة. بهذا السور لأهل المدينة المنورة. كمال ميسرة الأمان. على اختلاف حال الزمان.

يا من لهم فى مهجتى و الحشامنازل تزهو ببنيان

قلبى لكم سور بديع البناكأنه السور السليمانى

و من محاسن المدينة: بل من رحمة اللّه تعالى و عنايته بها [كونها] فى ولاية صاحب الوقت و الزمان- و مصاحب العزة و الأمان الهمام الذى إذا نسب إلى النفوس كان العاشر من [البشر أو إلى] العقول فهو الحادى عشر.

شمس سماء الخلافة. و قمرها فى الليل البهيم. ظل اللّه تعالى فى أرضه. القائم بإحياء سنته و فرضه. و دينه القويم محجة اللّه الواضحة. و دلالته الناصحة للخالق على التعميم. أمين اللّه تعالى على خلقه. و خليفته القائم بحقه بتقدير العزيز العليم. الجامع بين شجاعة الليث. و سماحة الغيث. و الخلق العظيم. خادم الحرمين الشريفين. سلطان الروم و اليمن و العراقين. واسطة عقد آل عثمان السلطان بن السلطان الملك المظفر المنصور المعان المؤيد بالتوفيق و السداد. مولانا السلطان مراد خلد اللّه تعالى ملكه على تعاقب الآباد. و جعل الممالك فى ملكه. و ملك عقبه إلى يوم التناد. و لا برحت أيام اقباله مسفرة و وجوه الأنام بتحقيق المرام فى أيامه مستبشرة. و اللّه تعالى يجعل صدقاته الشريفة تشفى من داء الحرمان بكل فائدة. و صلاته المنيفة لكل من ضعف عن الوصول إلى استحقاقه عائدة. ما دامت الأيدى بالدعاء له مرفوعة. و قلوب أهل الإيمان على محبته مجموعة.

أجدد عهدى بالدعاء لدولةقديما أمرتنى و دام له حمدى

و أحمد عودى بعد بدئى مثنيّاعلى فضلها فيما أسر و ما أبدى

و من محاسنها بل من محاسن الدهر: تعلق أمورها و أحكامها بصاحب القبلة المرضية. حامى حمى بلد اللّه الأمين. و بلد جده سيد المرسلين. السيد الشريف. السند المنيف. ناصر الشريعة القويمة سالك المسالك المستقيمة [نور حدقة النبوة و الرسالة] . نور حديقة الفتوة و البسالة المختص من اللّه تعالى بجزيل العواطف و جميل المنن مولانا السيد زيد بن محسن بن حسين بن حسن زاد اللّه فى شأنه عزة و مكانة

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۰۰

[و جعل فوق مكان] أعدائه مكانه و لا برحت ألوية مجده برياح السعادة خافقة. و ألسنة الأقلام على مدى الأيام بمدائحه ناطقة. فلقد طابت بشمائله الشابقة و نوافله الفايقة.

طيبة الطيبة. و ما حولها من البقاع. و شفى بالأمن من هو بها من الرعايا و سائر الأتباع و أصبح أهلها بحمد اللّه تعالى يرفلون بوجوده وجوده فى حلل الوفا و حلل الصفا.

و يتنقلون من مكارمه بعد التتميم و التكميل إلى الاكتفاء.

لوائح و فواتح و لما كانت محبة آل البيت النبوى من أسنى المطالب لا سيما و قد قال اللّه تعالى فى كتابه المحكم قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى [الشورى: ۲۳] و إذا الأنام توسلت بوسيلة. فوسيلتى حبى لآل محمد. حتى قال أهل التحقيق: أن خواص العلماء يجدون فى قلوبهم مزية تامة لمحبته صلّى اللّه تعالى و سلم عليه ثم محبة [ذريته] لعلمهم باصطفاء نطفهم الكريمة و تطهيرهم

بمحض فضل اللّه تعالى من الأوصاف الذميمة و ينظرون إليهم اليوم. نظرهم إلى آبائهم. بالأمس [و لو رأوهم] و يغضون على انتقادهم. و يزيدون فى ودادهم. و يكلون أمرهم إلى بارئهم.

كما قال:

[لأحمد أهواكم و أرعى ودادكمو حق لآل المصطفى عندى الود]

فما كان منكم من جميل فإنكممتابعة و الفرع عن أصله يبدو

و ما خالف المعروف فى ظاهر فقدتولاه رب يرحم العبد إذ يغدو

لاق وراق التنبيه على ذلك، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

قال مولانا السيد شيخ باعلوى فى ديباجة كتابه العقد النبوى: الحمد للّه الذى اختص أهل البيت المطهرين من الأرجاس و الأدناس المتميزين على من سواهم من الناس. بكل فضل و كرم و باس بخصائص تنقطع دونها أعناق مطامع أهل الالتباس.

و مزايا لا يشق لها غبار و لا يحلق لها آثار. عند توجهها إلى الغايات [و استياقها] فى جلبة الكمالات حتى وقف من سواهم عن التطاول إلى شىء من معاليهم و قامت القواطع بأنهم الواصلون إلى غاية الآمال حتى مواليهم فمن ذلك ما أشار إليه مشرفهم صلّى اللّه تعالى عليه و سلم بقربهم مع القرآن فى وجوب التمسك بهما و انهما لا يفترقان و كتوقف صحة الصلاة على الصلاة عليهم. عند جمع من العلماء الأعيان و كونهم كسفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا. و من تخلف عنها هلك. فالحذر [الحذر] أن تكون ممن

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۰۱

فى هذه الداهية الدهيا قد [ارتبك] و كقوله تعالى إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: ۳۳] الدالة على شرف لا تبلغ غايته الأفهام و كقوله صلّى اللّه عليه و سلم: كل سبب و نسب و حسب ينقطع يوم القيامة إلا سببى و نسبى و حسبى .

و كقوله «إن لكل نبى أب عصبة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم و عصبتهم و هى عترتى خلقوا من طينتى ويل للمكذبين بفضلهم. من أحبهم أحبه اللّه، و من بغضهم بغضه اللّه» .

و أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له. شهادة أنتظم بها فى سلك محبتهم.

و أحشر بها معهم فى زمرتهم. لا من أحب قوما فهو معهم و ان لم يعمل بعملهم كما قاله الصادق مشيرًا إلى تعاظمهم و تعاليهم و أشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله و حبيبه و صفيه و خليله. الذى فضله اللّه على سائر مخلوقاته صلّى اللّه و سلم عليه- و على آله الذين حباهم بقربه الأعظم- و نسبه الأشرف الأكرم- و أتحفهم بما من تجبر جهته لا بعلم. و هو ما فيهم من البضعة الكريمة- و الدرة الجوهرة اليتيمة و على أصحابه الذين نقلوا إلينا سنته. و على التابعين و تابعيهم من يذكرهم ينزل اللّه تعالى رحمته. إلى أن قال: و لا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا فى الدار الآخرة فإنهم يحشرون مطهرين. مغفورا لهم.

و أنشد للقيراطى:

شرف اللّه طيبة بنبىمنه طابت عناصر الشرفاء

حاز فضلا آباؤه و بنوهفهو فخر الآباء و الأبناء

ثم قال: و للوسائل حكم المقاصد. و من هنا قالوا: الوسائل فى المعنى هى الوسائط للوصول إلى المطالب و هى الشفاعة.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۰۲

كما قال:

على اللّه فى كل الأمور توكلىو بالخمس أصحاب العبا توسلى

محمد المبعوث و ابنيه بعدهو فاطمة الزهراء و المرتضى على

و قال العلامة ابن حجر: من خطبة عقد نكاح: ابنته على الإمام عبد اللّه بن عبد المعطى الطبرى. بعد ذكر الأئمة الطبرية. و كيف لا و هم من خلاصة الجرثومة الهاشمية. و عصابة التنزلات المصطفوية و العشرة الطاهرة من كل دنس تطهيرًا أى تطهير.

و المفروض محبتهم و مودتهم على كل جليل و حقير.

يا آل بيت رسول اللّه حبكمفرض من اللّه فى القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكممن لم يصل عليكم لا صلاة له

و المقرونين بالقرآن الكريم فى أمن العالم بهما ما داما باقيين من كل خطب جسيم و مدلهم بهيم و المخصوصين لما فيهم من البضعة الكريمة و الدرة اليتيمة التى لا يوازى شرفها شرف و لا يلحق رفيع شأوهما سلف و لا خلف بأنهم الأعزة فى كل زمن و المقروع لهم عند ترادف الفتن و تكاثف المحن.

[و ما ألطف ما قال] :

بيض الوجوه كريمة أحسابهمشم الأنوف من الطراز الأول

حقق اللّه تعالى لنا بآل نبيه وصلة المحبة التى طبعنا عليها و أعرضنا عن كل فخامة تقطع عنها نظرًا إليها إذ لا فخامة إلا منهم و لا زعامة إلا عنهم و من ثم قال عمر للحسن رضى اللّه تعالى عنهما اعتذارا إليه و اعترافا بالحق الواجب عليه و اللّه ما أنبت الشعر على رؤوسنا بعد اللّه إلا أنتم و قال للحسين و قد قال له و هو صغير انزل عن منبر أبى و اللّه إنه لمنبر أبيك و ما أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك فرضى اللّه تعالى عنه إذ أقر المجد فى نصابه ورده إلى إهابه و جعلنا ممن أعطى كل ذى حق ما تستحقه مرتبته و تستدعيه منقبته إلى أن قال صلّى اللّه تعالى و سلم عليه و على آله المطهرين به [من] من كل دنس و عيب الآمنين بباهر جاهه من كل ريب الوارد فيهم ان فاطمة أحصنت فرجها فحرمها اللّه

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۰۳

و ذريتها على النار لكن لا ينبغى للشريف أن يقع منه بذلك اغترار فقد قال محمد الجواد و أبوه على الرضى وجد جده زين العابدين و هؤلاء من أكابر أهل البيت الطاهرين المطهرين إن ذلك الحديث خاص بأولاد فاطمة رضى اللّه تعالى عنها من غير واسطة و كأنهم نظروا لما فى حديث آخر مع عدم النظر لتلك الرابطة و هو «يا فاطمة بنت محمد و يا صفية بنت عبد المطلب و يا عباس عم رسول اللّه صلّى اللّه و سلم عليه يا بنى هاشم يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من اللّه، قوا أنفسكم من [النار] لا أغنى عنكم من اللّه شيئا» [و فيه ما فيه] إذ فاطمة رضى اللّه تعالى عنها مذكورة فى الحديثين فتعين أن الأول فيه النظر لمظهر الفضل و الجمال و الثانى فيه النظر لمظهر العدل و الجلال و قال [فى الفتاوى] المتفرقة و لا يغض عن ذات الشريف بل عن الوصف المذموم مع اعتقاد تطهيره و لا يقع فى حقه فقد قيل مثل الشريف إذا أقيم عليه الحد الشرعى مثل ابن أمير تلوثت قدماه بقذر فغسله عن أجل خدم أبيه و ما على من رأى سمّيا أن يطرحه و لا يتحساه و قال الشيخ الأكبر فى الباب التاسع و العشرين من الفتوحات ما معناه. و ترى ما يقع من بعضهم من المظالم كأخذ المال و القتل و نحو ذلك من الأمور السماوية كالموت و الغرق و لا تقع فى حق أحد منهم تنبيه كثيرا ما تسول للإنسان نفسه محبة أهل البيت النبوى فيعتقد صدق الدعوى و من ناقش نفسه فى ذلك تجلت شموسه و انجلت عروسه

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۰۴

و إذا طلع الصباح فلا حاجة إلى المصباح قال بعضهم إذا رأيت المبتلى من أهل البيت و رأيت فى نفسك الرحمة له و الرأفة به و عزمت على مساعدته على الزمان من غير استنكاف أحواله الغير المحتملة فذلك دليل المحبة و أما مراعاة الشريف إذا كانت له حاجة تقضيها و ملاحة ترتضيها فالحكم يومئذ بدور العلة.

و كل يرى طرق الضلالة و الهدىو لكن طبع النفس للنفس قائدا

و من محاسن المدينة تعدد [الحكام] بها و فيه لطف إلهى بالرعية و ذلك لأنه إذا حدث بها أمر لا يقوم له ساق إلا باتفاق آرائهم و

فيه سر الإجماع البعيد من الخطا فى طريق الاجتهاد.

و ما أوقع ما [قال] «تخالفت الأهواء و الحق واحد» «و كل إلى رأى من القول راجع و هذا اختلاف جر للناس راحة» كما اختلفت فى الراحتين الأصابع و من محاسنها بل من محاسن الدهر التفرقة السلطانية و هى الحنطة الواصلة من أوقاف مصر المحروسة فإنها تجمع فى الوكالة السلطانية و تجتمع لها الكتبة مع القاضى و شيخ الحرم النبوى و تفرق على أكثر أهل المدينة و المجاورين و غيرهم بمقتضى [الدفاتر] و كانت تفرق قبل هذه السنين على رأس كل شهر لكل شخص حصة و مقدارها ثلاثة أمداد مدنية و هى مقدار القوت الكافى للإنسان فى الشهر ثم آل الأمر إلى أن صار يكتب للرجل الواحد المنفرد نحو الستين حصة بالوجاهة و غيرها و من ولد له من ضعفاء المدينة لا سبيل إلى كتابة اسمه و لا إلى اثبات رسمه و بموجب هذه الحركة تغيرت هاتيك البركة، و كان يقال:

فلا تطلبن من عند يوم و ليلةخلاف الذى مرت به السنوات

و ها نحن نطلب ما مرت به تلك السنون، فتجده منظومًا فى سلك ما لا يكون و كانت جملة الأسماء أولا تناهز ستة آلاف فتجاوزت و إن خلا أكثرها عن المسميات عشرين ألفًا، و اللّه يضاعف لمن يشاء و ساعد [ذلك] عدم الوصول الحبوب من مصر المحروسة بحيث كانت التفرقة فى جميع سنة سبع و أربعين و ألف نصف حصة و انقطع الخير.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۰۵

و لله در القائل:

نحن قسمنا الرزق بين الورىفأدب النفس و لا تعترض

و سلم الأمر لأحكامنافكل عبد رزقه قد فرض

و من محاسن المدينة:

منهل السوق، و هو المقابل للمدرسة الزمنية فى الرحبة التى عند باب السلام فإنه يستقى منه أكثر أهل المدينة السنية و الذى ساقها إلى ذلك الموضع الحسين بن أبى الهيجاء فى حدود الستين و خمسمائة و جعل لها درجًا متسعًا و قيل أسامة من أمر الشام و لعله جددها و تعرف بالعين الزرقا لأن مروان الأزرق بن الحكم هو الذى أجراها و هو و ال على المدينة المنورة، و أصلها من غربى قباء من ثلاثة آبار بئر النبى صلّى اللّه تعالى و سلم عليه و بئر الرباط و التى فى بئر عدن و هى تجرى إلى المصلى و عليها فيه قبة يخرج منها الماء فى وجهين شرقى و شمالى، و على ذكر الزرقا قال فى الوفا و تسميه به لأن مروان الذى أجراها كان أزرق العين و كان القياس أن يقال عين الأزرق، و قال القيراطى شعر:

ما لعين سودا منى نصتبعد حبى لعينها الزرقا

أى زرقا بان لى من سقاهاما اختفى نوره عن الزرقا

فما أحلى ما قال:

مدينة خير الخلق تحلو لناظرىفلا تعذرونى إن فتنت بها عشقا

يقولون من زرق العيون شامةو عندى أن اليمن فى عينها الزرقا

و المناهل اليوم بالمدينة المنورة منهلان بالمصلى و منهلان بالذكى و منهلان بالقلعة و منهلان بالساحة و منهل بالحارة و منهل بالثنية و المنهل المذكور و كلها تعرف بالعيون و كلها من عين الأزرق و العين التى أجراها محمد باشا و قد أحسن عمارتها آل عثمان و جعلوا لها خدامًا و جعلوا لهم أرزاقا على ذلك فهى فى الحقيقة من حسنات آل عثمان خلد اللّه تعالى دولتهم إذ لولاهم لاندرست آثارها. فائدة قال الواقدى كان بالمدينة على زمن معاوية صوافى كثيرة و كان يجد بالمدينة المنورة و أعراضها آيه و خمسون ألف و سق و يحصد مائة ألف و سق من الحنطة كذا فى الخلاصة و من محاسن ما اشتمل عليه السنور حمام الوزير محمد باشا فإن فيها نفعا عاما و رحمة من اللّه تعالى و أنعامًا و هى حسنة الوضع و البناء المحكم مشيدة الأروقة القائمة على النمط الأقوم.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۰۶ قد حسنت من جميع نواحيهاو لا قا إن يلاق فيها

يا حسن حماننا و بهجتهامراى من السحر كله حسن

ماء و نار حواهما كنف كالقلب فيه السرور و الحزن

أو [كما قال]:

إن حمامنا التى نحن فيهاأى ماء لها و أية نار

قد نزلنا بها على ابن معينو روينا عنه صحيح البخارى

أنشد لنفسه بن رشيق:

و لم أدخل الحمام بعد فراقهملأجل نعيم قد رضيت بيوس

و لكن لتجرى [عبرتى] مطمئنةفأبكى و لا يدرى بذاك جليس

و أنشد فى تعجيل الخروج:

خذ من الحمام و اخرجقبل أن يأخذ منكا

حدثن عنه و إلاحدث الحمام عنكا

يروى عن الإمام جعفر الصادق، رضى اللّه تعالى عنه أنه قال، إذا دخلت الحمام فقل عند نزع الثياب اللهم انزع عنى ربقة النفاق و ثبتنى على الإيمان إذا دخلت البيت الأول فقل اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى و أذاه اللّهم اذهب عنى الرجس و طهر جسدى و قلبى ثم ضع من الماء الحار على هامتك و رجليك و خذ منه جرعة إن أمكنك [فإنه] ينقى المثانة و لا يشرب فيه الماء البارد و لا الفقاع فإنه [] [المعدة و لا تغسل بالماء البارد] و لكن صبه على قدميك و إذا جرحت فإنه يذهب الشقيقة و لا تدخلها على الريق و لا تسلق فيها فإنه يذيب شحم الكلا و تعمم عند خروجك شتاء و صيفا و عنه رضى اللّه عنه يوم الحمام يوم الأربعاء و عن على كرم اللّه وجهه يوم الحمام يوم الخميس و يوم الجمعة يوم الطيب. لطيفة. خرج الحسن بن على رضى اللّه [تعالى] عنهما من الحمام فقال له رجل، طاب استحمامك، فقال له يا لكع و ما تصنع بالاست هاهنا قال فطاب حمامك قال إذا طاب الحمام فما راحة البدن قال فطاب حميمك قال و يحك أما علمت أن الحميم العرق قال فكيف أقول، قال قل طاب ما طهر

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۰۷

منك، و طهر ما طاب منك و عن الصادق إذا قيل لك طاب حمامك فقل أنعم اللّه بالك كذا فى مكارم الأخلاق.

و من محاسن المدينة أنه لا يتمرد فيها أحد و يتجاوز الحد إلا عجل اللّه الانتقام منه و أخذ من حيث يشعر و من حيث لا يشعر و كان يقال إن من أسماء المدينة، الفضاحة و ذلك منه لا يكون بها شىء إلا و تحدث به الألسنة و كان يقال ما أضمرته الليالى أظهرته الأيام و ما [أسترته] السريرة [أبدته] [الأسرة] للآنام و كيف يفوت هذا الناس شىء و ما فى القلب يبديه العيون و كان يقال:

اصنع جميلا ما استطعت فإنهلا بد أن يتحدث السمار

تنبيه:

قال بعضهم: ينبغى لكل عاقل أن لا يقع فى حق أخيه المؤمن، و لو وقف له على فاحشة إلا بحق الشرع و لا يعيره بها فإنه لا يدرى ما يفعل به و قد قال اللّه تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [النور: ۱۹] و قال عليه السلام من عير مؤمنّا بفاحشة كان على اللّه أن يوقعه فى مثلها أو كما قال:

هى المقادير فلمنى أو فذرإن كنت اخطأت فما اخطأ القدر

قال الإمام [الغزالى] فى فضل بيان علاج الغضب من كتاب الاحياء روى أبا ذر قال لرجل فى خصومة بينهما يا ابن الحمرا فبلغ ذلك رسول اللّه صلّى اللّه تعالى و سلم عليه فقال يا أبا ذر بلغنى أنك اليوم عيرت رجلا بأمه فقال نعم قال فانطلق

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۰۸

فارضى صاحبك فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول اللّه صلّى اللّه تعالى و سلم عليه فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم بأنك لست بأفضل من أحمر و لا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائما فاقعد و إن كنت قاعدًا فاتكئ و إن كنت متكئًا فاضطجع .

و عنه عليه السلام العلم بالتعلم و الحلم بالتحلم و من يتحرى الخير يعطه و من يتوق الشر يوقه. إذا تلتمس للناس عيبًا تجد لهم عيوبًا و لكن الذى فيك أكثر يحكى عن بعض السلف، أنه [راى] بمكة ما لا يرتضى من سنائها، فأنكره، و اضطرب فيه فكره فلما كان الليل، راى قائلا (ينشد هذه الأبيات):

إذا نحن شيئًا لا يدبر ملكناسوانا و لم نحتج مشيرا مدبرا

فقل للذى قد رام ما لا نريدهو أتعبت نفسا بالذى يتعذر

لعمرك ما التصريف إلا لواحدو لو شاء لم يظهر بمكة منكر

و فى كتاب المقاصد الحسنة، للحافظ السخاوى «بسفهاء مكة حشو الجنة» حديث تنازع فيه عالمان فى الحرم فأصبح الطاعن فيه و قد اعوج أنفه .

و رأى قائلا يقول له سفهاء مكة من أهل الجنة ثلاثًا فاعترف بالكلام فيما لا يعنيه و يقال: إنه ابن أبى الصيف اليمنى و أنه كان يقول إن ثبت فإنما هو إسفاء مكة. تصحف على الراوى و معناه المحزون على [تقصيرهم] انتهى بمعناه و الكلام فى مثل ذلك كثير و فى الجامع الصغير المدينة خير من مكة و فى المواهب بسنده المدينة أفضل من مكة و عن مالك رحمه اللّه تعالى ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة، و إذا كانت المدينة الشريفة بهذا المكان من الفضيلة و الشرف فلا غرو [أن] يطيب بها من حلها فمن أهلته الحضرة الشريفة للحلول بها و التشرف بتربها فكيف بأشرافها و أبناءها الذين هم غراسها و لله در القائل.

كفى شرفًا أنى مضاف إليكمو إنى بكم أدعى و أرعى و أعرف

إذا بملوك الأرض قوم تشرفواعلى نسبه منكم من الطيب أعرف

و قال آخر:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۰۹ إذا لم تطب فى طيبة عند طيبه طيبة طابت فأين أتطيب

و إذا لم يجب منها ربنا الدعاءففى أى حى للدعاء يجيب

من محاسن المدينة:

أنها عون بغريبها، حتى على أهلها و فيه سر لا يثار و أنه لا يرد إليها أحد من الآفاق و يتأملها إلا و يختارها حتى على وطنه بل و ينشد بلسان الحال فى هذا المجال:

رأيت بها ما يملأ العين قرةو يسلى عن الأوطان كل غريب

رأيت مكتوبًا على اسطوانة فى المسجد الأقصى سنة اثنين و أربعين و ألف.

إذا كنت فى القدس الشريف تشوقتإلى مكة نفسى بحج و عمرة

و لو كنت فيها قالت النفس طيبةأعيش بها فى كل روح النبوة

و لو كنت فيها زاد للأهل شوقهافمن لى بأهلى و البلاد الشريفة

و قال آخر:

تطالبنى نفسى مقامًا بطيبةفأذكر معفى أهلها فاقصره

حياء من التقصير فى حق بعضهمو إرضاء كل منهم متعذر

و يغلبنى شوقى إليها فأنثنىأقدم رجلى تارة و أؤخر

أنشد لنفسه قاضى القضاة تاج الدين السبكى:

إذا كنت جار المصطفى و نزيلهفيقبح بى شوقى لأهلى و أوطانى

أ أرحل عن دار به الخير كلهو فيها هوى القاصى و أمنية الدانى

حلفت يمينًا إنها خير منزللأكرم نزال و أشرف جيران

و لست بناس أهل ودى و إنماإذا فزت بالباقى فمالى و الفانى

فيا رب بلغ من أحب وصولهاليزداد إيمانًا كما زاد إيمانى

و أنشد لنفسه ابن جابر الأندلسى:

هناؤكم يا أهل طيبة قد حفابالقرب من خير الورى حزتم السبقا

فلا يتحرك ساكن منكم إلىسواها و إن جار الزمان و إن شقا

فكم ملك رام الوصول لمثل ماوصلتم فلم يقدر و لو ملك الخلفا

فبشراكم نلتم عناية ربكمفها أنتم فى بحر نعمه غرقا

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۱۰ ترون رسول اللّه فى كل ساعةو من يره فهو السعيد به حقا

متى جئتم لا يغلق الباب دونكمو باب ذوى الإحسان لا يقبل الغلقا

فيسمع شكواكم و يكشف ضركمو لا يمنع الإحسان حرّا و لا رقا

[بطيبة مثواكم و أكرم مرسلىيلاحظكم فالدهر يجرى لكم وفقا]

و كم نعمة للّه فيها عليكمفشكرا و فضل اللّه بالشكر يستبقا

أمنتم من الدجال فيها فحولكمملائكة يحمون من دونها الطرقا

و كذاك من الطاعون أنتم بمأمنفوجه الليالى لا يزال لكم طلقا

فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكمو إن جاءت الدنيا و مرت فلا فرقا

حياة و موتّا تحت رحماه أنتمو حشرّا فستر الجاه فوقكم ملقا

فيا راحلا عنها لدنيا يريدهاأتطلب ما يفنى و تترك ما يبقى

و تخرج عن حوز النبى و حرزهإلى غيره تسفيه مثلك قد حقا

لئن سرت تبغى من كريم إعانةفأكرم من خير البرية ما تلقا

هو الرزق مقسوم و ليس بزائدو لو سرت حتى كدت أن تخرق الأفقا

فكم قاعد قد وسع اللّه رزقهو مرتحل قد ضاق بين الورى رزقا

فعش فى حمى خير الأنام و مت بهإذا كنت فى الدارين تطلب أن ترقا

لقد أسعد الرحمن جار محمدو من جار فى ترحاله فهو الأشقا

قصيدة غزلية نبوية:

سقى منازل علوى كل غيداقمن السحاب ملت الودق دفاق

و زارها كل يوم لا يبارحهمن النسيم سحيرًا كل خفاق

فكم وصلت بها الغيد الحسان و قدحسن الرحى وصل مشتاق لمشتاق

غيدا يشابهن غزلان الصريم إذاخطرت يومّا بإلحاظ و إحداق

من كل سحارة الالحاظ فاتنة الألفاظ ممشوقة كالغصن معناق

و رب كحلاء تعمى كلما رشقتقلبى بسهم من الإلحاظ رشاق

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۱۱ هيفاء نطق منها الحلى إن خطرتيومّا يصمت منها الحجل فى الساق

قد شغفنى سقم من سقم مقلتهاو فى مجاجتها بريئ و ترياق

خود وهبت لها قلبى و ما سمحتمنها بطيف لذى الظلماء طراق

و لم ترق لصب شفة سقمفى حبها موثق من غير اطلاق

قد خانت العهد منى و هى عالمةأنى على عهدها ما خنت ميثاقى

و أعرضت مذ رأت شيبى و لاح لهاخفوق رأيه إقتارى و املاقى

و رب قائلة كم أنت ذو غصنذاو بلا ثمر فيه و أوراق

فقلت خلى ملامى و اقصرى عذلىفلست متهما فى الرزق خلاق

و من سقى الناس كأس البغى مسرعة فسوف يترعها المسقى للساق

إن القناعة ثوب من تجليه لم يخش ما عاش من فقر و إملاق

و من ألم بطه و هو معتمدعلى نداه سما من فوق آفاق

ذاك الذى عجزت عن مدحه فكرىو حبه لم يزل فى مهجتى باقى

عليه صلّى إله العرش ما طلعتشموس إقباله من أفق اشراق

و من نبويات الشيخ عبد الرحمن البرعى:

عاهدوا الربع ولوعا و غرامافوفوا للربع بالعهد ذماما

كلما مروا على إطلالهسفحوا الدمع بذى سفح سجاما

نزلوا بالشعب من شرقيهمستظلين أراكا و بشاما

ينشر الطل عليهم لؤلؤايفخر اللؤلؤ حسنّا و انتظاما

إذا هبت صبا نجد لهمأفهمتهم عن ربا نجد كلاما

يا رفيقى بنواحى رامةغنينى بالابرق لفردق راما

و الإيثلات المظلة بهاأيها الإيل سقين الغماما

كم بدور فى حدور المنحنىيستعير البدر منهن التماما

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۱۲ حبهم حل سويد مهجتىو فادى بعد ما فت العظاما

أيها اللائم أذنى لا تعىزخرف القول فدع عنك الملاما

أولع الحب بلحمى و دمىفعلام اللوم فى الحب علاما

و الفتى العذرى لا ينفك عنعهد الحب و لو ذاق الحماما

ليت شعرى هل أرى شعبهمبعد بعدى و ترى عينى الخياما

ما عليكم سادتى من حرجلو تدرون لبالينا القداما

إن تناءت دارنا عن داركمفاذكروا العهد و زورونا مناما

هيجتنى نسمة نجديةتركت قلبى عميدّا مستهاما

كلما ناحت حمامات الحمىفى أراك الشعب ناوحت الحماما

و أحبابى الأولى عاهدتهم‌علقوا عقلى بمن أهوى هياما

عرضوا السكر علينا مرةفانتهى الكأس و ما فضوا الختاما

تملت أرواحنا من ذكرهم‌لم نر الراح و لا ذقنا المداما

يا ندامى فؤادى عندكم‌ما فعلتم بفؤادى يا نداما

همت فاستعذبت تعذيبى بعدكم‌فاجرحوا قلبى و لا تخشوا آثاما

أنتم من دمى المسفوح فى‌أوسع الحل فلو كان حراما

فاصرموا حبلى و إن شئتم صلواما ألذ الحب وصلا و انصراما

أنا راض بالذى ترضونه‌لكم المنة عفوّا و انتقاما

كنت بالشعب و كنتم جيرتى‌لو صفا لى ذلك العيش و داما

قسمّا بالبيت و الركن الذى‌طاب تقبيلا و مسحّا و استلاما

إن فى طيبة قوم جارهم‌فى محل النجم يعلو أن يساما

روضة الجنة فى أوطانهم‌و ترى آثارهم يبرئ الجذاما

كل من لم ير فرضّا حبهم‌فهو فى النار و إن صلى و صاما

هم نجوم أشرقت الكون بهم‌بعد ما كانت نواحيه ظلاما

فتحوا الأرض بعليا بأسهم‌و استباحوا يمنا منها و شاما

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۱۳ فيهم الشمس الذى أنواره‌لم يطق من بعده الحق انكتاما

الأعز المنتقى من هاشم‌طيب العنصر يسمو أن يساما

المدانى قاب قوسين الذى‌كان للأملاك و الرسل إماما

ارتضاه اللّه نورّا للهدى‌و انتقاه لدم الأعداء حساما

خصه منه بدين قسيم‌نسخ الأديان ندبا و التزاما

و كتاب أحكمت آياته‌عصمه اللّه لمن رام اعتصاما

[يهتدى كل من استهدى به] سبل الرشد و يعمى من تعاما

فرض العمرة [و الحج لنا] و صلاة و زكاة و صياما

يا رسول اللّه يا ذا الفضل يارحمة عم بها اللّه الأناما

يا أبا القاسم يا أحمد يابهجة المحشر جاها و مقاما

يا وجيه الوجه فى الدارين ياشافع الخلق إذا البداوا خصاما

جد على عبد الرحيم المتلجئ‌لحمى عزك يا غوث اليتامى

و أقلنى من عترتى يا سيدى‌و اكتساب الذنب من خمسين عاما

و رفاقى الكل قم بى و بهم‌فى الملمات إذا احتجنا القياما

نحن فى روض ثناكم نجتنى‌ثمرات المدح نثرّا و نظاما

لو سما المجد لأقصى غايته‌كنت للمجد سناء و سناما

يدك العليا على كل يدزادك اللّه علوّا و احتراما

و كسى روحك منه رحمةو صلاة ترتضيها و سلاما

تقتضى حقك منى دائماو تعم الآل و الصحب الكراما

لطيفة:

قال القاضى أبو المحاسن يوسف نجم الدين الزرندى الأنصارى الحاكم بالمدينة الشريفة و الناظر فى أمر الحسبة خادم السنة و الحديث و ذلك فى سنة ثمان و أربعين و سبعمائة: من طريق المحاضرة و طريق المذاكرة إن الحرمين الشريفين اجتمعا فى ميدان الفخر و من دونهما حجازه و ليس معهما لغيرهما فى هذا المقام على الحقيقة مجاز فتسنم حرم المدينة شرفًا من الشرف عال ثم قال الحمد للّه الذى فضلنى على سائر البلاد و جمع لى بين ظريف الفضل و التلاد و شرفنى بحلول خير العباد و أشرف كل حاضر و باد

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۱۴

و ألبسنى مفاخر الفاخرة و أعلى مقامى فى الدنيا و الآخرة و جعل تربتى شفاء من السقام و غبارى دواء من الجذام فلى الشرف على كل اقليم، و الفضل فى الحديث و القديم و بإسمى ينوه على كل خطيب و عرف تربى أطيب من كل طيب فالمقام بى فى المكاره جنة و فى روضة من رياض الجنة و حسبى فخرًا بالمنبر الذى علت مراقيه و حاز جميع الشرف براقيه فإلى مسجده تشد الرحال من كل قرية و خلاه و الصلاة فيه كما قد علم بألف صلاة فلى السناء الباذخ و الشرف الذى هو بأرض المسجد راسخ فلا غرو إن سبقت فى هذا المضمار فلحق الخيل بالركض المغار و اقسم من غاباتى بالأسود و من لاباتى بالحرار السود و من أزهار رياضى برش البرود و من أغصان نخيلى و أشجارى بكل أملود، و من رماح بساتينى بالعالية و من سواقى جنانى بكل ساقية جارية و جارية ساقية لكمالى فوق كل كمال و جمالى أبهى من كل جمال و حسبى من الشرف الذى لا يجد بالطول و العرض إن ما ضم أعضاءه الشريفة بالإجماع أفضل الأرض و الفرق ما بين الدرهم و الدينار فى الصرف كالناس ألف منهم بواحد و واحد كألف.

سقى اللّه يثرب من بلدةو طاف بها مستفيض السحاب

بلاد تسامت بمن حلهاو طابت و فيها الدعاء يستجاب

و قال آخر:

رعن اللّه طيبة من بلدةو ساق السحاب لأعتابها

فقد جمعت كل فضل جزيل و لا يدخل الفضل بابها

و قال:

إذا اهتزت مناكب ذى افتخاربقرب مليكه و علو داره

فإنى لا أزال أهز عطفىبجيرة أحمد حامى جواره

و بالجملة فإن المدينة المنورة و إن كانت كثيرة اللآواء فإن تحت ذلك فوائد يطول شرحها و متاجر يتضاعف ربحها و كيف لا يحتمل المشتقات من أحب أن يتمتع بسيد أهل الأرض و السموات و ينال ما وعد من جزيل المثوبات و جليل الهبات و انجاز وعده الصادق له بشفاعته و شهادته و بلوغ قصده فى المحيا و الممات و كم عسى تكون شدة المدينة و لأواها و إلى متى تستمر مشقتها و بلواها لو تأملت يا هذا لوجدت فى البلاد ما هو فى الشدة و شظف العيش مثلها بل أشق و أهلها لا يختارون عليها و هم على ذلك الحال بل و ينشدون فى ذلك قول من قال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۱۵ بلاد ألفناها على كل حالةو قد يؤلف الذى ليس بالحسن

و تستحسن الأرض التى لا هواهاو لا ماؤها عذب و لكنها وطن

و رب امرئ ألقى هواه على أمرفلم ير منه غير ما يورث الحزن

و ربما يوجد فيهم القادر على الانتقال فلا ينتقل و القوى على الرحلة فلا يرتحل بل يؤثر وطنه مع إمكان الارتحال و القدرة على التحول و الانتقال.

فيا وطنى إن فاتنى بك سابقمن الدهر فلينعم بساكنك البال

فإن أستطع فى الحشر إنك زائرو هيهات لى يوم القيامة إشغال

على أن المدينة مع شظف العيش بها فى غالب الأحيان قد وسع اللّه تعالى فيها على بعض السكان و كثيرًا من استوطنها حسن فيها حاله و تنعم بها باله و كان من قبل فى زوايا الخمول كثير الفاقة قليل المحصول فإن منّ اللّه تعالى على المرء يمثل ذلك هنالك و هو عنوان السعادة و ترجمان الشهادة و إلا فمن وفقه اللّه تعالى صبره فيها و لو على أحر من الجمر و أمر من القهر فيستجلى مرارة غصتها ليستجلى عروس منصتها و إن كان يلقى يسير من لآوائها ليوقى كثيرا من مصائب الدنيا و بلوائها فإن غاية المضرة المسرة و المبرة و قد روى عنه عليه السلام أنه قال من قضى نهمته فى الدنيا حيل بينه و بين شهوته فى الآخرة . و قال ينادى منادى دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه و هو لا يشعر ، و قال من أصبح و همه الدنيا فليس من اللّه فى شىء و من لم [يهتم] بأمر المسلمين فليس منهم . و عنه عليه السلام اللهم من أحبنى فأقل ماله و أمت ولده و عن جعفر الصادق انا أهل البيت من أحبنا فليتعد للبلاء جلبابا و ما أحسن ما قال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۱۶ إذا كان شىء لا يساوى جميعهجناح بعوض عند من أنت عبده

و اشغل جزء منه كلك و الذىيكون على ذا الجلال قدرك عنده

فطوبى لمن حل بهذه العالم و الديارو شملته أنوار هذه المعاهد و الآثار

و قضى فيها ما بقى من الأنفاس و الأعمار فيما بين المسجد المؤسس على التقوى و الروضة التى هى من رياض جنة المأوى:

و من يعش هكذا فقد جعلتوقفا عليه سوابغ النعم

و من فاته العين هدى شوقه الأثرو من لم يظفر بلذة المشاهدة لم يعدم

لذاذة الخبر أنشد لنفسه أبو عبد اللّه محمد الفيومى:

إنى إذا برحت دار المصطفىو ازداد شوقى نحوها و حنينى

طالعت فى تاريخها السامى لكىأمشى على آثاره بعيونى

اللهم اجعل لنا بها قرارًا و رزقًا حسنًا و لا تحرمنا شفاعة ساكنها الذى شمل الكائنات نوافل و مننا و صلى و سلم عليه و على إخوانه من الأنبياء و المرسلين و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين آمين.

أنشد الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض:

تيقنت أن لا منزلا بعد طيبةيطيب و ان لا عزة بعد عزة

و ما اختص وقت دون وقت بطيبةبها كل أوقاتى مواسم لذتى

و لله در القائل:

ما ذكر الطير للأوطان أوطاراإلا و شاهدت قلبى هام أوطارا

كلا و لا لمعت بالسفح بارقةإلا وسح سحاب الدمع مدرارا

و لا سرت نسمة من طيبة سحراإلا و أصبح نشر الكون معطارا

و لا تذكرت أيامى بروضتهاإلا و أجريت فى الخدين أنهارا

يا ساكنى طيبة من بعد بعدكملم يألف القلب لا ربعًا و لا دارا

و لا رأت مقلتى من بعد طلعتكمبدور ثم و لا شمسًا و لا أقمارا

فكلما رمت بالأفكار رؤيتكمتصورت جارحات القلب أبصارا

و لست أعجب من غدر الزمان بناو الدهر ما زال بالإنسان غدارا

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۱۷ لو أن ما بى من الأشواق نحوكم‌أضحى على الفلك الدوار ما دارا

كم أرقب القرب و الركبان أسألهالعل أسمع فى الأخبار اخبارا

يا سادتى إنى من بعد بعدكم‌أمسى و أصبح مشتاقّا و محتارا

و ما تغير غير الجسم من سقم‌و لا جرى غير دمع قد بكى الجارا

و قال آخر:

يا أهل طيبة لا زالت شمائلكم‌كالروض باكره سار من الديم

أنفاسكم و النفوس الغر لا برحت‌كالزهر و الزهر فى لطف و فى كرم

ما أمكم زائر إلا و آب بمايربوا على فكره من كل مغتنم

فأنتم الطاهرون الطيبون و من‌لا ريب فى مجدهم من سالف القدم

لا عيب فيكم سوى أن التنزيل بكم‌يسلو عن الأهل و الأوطان و الحشم

جميلكم جل أن يخص و فضلكم‌فى الناس أشهر من نار على علم

كفاكم بجوار المصطفى شرفّاو جار ذى الجاه أنى كان لم يضم

لو لاكم خير اللّه الكرام لماكنتم له جيرة من سالف الأمم

و اللّه جل اسمه بالقرب خولكم‌و زادكم بسطة فى العلم و الهمم

لا زلتم و أمان اللّه يكلؤكم‌فما يحاذر فى حرز من اللمم

و كيف أخشى الرزايا إن تلم بكم‌و أنتم فى حمى المختار فى حرم

عليه صلى إله العرش ما سجعت‌ورق الحمائم بين الضال و السلم

و إله الطهر أرباب الكمال و من‌و آلاهم و جميع الصحب كلهم

فائدة:

زعم بعضهم أن السر فى ضعف وجدان من فى المدينة المنورة و فتور شوقه المطلوب يضاعفه القرب الصورى كما هو شأنه. و إن قيل:

و ما أعظم ما يكون الشوق يومّاإذا دنت الخيام من الخيام

حتى أن من ذهب إلى أطراف المدينة، من بساتينها و حدائقها وجد من نفسه الوحشة و قلة الأمان و لا تطيب نفسه بغيبته أكثر من ثلاثة أيام و كذلك كره بعض العلماء كثرة الزيارة مخافة الوقوع فى السآمة و الملل فينبغى أن يغيب أحيانّا ليجدد عهود الأشواق و يرجع رجوع المحب المشتاق.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۱۸

باب فى ذكر المصلى و النقا و العقيق المؤذن بطيب اللقا

و رعى اللّه الأبرق و المصلى‌و بان الحى ما شجعت حمامه

فتلك الصب المعنى‌بها الأرواح صارت مستهامه

على عرب بها منى سلام‌يكون المسك من قبلى ختامه

المصلى: فى الأصل اسم لموضع الصلاة ثم صارت بالغلبة علمّا على مصلى العيد ثم أطلق على سبيل التوسع على ما حوله، اطلاق اسم الجزء على الكل و من محاسنه عمارة الأمير على و هو فى غربى المسجد المذكور، و للمصلى ذكر فى الشعر فمن ذلك:

ولى من فقد جيران المصلىو غرام لا يقر له قرار

فلو خيرت لم أختر سواهمو من لى أن يكون الجار

النقا: بالفتح و التخفيف مقصورًا، ما بين وادى بطحان و المنزلة التى بها السقيا له ذكر فى الأشعار العربية و المولدة [فمن ذلك] :

ألا يا سائرًا فى قفر عمريكابد فى السرى و عرّا و سهلا

بلغت نقا المشيب و جرت عنهو ما بعد النقا إلا المصلا

و قالت محاسن الشعراء:

هاتيك يا صاح ربا لسلعناشدتك اللّه تعرج معى

و انزل بنا بين بيوت النقافقد غدت أهله المربع

حين نطيل اليوم وقفًا علىالساكن أو عطفا على الموضع]

و قال الشاب الظريف:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۱۹ و لقد رأيت برامة بأن النقافمنعت طرفى منه أن يتمتعا

ما ذاك من ورع و لكن من رأىأشباه عطفك حق أن يتورعا

قال البهازير:

ولى فيه قلب بالغرام مقيدله خبر يرويه طرفى مطلقا

و من فرط وجدى فى الماء و ثغرهأعلل قلبى بالعذيب و بالنقا

و قال ابن الحلاوى:

يقولون يحكى البدر فى الحسن وجههو بدر الدجى عن ذلك الحسن منحط

كما شبهوا غصن النقا بقوامهو ذلك تشبيه عن الحق مشتط

و قال آخر:

قرب الديار يزيد شوق الوآلهلا سيما إن لاح نور جماله

أو بشر الحادى بأن لاح النقاو بدت على بعد رؤس جباله

فهناك عليك الصبر من ذى صبوهو بدى الذى يخفيه من أحواله

و أما بطحان فقال الشرف المناوى فى كتاب كشف المناهج هو بضم الباء الموحدة و سكون الطاء المهملة موضع بقرب المدينة كذا قاله النووى و غيره. الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية ؛ ص۱۱۹

ضبطه ابن الأثير بفتح الباء و قال أكثرهم بضمها و لعله الأصح انتهى و فى القاموس بطحان بالضم أو الصواب الفتح و كسر الطاء موضع بالمدينة.

سقيا لسلع و لساحتهو العيش فى أكناف بطحان

أمسيت من شوقى إلى أهلهاأدفع أحزانا بأحزان

[و أول بطحان الماجشونية و آخره السيح] و عند الحديقة الماجشونية و آخر السيح حضرة تعرف بتراب الشفاء و قد جربها العلماء و غيرهم للشفاء من الحمى شربا و غسلا لكن الشرب هو الوارد عند البخارى و غيره لما أصابت الحمى بنى الحارث قال لهم النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه «أين أنتم من صهيب قالوا ما نصنع به قال تأخذون

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۲۰

من ترابه فتجعلونه فى ماء ثم يتفل أحدكم و يقول بسم اللّه تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا [ففعلوا ذلك] فتركتهم

الحمى».

تنبيه: السيح بالفتح و سكون المثناة من تحت مصدر ساح يسيح اسم لما حول مساجد الفتح و أما السيح بالضم و النون الساكنة و قيل بضمتين أطم لبنى الحارث على ميل من المسجد و هو أدنى العالية سميت به الناحية و به منزل الصديق رضى اللّه تعالى عنه بزوجته الأنصارية المنحنى بالضم ثم السكون و فتح الحاء و النون له ذكر فى الغزل بأماكن المدينة و هو عند أهلها اليوم يقرب المصلى فى القبلة شرقى بطحان و هو الآن منزل عرب الشام عند ذهابهم إلى الحج و أما بعد رجوعهم فمنزلهم شرقى وادى سلع و كان بالمنحنى منازل لأهل الخير حتى قال فيه:

خدور على الخط و المنحنابها يغفر اللّه عمن جنا

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۲۱ فيا جيرة القبر من يثرب‌أجير و محب إليكم دنا

و قولوا قدمت على أحمدشفيع العصاة و كنز الغنا

فبشراك ما ترتجى حاصل‌و يهنيك هذا مقام الهنا

و قيل:

يا جيرة نزلوا بوادى المنحناما للمتيم عن محبتكم غنا

و غيرى إذا طال الزمان سلاكم‌و تغيرت أحواله إلا أنا

إن صح لى ذاك الوداد و دام لى‌برضاكم فتحت أبواب الهنا

و تلطف الذهبى حيث يقول:

تولى شباب كأن لم يكن‌و أقبل شيب علينا تولى

و من عاين المنحنا و النقافما بعد هذين إلا المصلى

[و قال آخر]:

كفى مودنا باقتراب الأجل‌شباب تولى و شيب قد نزل

و موت الأخلاء ما بعده‌بقاء يؤمله من عقل

إذا ارتحلت قرناء الفتى‌فلا شك فى أنه قد رحل

[الشيخ شرف الدين بن الفارض]:

سقيا لأيام مضت مع جيرةكانت لياليا بهم أفراحا

و أما على ذاك الزمان و طيبةأيام كنت فى الغرب قراحا

حيث الحمى وطنى و سكان النقاسكنى و وردى الماء فيه مباحا

و أهيله أربى و ظل نخيله‌طربى و رمله واديه مراحا

ما رنحت ريح الصبا شيخ الربااِلا و أهدت منهم أرواحا

و قد اشتمل النقا على حدائق ذات بهجة فمن أحسنها بئر ودى بن الأمير جمال الحسين فإنها اشتملت على الشجر المتفرع و الغرس المتنوع و العمارة الحسنة و الأوضاع المستحسنة و ماؤها أعذب ماء هنالك قال فى الوفا و لعلها بئر أبى عنبة التى عرض رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عسكره عليها فى جيش بدر ورد من استصغر و هى على ميل من

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۲۲

المدينة المنورة و من محاسن النقا زمزم فإنها حديقة ذات نخيل و أشجار و عمارة تناجت فى ساحتها الأطيار قال فى الوفا بئر أهاب بصق فيها النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه و هى بئر زمزم و لم يزل أهل المدينة قديمًا و حديثًا يتبركون بها و ينقلون إلى الآفاق من

مائها و فيه أنها بئر فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضى اللّه تعالى عنهم احتفرتها لما أخرجت من بيت جدتها فاطمة الزهراء رضى اللّه تعالى عنها و هى الآن من أحسن الحدائق الخضرة ذوات الأشجار الأنيقة النضرة و ماؤها ليس بالعذب الخالص و ما أحسن ما قال:

أكرم بزمزم إذ غدا متفجرّابمعين ماء للمفاسد يصلح

حاوى الملاحة و العذوبة و الشفافلذلك يحلو للقلوب و يملح

و لأبى العلا سليمان المغرى فيما قال:

لك الحمد أمواه البلاد بأسرهاعذاب و خصت بالملوحة زمزم

و فى الخبر لا تقوم الساعة حتى تبلغ المساكن اهاب و فى رواية لا تقوم الساعة حتى يبلغ البناء شجرة ذى الحليفة و هى على ستة أميال من المدينة و قال الأسدى خمسة أميال و نصف ميل و الميل ألف باع على المشهور و هو ثلث الفرسخ و أنشدوا:

إن البريد من الفراسخ أربعو لفرسخ فثلاث أميال ضعوا

و الميل ألف من الباعات قلو الباع أربع أذرع فتتبعوا

ثم الذراع من الأصابع أربعمن بعدها عشرون ثم الاصبع

ست شعيرات فبطن شعيرةمنها إلى ظهرها لأخرى توضع

ثم الشعيرة ست شعرات غدتمن شعر بغل ليس فيه تضعضع

و قال عمر الوزير محمد باشا بذى الحليفة: البئر المنسوبة إلى على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه على يد نقيب السادة الأشراف بالمدينة المنورة السيد أحمد بن سعد الحسينى فى سنة تسعمائة و اثنين و ثمانين و جعل لها درجات بعرض حافتيها بحيث صارت المواشى تردها فتكرع منها و فى قبلى ذى الحليفة وادى الحساء و هو واد فيه آبار و مزارع شتى و هو المذكور فى شعر أبى رواحة يخاطب ناقته.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۲۳ إذا أدنيتنى و حملت رحلىمسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمى و خلاك ذمو لا أرجع إلى أهلى و رائى

و من محاسن النقا:

المغسلة بالغين المعجمة قال المجد هى بكسر السين المهملة و كمنزله جبانة بطرف المدينة يغسل فيها كذا ذكره أهل التاريخ [و من أوعظ ما قال] :

كذا عادة الدنيا فهل ناظرخطوب تفاجينا و موت [يصادره]

كفى عظة أن كلما جئت بلدةتلقتك من قبل البيوت المقابر

و قد صارت هذه الجبانة حديقة كبيرة نضيرة و تعرف اليوم بالمغسلة بفتح السين على خلاف القياس و هى من قبلى النقا من غربى بطحان و من محاسن بطحان حديقة أمير جليل و المسلحة و ما اشتمل عليه ذلك الجزع من البساتين الفائقة و المنارة الرائقة.

فائدة [شجر] البان [شجر] يقارب الاتل و منه نوع قصير دون شجر الرمان يدخل فى الغوالى و الأطياب كان ينبت بنواحى النقى [و بارق] و الابرق و رامه مواضع بالعقيق.

و أنشد لنفسه الشيخ عبد اللطيف التكريتى:

ما شاقه البان و لا يشوقهمذ لمعت ببارق بروقه

حن إلى المعنى القديم فانثنىو شوقه إلى اللوى يسوقه

يهوى باكتاف الحمى محجباحكاه من غصن النقا و ريقه

بدر خبايا أضلعى بروحه‌ظبى و سفح مدمعى عقيقه

ملكته طرفى [و قلبى] فغداأسيره هذا و ذا طليقه

يا أهل ذياك الحمى نزيلكم‌يحمل أن ترى له حقوقه

هلا سألتم بالغضا عزواله‌فارقه يوم النوى فريقه

مزق ثوب الصبر يوم بينكم‌و لذ فى حبكم تمزيقه

و حقكم ما أم غير بابكم‌و لا سرت إلى سواكم نوقه

كلا و لا راق له منذ نأى‌عن حبكم مغنا و لا يروقه

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۲۴ و لا تعنى بكم حادى السرا إلا انثنى و دمعه خلوقه

يود لو زاد على أحداقه‌سعيا و أحكام القضى تعوقه

يا طيبا منزله بطيبة‌و من صميم هاشم عريقه

صلى عليك اللّه ما انهل الحياو ما سرى فى فلك عتوقه

و من محاسن المدينة. العقيق و هو واد على ثلاثة أميال من المدينة و قيل على ميلين منها كذا فى كشف المناهج للشرف الناوى و فى القاموس العقيق الوادى جمعه اعقه و كل مسيل [شقه] ماء السيل و موضع بالمدينة انتهى و قد وصف بأنه الوادى المبارك و فى خبر يحبنا و نحبه و هواء سجسج لا حر فيه و لا برد و من شعر الزبير فيه:

قم بنا يا أنيس قبل الشروق‌نحتسيها على رياض العقيق

يحكى عن أعرابى أنه قال: دخلت العقيق فوجدت قلبى يمتلأ سرورا لا أعرف له سببّا غير طيب ترابه و عذوبة هوائه و انفلاج جوه.

[و من أحسن ما قال] :

و لقد صبوت إليه حتى‌كدت من فرط التصابى

يجد الجليس إذ دناريح الصبابة من ثيابى

قال فى الدرة الثنية فى أخبار المدينة: وادى العقيق اليوم ليس فيه ساكن و فيه بقايا أبنية مندرسة تجد النفس برؤيتها أنسّا كما قال أبو تمام و ما زرنا من تود:

ما ربع ميه معمورّا يطيف به‌غيلان أبهى ربا من ربعها الهذب

و لا الجدود و إن أدمين من حجل‌أشهى إلى قلبه من خدها الترب

فائدة: حاجر موضع بغربى النقا من وادى العقيق و هو المذكور فى الأشعار و أنشد لنفسه الشيخ عبد السلام بن يوسف و لله دره:

على ساكنى بطن العقيق سلام‌و إذا أسهرونى بالفراق و ناموا

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۲۵ خطرتم على النوم و هو محلل‌و حللتم التعذيب و هو حرام

إذا نبتم عن حاجر و حجرتم‌على السمع أن يدنو إليه كلام

فلا ميلت ريح الصبا فرع بانه‌و لا سجعت فوق الغصون حمام

و لا قهقهت فيه الرعود و لا بكى‌على حافتيه بالعشاء غمام

فما لى و ما للربع قد بان أهله‌و قد فوضت من ساكنيه خيام

ألا ليت شعرى هل إلى الرمل عودة‌و هل لى بتلك البانتين لمام

و هل تهله من بئر عروة عذبة‌أداوى بها قلبّا يراه أرام

ألا يا حمام الأراك إليكم‌فما لى فى تغريد كن مرام

فوجدى و شوقى مسعد و مؤانسو نوحى و دمعى مطرب و مدام

قال فى الخلاصة: بئر عروة هذه ميمونة مأثورة، و كان الزوار لا يتجاوزون العقيق حتى يتزودوا من مائها و فيها يقول السرى بن عبد الرحمن الأنصارى:

كفنونى إن مت فى درع اروىو استقوا لى من بئر عروة مآى

سخنه فى الشتاء بارده فى الصيفسراج فى الليلة الظلماء

و قال إبراهيم بن موسى الزبيرى:

ليت شعرى هل العقيق فسلعفقصور الجمآء فالعرصتان

فإلى مسجد الرسول فما حازا لمصلى فجانبا بطحان

فبنوا مازن على العهد أمليس كعهدى فى سالف الأزمان

قال أبو قطيفة:

القصر ذو النخل فالجمآء بينهماأشهى إلى النفس من [أبواب جبرون]

و المراد القصر الذى ابتناه سعيد بن العاص بن أمية أحد مشاهير الأجواد بصره عرصة العقيق و كان بنوا أمية يمنعون البناء فى العرصة خنا بها فاحتفر بها سعيد و غرس النخيل و البساتين و كان نخلها أبكر شىء بالمدينة و تسمى عرصة الماء و ابتنى مروان بن الحكم بعرصة البغل قصرّا و احتفر بها عينّا.

و فى ذلك يقول الوليد:

لم أنس بالعرصتين مجلسنابالسفح بين العقيق و السند

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۲۶

و فى الخبر: يا عائشة جبنا من هذا العقيق فما ألين موطأه و أعذب ماؤه قالت: يا رسول اللّه أفلا تنتقل إليه قال «كيف و قد ابتنى الناس» .

و عنه عليه السلام «نعم المنزل العرصة، لو لا كثرة الهوام» .

قال المطرى: العقيق ما بين الحرم إلى غربى بئر رومة، و منه الجرف و سيأتى و لم يزل العقيق نخلا و أعنابا، حتى خربت تلك العيون، و لم يبق من عمارات العقيق إلا بعض الآثار و بقايا رسوم الآبار و ما زالت النفوس ترتاح برؤيتها و الأرواح تنتعش بطيب نسمتها و من أحسن بساتين العقيق بئر مهدى فإنها حديقة غرسها زاهر و أنسها باهر و ماؤها عذب و هواؤها رطب و فيها للنفوس مسرة و لأهلها بها أكرم مبرة انتهى و أما سيل العقيق فإنه أعظم سيول المدينة و أحلاها و أجملها و أجلاها [منا] بحر النيل عند إقباله إلا كثمرة و أوشاله و ما الفرات و حلاوته عندما ترون العين طلاوته لقد اختصت به أهالى المدينة حتى كان عندهم يوم الزينة و بالجملة فإنه إذا سال بالسلسال واديه و تعطر بأزهار بساتينه ناديه هرعت وجوه الناس إليه و عولت فى صفاء الوقت و ترادف المسرات عليه فتضرب حوله الخيام و لا سيما إن تحجبت الشمس بالغمام فترى الناس حوله ينتهزون فرصة اللذات و ينتهبون أوقات المسرات.

قال أبو عبيدة: العقيق ينفق من قبل الطائف و يروى أنه أقام فى بعض الأعوام نحو خمسة عشر يوما و هو فى قوة الجريان بحيث لا يمكن سلوكه و من المعميات فى السيل:

إذا ركب البيدآء يخشى و يتقىو لم يثنه طعن و لم يلوه ضرب

و يأكل ما يلقاه عند لقائهو من أعجب الأشياء ليس له قلب

و له أيضا:

ما اسم شىء إذا تصحف جمعو هو يصطاد ما من البحر يجلب

و هو لا طائر و ليس بوحش‌ثم إن رمت قلبه ليس بقلب

يريد ان هذا الاسم و هو لفظ سيل إذا تصحف كان شبكًا جمع شبكة و هو معدود لصيد السمك فى البحر و هو غير الطير و الوحش و قلب سيل ليس و هو مادة النعمية و لابن المعلم .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۲۷ كم قلت إياك العقيق فإنه‌ضربت جاذره بصيد أسوده

و أردت صيد مها الحجاز فلم يساعدك القضا فرحت بعض صيوده

و اختصره آخر فقال:

أبصرت ظبيا فى الحمى‌بين اللوى و زروده

أملت أن أصطاده‌فغدوت بعض صيوده

و قال غيره:

قلبى الخفوق و مدمعى الجارى دم‌مهما جرى ذكر العقيق أو اللوى

و إذا تألف بارق من بارق‌فهناك ينشر من هواه ما انطوى

لطيفة:

فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى نقلا عن الهيثم بن عدى قال: حدثنى عبد اللّه بن العباس الهذلى عن رجل من بنى عامر قال مطرنا مطرا شديدا ارتبعناه و دام المطر ثلاثا ثم أصبحنا فى اليوم الرابع على صحوه فخرج الناس يمشون على الوادى فرأيت رجلا جالسا على حجر فقصدته فإذا هو المجنون جالسا يبكى فكلمته طويلا و هو مطرق ثم رفع رأسه و أنشد بصوت حزين لا أنسى حرقته:

جرى السيل فاستبكانى السيل إذ جرى‌و فاضت له من مقلتى غروب

و ما ذاك إلا حيث أيقنت أنه‌يكون بواد أنت منه قريب

يكون اجاجا دونكم فإذا انتهى‌إليكم تلقى طيبكم فتطيب

فيا ساكنى أكناف نخلة كلكم‌إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

زاد مغلطاى

أظل غريب الدار فى أرض عامرألا كل مهجور هناك غريب

و إن الكثيب الفرد من أيمن الحمى‌إلى و إن لم آته لحبيب

و لا خير فى الدنيا إذا أنت لم تزرحبيبا و لم ينظر إليك حبيب

قال و هى من قصيدة أولها:

ألا أيها البيت ألذى لا أزوره‌و هجرانه منى إليه ذنوب

هجرتك مشتاقا و زرتك خائفاو فيك على الدهر منك قريب

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۲۸ سأستعطف الأيام فيك لعلهابيوم سرور فى هواك تثيب

قلت

و لعل تكرار اسم الحبيب فى القافية غير مذموم فإنه لا يضر شىء مع اسمه و على ذكر المطر فى التهنية به.

للّه يوم قد همت سحبه‌بسفح روض طيب النسمه

و ظبى أنس حن قلبى له‌إذ قال لى تهنيكم الرحمه

فائدة:

سيل الحجاب كان بمكة المشرفة و احتجب دورا كثيرة و أحاط بالكعبة و كان فى إمارة عبد الملك بن مروان سحر يوم التروية من

عام ثمانين و حكى السيوطى فى تاريخ الخلفاء، انه جاء سيل فى أيام عبد اللّه بن الزبير طبق البيت الحرام فكان يطوف سجاته و هو أول من كسى الكعبة الديباج و كان له مائة غلام لكل غلام لغة ليست لصاحبه فكان يكلم كل غلام بلغته و للصيفى الحلى:

بقدر لغات المرء يكثر نفعهو تلك له عند الممات أعوان

فهافت على حفظ اللغات مجاهدافكل لسان فى الحقيقة إنسان

و فى سنة إحدى و سبعين و تسعمائة، طاف بالبيت سيل عظيم خرب الدور و أخلى البقاع و علا على الركن اليمانى مقدار ذراع و فى سنة ۹۷۱ و فى سنة تسع و ثلاثين ألف دخل مكة سيل لم يعهد مثله بحيث هدم الدور و ذهب بالمال و الرجال و دخل إلى المسجد و طاف بالبيت بحيث كان تاريخه رقى إلى قفل بيت اللّه و بسببه انهدمت الكعبة و عمل الناس فى ذلك التواريخ و الاشعار و كثر اللغط فى عام تاريخه غلط و فى سنة أربعين بعد الألف كان بناء البيت الشريف و من التواريخ المنثورة فيه و رفع اللّه قواعد البيت و كانت هذه الفضيلة مما اختص بها السلطان الأعظم و الخاقان المكرم واسطة عقد آل عثمان و المخصوص بالمناقب التى يعجز عنها البيان المسدد فى الاصدار و الايراد، مولانا السلطان مراد أصلح اللّه تعالى بما مضى اهتمامه فساد العباد و عم بعدل سيرته البلاد و لا انفك منشور عزه مكتوبا على جبهة الشمس و جماجم أعدائه مندرسة كأن لم تفن بالأمس فيا له من أثر نعفو دونه المآثر و يا له من تاريخ خير يبقى مع الدهر الداهر و أكرم بها فضيلة اختصه اللّه تعالى بها دون آبائه و شرفا يسطر خبره فى صدر قرطاس أبنائه:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۲۹ هكذا هكذا و إلا فلا [لا] طرق الجد غير طرق المزاح

و من تاريخ الفاسى لغيره:

بنى الكعبة الغراء عشر و كرتهمو رتبتهم حسب الذى أخبر الثقه

ملائكه الرحمن آدم ابنه كذلك خليل اللّه ثم العمالقه

و جرهم يتلوهم قصى قريشهم كذا بن زبير ثم حجاج لا حقه

و من يعد من آل عثمان قد بنى مراده حماه اللّه من كل طارقه

و ذيل بعضهم فقال:

و خاتمهم من آل عثمان بدرهم مراد المعالى أسعد اللّه شارقه

فائدة:

الخلائق جمع خليقة، مزارع و قصور لغير واحد من آل الزبير يمر بها سيل العقيق كذا فى تاريخ الوفاة و من بعدهم من آل عثمان قد بنا مراد حماه اللّه من كل طارقه صح.

أنشد أبو حيان الشاطى لنفسه:

ترمون الحجاز و ما علمتم بأن القلب بينكم العتيق

و الفاظى العذيب و فى ضلوعى الحمى و دموع مقلتى العقيق

و قال آخر:

و لقد أتيت إلى العقيق فشاقنى عين بها روض النعيم منعم

[فلأجلها و من أهلها] أنا مكرم و لأجل عين ألف عين تكرم

و من كتاب زهر الربيع و باب

حدثانى عن قامت و رضاب أشغلانى عن كل غصن و فريق

و صفا لى ثغر الحبيب فإنى ذو اشتياق إلى النقا و العقيق

الشاهد:

فى قوله صفا لى ثغر الحبيب، فإنه أدمج فيه وصفه بالنقا و العقيق.

و ما أحلى قول ابن نباتة:

إذا لم تغض عينى العقيق فلا رأتمنازله بالقرب تبهى و تبهر

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۳۰ و إن لم تواصل عادة السفح مقلتىفلا عادها عيش بمعناه أخضر

قال ابن حجة فى كتاب كشف اللثام عن وجه التورية و الاستخدام بعد إيراد البيتين فيه انظر أيها المتأهل إلى صحة الاشتراك فى الاستخدامين و انسجام البيت الأول مع الثانى، و سيلان الرقة من هذا القطر النباتى و التشبيب المرقص بالمنازل الحجازية و الغزل الذى يليق أن تصدر به المدائح النبوية و من الشعر المنسجم المحرك للأشجان.

أبكى إذا ذكر العقيق بمثلهلعهود جيرته و حسن [المعهد]

فسقى الحيا تلك البقاع فتربهالجلاء عن القلب مثل الأثمد

السرى الرفا:

إذا ذكر العقيق لنا سرناعقيق الدمع سحا و إنهمالا

و سال من معالمه محيلافتطلب من إجابته محالا

سعد الدين بن عربى:

هذا العقيق فما لقلبك يخفقأتراه من طرب إليه يصفق

بانت له بانات سلع فانثنىو له إلى نسماتهن تشوق

و من محاسن المدينة:

البركة المباحة و هى بركة الأمير بيرى و هى فى قبلى جادة العقيق و عندها حديقة و كان عليها بناء حسن لعبت به الرياح و بركة الأمير قاسم على بئر الأعجام و هى من قبلى مسجد السقيا و عندها سبيل و مشربه على حديقة لطيفة و كانت مقيلا للأعيان و منتزهّا لمن تناءت به الأوطان فدارت بها الليالى، حتى صارت كالرسم الخالى و كل عمارة تغدو خرابا، عمارتها بتكرار الرياح العسيرية و هى بركة عظيمة عليها عمارة حسنة و ايوان لطيفة و هى من قبلى جادة النقا و بركة الوزير داود باشا و هى فى غربى عمارته عند مقسم العين الزرقا و هى منهل الركب المصرى و بركة المصلى و هى الكائنة فى شرق حوسن عمر أنفدى و بركة الوزير مصطفى باشا و هى الكائنة فى غربى بستانه فى شمال باب السور الشامى و هى منهل الركب الشامى و لكل واحدة من هذه البرك أوقاف و خدمة و ناظر و من محاسن المدينة عمارة السلطان مراد عليه رحمة اللّه، رب العباد، فإن عليها مدار المهاجرين، و الفقراء و المجاورين و كان لها خبز يصلح للقرا و كان يطبخ فيها اللحم و يفرق على الفقراء، و كان الفقير إذا نال نصيبه من الأرز المطبوخ فى ليلة الجمعة

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۳۱

و الاثنين استخرج منه من السمن ما يكفيه إلى يومين و بالجملة فلا غير اللّه تعالى بها الحال و لا أخلاها من الخيرات و النوال، إذ لكل زمان مجال و لكل دهر دولة و رجال و قد أفرد بعض الفضلاء مؤلفّا بخصوصها و بين فيه تفاصيل جملها بنصوصها و فى معنى هذه العمارة، العمارة الخاصكية و من محاسنها الرباط وضعا و نفعا فلا زالت بالخيرات عامرة و للفقراء بجزيل الإحسان غامرة و من محاسن المدينة حمام الوزير داود باشا فإنه حسن فى وصفه عام فى نفعه و عنده حديقة لطيفة متينة و عمارة ظريفة، منازل ليلى كلهن منارة لطرفى و قلبى فى حماها مخيم.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۳۲

باب فى ذكر سلع و مساجد الفتح و ما اشتمل عليه ذلك السفح

حديث الغوانى لست أنكر طيبهو لكن كلام العامرية أطيب

سلع بالفتح ثم السكون آخره عين مهملة، جبل بالمدينة المنورة قال الأصمعى غنت حياله جارية يزيد بن عبد الملك و كانت من أحسن الناس وجها و مسموعا و كان شديد الكلف بها و كانت نشأت بسلع.

لعمرك إنى لأحب سلعالرؤيته كذا أكتاف سلع

تقر بتربته عينى و إنىلأهوى أن يكون يريد نجعى

فتنفست الصعدا فقال لها لما تتنفسين و اللّه لو لا رؤيته لنقلته إليك حجرا حجرا فقالت له و ما أصنع به، إنما أردت ساكنيه:

و ما كنت أهوى الدار إلا بأهلهاعلى الدار بعد الصاغين سلام

و كان العباس رضى اللّه عنه يقف على سلع فينأى غلمانه و هم بالغابة و ذلك من آخر الليل و بينهما ثمانية أميال قال المجد، الغابة ماء على بريد من المدينة فى سافلتها و هو محمول على أثناء الغابة لا- أدناها و قبل هى على ستة أميال و عليه، فالمراد أولها و هى مفيض أودية المدينة و كانت بها أملاك لأهل المدينة استولى عليها الخراب و بيعة فى تركة الزبير بألف بألف و ستمائة ألف.

لنا ملك ينادى كل يومللموت و ابنوا للخراب

و كم للّه من ملك ينادىصبيحة كل يوم للمعاد

يقول لأهل دنيانا جميعالدوا الموت و ابنو للخراب

و يروى أنه عليه السلام قصر الصلاة فى الغابة و إليها تنتهى عين معاوية و لم يبق منها اليوم غير مجاريها و على ذكر صوت العباس قال فى القاموس أبو عروة رجل كان

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۳۳

يصيح بالأسد فيموت فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه و للطبرانى فى الكبير سيبلغ البنيان سلعا ثم يأتى على المدينة زمان تمر السفر على بعض أقطارها فتقول [قد كانت] مرة عامرة و ذلك من طول الزمان و عفو الأثر و فى خبر ليخرجن أهل المدينة، خير ما كانت تصفا زهوا و تصفا رطبا، قيل من يخرجهم منها قال أمراء السوء و فى رواية [اعمر ما كانت] و ذلك فى آخر الزمان.

يا صاح إن اسود الغاب همتهايوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

و أما سليع بالتصغير، و هو جبل صغير و عليه اليوم القلعة السلطانية و كان عليه قبل ذلك، حصن أمير المدينة الشريف جماز بن شيخة الحسينى و فى حدود السبعين و ستمائة كذا فى زهر الرياض و أما كهف سلع، فقد كان عليه السلام يبيت فيه ليالى الخندق و هو على يمين المتوجه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية فى مقابل الحديقة النقيبية على يمين الصاعد عليه و أعلى منه كهف صغير فى جهة المشرق و تقدم ذكر العينية و كانت بسلع قصور مشيدة و مساكن عديدة، و منارة حسنة الأوضاع و المسالك و للشعراء فيها تشبيب فمن ذلك:

قصور لعمرى حباة مضتو لم نر بالنخل تلك القصورا

سقى الله سلعا و ما حولىو سلنى تجدنى بسلع خبيرا

و من القصائد النبوية فى ذلك:

بين سلع و المصلى عربحبذا قربهم لو وجدا

حيث ساروا ففؤادى معهماتهم السير بهم أو أنجدا

يا سقى الغيث ربوعّا باللوى كلها راح عليها و غدا

بعدت عينى و فى تلك المنىقرب اللّه لنا ما بعدا

و حياة الحب لو لا قمرحل فى ذاك الحمى ما قصدا

أنشدوا قلبى فى معهدهم‌فهو لا يترك ذلك المعهدا

و دعوا جفنى و إن برح بى‌و دعوا شوقى إلى أن يقدا

ربنا سلعّا و سل عن جيرةمثلهم لم تر عينى أحدا

فإذا جئت فعرض عندهم‌فحديثى و لك النفس فدا

ورد الماء ألذى فى حيهم‌فهو الماء ألذى يروى الصدا

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۳۴ بعد ذاك المورد العذب لقدبت لا تطلب نفسى موردا

قل لهم لا صبر عنكم فإذاكان بعد لا تطيلوا الأمدا

بيننا موعد وصل و هم‌عرب لا يخلفون الموعدا

ما رأينا أحدا إلا انثنى‌طربّا يوم رأينا أحدا

و بدا من دون سلع قمرحبه فى جلدى قد خلدا

أشرقت من نوره الأرض لنافكان الليل صبح قد بدا

كيف صبرى على حبيب قد غدابالمعالى و المعانى مفردا

إن عيشا قد مضى فى قربه‌لست أنساه و لو طال المدا

أيها الحادى دع العيس و نم[قد كفاها سوقها] عمن حدا

رقد القوم عليها و هى من‌شوقها قد منعت أن ترقدا

لو تراها راقصات فى الفلاقد شجاها صوت حاد أنشدا

ذكرت سلعا و سلع منتهى‌أمل السارى إذا ما اجتهدا

ليس من يسهر فى كسب العلامثل من يرقد فيمن رقدا

لا تقل ما لى زاد فالذى‌أنت ترجوكم فقيرا زودا

ختم الرسل به رب الورى‌و به فى رتبة الفضل ابتدا

و هو عنهم خير فى بعثه‌و هو فى الفضل عليهم مبتدا

وجد الناس و هم فى حاجةفنوى كل نوال وجدا

وجلا عن كل قلب و جلاو فدا من ذنبه من و فدا

سلم اللّه على خير الورى‌و على أصحابه أهل الندا

و على الآل سلام عاطرو ثناء من محب سرمدا

و قال الشيخ أبو بكر الرداد:

لى باكناف طيبة بين سلع‌و القوالى مسامر و شجون

و حبيب إذا نألف برق‌من سنا أرضه تفيض العيون

يا أهيل الحمى و بان المصلى‌و قباب النقا بكم استعين

طال فقدى و باع جهدى قصيرو بكم أصعب الأمور يهون

فالدراك المدراك يا أهل نجدقبل أن تذهب البقايا الغبون

و عسى عطفه تسكن جانبى‌و عسى عودة بها أستكين

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۳۵

و قال القيراطى:

عرض إلى ركب الحجاز اسائلهفى عهده بسكان سلع

فاتنى أن أرى الديار بطرفىفلعلى أرى الديار بسمعى

و أما مساجد الفتح و هى من غربى سلع، فالأول المرتفع على قطعة منه يسمى مسجد الأحزاب، و مساحته عشرون ذراعا فى سبعة عشر صح أنه صلى اللّه تعالى و سلم عليه صلى فيه و دعا فيه عليهم يوم الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء و هذا هو الأصل فى تخصيص هذا اليوم بزيارة هذه المساجد، و سمى مسجد الفتح لقوله عليه السلام ابشروا بفتح اللّه و نصره ، لأن سورة الفتح به نزلت و المسجد الذى يلى الأعلى قبله مسجد سلمان رضى اللّه تعالى عنه و يعرف بمسجد على كرم اللّه وجهه و مساحته ثلاثة عشر فى ستة عشر، و الثالث مسجد الصديق رضى اللّه تعالى عنه و الرابع فى قبلة الثالث، على قطعة من جبل سلع، و يعرف بمسجد أبى ذر رضى اللّه تعالى عنه، صح أنه عليه السلام صلى فى كل من هذه المساجد و فى غربى المسجد الثالث صهريج يمتلى من سبل أبى جيدة و عليه ايوان لطيفة يقال له من عمارة إبراهيم آغا و فى غربى الصهريج، حديقة لطيفة و سبيل عمر فى سنة ثمان و أربعين و ألف و خلفه إلى جانب المغرب حدائق و بساتين و مزارع و فى شرقى سلع حول مناخ الراكب الشامى، حدائق ذات بهجة من أحسنها الزكى و هى حديقة ذات نضارة و عمارة و هى عند مشهد السيد محمد الزكى و به عرفت و هى فى قبلة ثنية الوداع و على ذكر الثنية فما أحسن ما قال:

جلا ثغر أو اطلع لى نيابا يسوق بها المحب إلى المنايا

و أنشد ثغره الأصحاب فخراأنا ابن جلا و طلاع الثنايا

و قال صدر الدين بن الفيومى:

جلا مسواك خير درفجل بذاك و اكتسب المزايا

و أنشد صحبة تيها و عجباأنا بن جلا و طلاع الثنايا

و من الحدائق المعتبرة هنالك الحديقة القيرسلية و هى قبلة مسجد الراية و الحديقة المكارمية و الحديقة السنانية و الحديقة الحمامية و الحديقة الفيرزوية و عمارة الوزير مصطفى باشا منارة كأنها جنان يسلوا بها عن همه الجنان.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۳۶

باب فى ذكر قباء و محاسن هاتيك الربا

يقولون لى صفها فأنت بوصفهاخبير أجل عندى بأوصافها علم

قبا بالضم يمد و يقصر، على ميلين من المدينة المنورة و فى آثار البلاد و أخبار العباد للقزوينى، قبا قرية لطيفة على ثلاثة أميال من المدينة بها ما يلد العين من حسن منظر و ما ترضيه النفس من شهواتها.

زمردة خضر أتدرين قرطهابلؤلؤة بيضاء من زهراتها

و أقول فى ذلك، و إن لم أكن هنالك:

ما أطيب الأيام فيها تنقضىو العين قد قرت بوصل حبيبها

ما للعيش إلا فى حماها ليت لىمأوى و لو فى سفحها و رحيبها

و بالجملة، فإنها رياض رق أديمها، و راق نسيمها، و نم طيبها و ترنم عندليبها و تحركت عيدانها، و تمايلت أغصانها و تفوقت أزهارها و صوت هزارها تسلسلت جداولها و تبلبلت بلابلها و هذا ما أملته الخمائل يغمرها و النسمات برمزها و أشارت إليه الأزهار بلسان حالها و ترحمت عنه الأطيار فى حلولها و ارتحالها و قال الماء الذى جعل منه كل شىء حى، ألا يا أهل الحى، من طالع مثالى فهم

ضرب أمثالى و من أعجم عليه اشكالى فليس من اشكالى و الحمد للّه البعيد فى قربه، القريب فى بعده [المتعالى فى جده عن هزل القول وجده الموجد ما كان عدما] المودع كل موجود كلما جاعل العقل، حكمًا يميز بينه الشىء و ضده، ما يفتح اللّه للناس من رحمة فلا ممسك لها و ما يمسك فلا مرسل له من بعده، فلله أول مسجد أسس على التقوى و فى اللّه قلوب على الطاعة تقوى، فى حضرة ما أبهاها و روضة ما أشهاها الجداول قد سلت بأيديها كل عصب صقيل صيغ فضة بيد الضحى و ذهبا بيد الأصيل و الأغصان كأنما خلقت منابر لخطباء الحمام و صورت أوراقها محاجر لدموع الغمام و الطير ما بين متطلع من وكنه و قائم على غصنه من كل مغوف الطيلسان، و مطوق، يزهو طوقه على طوق العقيان:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۳۷ يصلن بنوحى نوحهن و إنمابكيت بشجوى لا بشجو الحمائم

فلله هاتيك الحدائق، و قد سقاها ماءه النعيم، و ألبسها نعماءه النسيم و نقل الشمال إلى الشميم طيبها و تحركت بالأشواق إليها قلوب العشاق و لا تحرك الأغصان حين حرك رطيبها و لقد طالت حيرة البليغ فى وصفها و ما عسى أن تحمل الشمال من طيب عرفها:

فيا حسن هاتيك الرياض و طيبهافكم قد حوت حسنا يجل عن الجد

و لا سيما تلك السوانى فانهاتجدد حزن الواله المدنف الفرد

أطارحها شجوى و صارت كأنماتطارح شجواها بمثل الذى أبدى

و ما بين هاتيك النخيل منارةتجدد ما قد فات من سالف العهد

و فى سفح ذاك الجزع أى كواكبتلوح و تبد من قريب و من بعد

سقى سفحها وبل من الغيث هاطلو حتى حماها بالعبير و بالند

فكم قد نعمنا فى ظلال رياضهابعيش هنىء فى أمان و فى سعد

فمن لى بها مع من ود دنوهو من لى بها فى غير بلوى و لا جهد

أنشد لنفسه الشيخ أبو عبد اللّه الفيومى:

للّه يوم فى قبا قد مر لىفى جمع أحباب و بسط زائد

و تمتعت فى روضة أحداقنابحدائق تسقى بماء واحد

و قال العفيف التلمسانى:

يا سائق العيس نحو كاظمهبلغ سلامى لساكنين قبا

و قل قضى ذلك المشوق بكمو ما قضى من وصالكم إربا

و من سحريات الحدائق:

ما نلت ليلة و صلى طيب السمرحتى مررت بنا نسمة السحر

لقد أتيت على ما كان فى خلدىو جئت يا عذبة المحيا على قدر

للّه ليلة أنس بات معتنقىفيها السرور ينادى طلعة القمر

ذاك الذى أوتى القرآن معجزةو اختص بالمدح فى الآيات و السور

لولاه ما فاز بالفخر الجميل قباو خص بالذكر فى التنزيل و الخبر

أكرم به مسجدا ظل الفخار بهفنال فيه النداما أطيب السهر

و الروض قد لعبت أيدى النسيم بهو مالت الغضب و الأغصان بالثمر

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۳۸ و العذب قد راق و الساقى يطوف بهعلى الجداول فما روض من الزهر

و الطير قد رقصت فى وكرها طرباأغنت برنتها عن زخمة الوتر

يهنيك يا قلب هذا الوصل و ابتهجىيا نفس و اغتنمى من صحة العمر

و انت يا فيه الإسلام ما برحتروحى فداك تقر عن سائر الغير

و أنت يا ليلة الأنس التى لطفتلقد حللت محل السمع و البصر

ما أطيب العيش لو لا بن حاسدةما أطول الليل لو لا فرحة الظفر

الليل ما بين أهل الوصل مختصرلو طال ما طال منسوب إلى القصر

و من ذلك فى هذه المسالك:

نشر الريح ما طوى كم زهرفزكا عرف ما شدا كل نشر

و تغنت سواجع الايك فيهاو كذا الدوح هزه صوت ممرى

فى رياض الجزع تزهو و تزهىقد بدا من كمامها نشر زهر

و كذا الملفحات جادت و أبدتيا نديمى من طلعها خير بشر

يستوى فى المصيف عند استواهاكل ضيف لها و عبد و حر

ما ألذ الحياة فيها و أحلىخطر أتى بين أثل و سدر

و نديم من الصفا و مداممن وداد يروق من صفو صدر

[و مدبر من الوفا كاس حبمع طيب يفوق أطيب عطر]

و مغن من العين و سماعمن لسان الثنا بحمد و شكر

و أمان من الرقيب و قربمن وقار و بعد ما كان يزرى

هذه عيشة الكرام و فيهافأقبلوا يا أولى الصبابة عذرى

و اسألوا إن بلغتموها أمانامن صروف الردى و من سوء غدرى

و من تلك الأوصاف فى هاتيك الأصناف:

إذا غرد القمرى بكيت و إن بكىأموت و أفنى ان تغنى مع السحر

و إن سجعت فوق الغصون سواجعأطارت فؤادى حيث كانت من الشجر

و إن صوتت بين الأراك بلابلبليت بأنواع الشجون و بالفكر

و إن هب نشر الروض زاد بى الهوىو كنت متى هب النسيم على خطر

أبى العيش صفوا و المحبة راحةو أنى بها طول الحياة على حذر

رعى اللّه أهل الجزع لو علموا الذىأصبت به لم يغفلونى من النظر

و كنت بهم فى طيب عيش و لذةو نلت بهم كل الأمانى مع الظفر

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۳۹ فيا قلب صبرا على أخطى وصلهمو اسلم فى باقى الزمان من الغير

و من كتاب الحدائق الغالية- فى قبا و العالية الحمد للّه الذى كرمنى بوصال من الهوى و شرفنى بمسجده المؤسس على التقوى، و فضلنى على جميع الضواحى و كلمنى دون سائر النواحى [و أحمده على] ما منحنى به من حلول الرسول و أشكره لما نحلنى من آثاره غاية السؤال، و الصلاة و السلام على من تشرفت به البطاح و الربا و عمرت بحلوله حلة قبا و على آله و أصحابه و شيعته و أحزابه و عنه عليه الصلاة و السلام صلاة فى مسجد قبا كعمرة و فى الأثر لأن أصلى فى مسجد قبا ركعتين أحب إلى أن أتى بيت المقدس مرتين و كان عليه الصلاة و السلام يأتى قباء راكبا و ماشيا فيصلى فيه ركعتين و الأولى أن يزار يوم السبت لأنه عليه السلام كان يأتيه كل سبت و سبب اختصاصه به انه عليه السلام كان يفقد بعض أهل قبا يوم الجمعة، فيسأل عن المفقود فيقال له انه مريض فيذهب يوم السبت

لزيارته و فيه رد لمن منع زيارة المريض فى يوم السبت.

و أنشد فى اجارة لنفسه بجلب المحروسة الشيخ فتح اللّه البيلونى:

السبت و الاثنين و الأربعاتجنب المرضى بها أن تزار

بطيبة يعرف هذا فلاتقيل فان العرف على المنار

و ما أوقع ما قال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۴۰ و للناس عادات و قد ألفوا بهالها سنن يدعونها و فروض

فمن لم يعاشرهم على العرف بينهمفذاك ثقيل عندهم و بغيض

و فيه حكمة زيادة أهله فيه، لزيادة علم المؤتى فيه، لأنه يزيد علمهم يوم الجمعة و يوما قبله و يوما بعده مسئلة فى سنة أربع و ثمانمائة جدد برسباى على يد شيخ الخدام قاسم المحلى غالب مسجد قبا و سقطت منارته. سنة سبع و سبعين و ثمانمائة فجددت مع عمارة المسجد النبوى على يد الشمس بن الزمن بعد هدم المنارة للأساس مع ما يليها من سور المسجد إلى آخر بابه الغربى و أعيد مع سد الطيقان التى كانت مفتوحة فيه مما يلى السقف تشبه طيقانه الباقية و جدد بعض سقفه و فى حدود الثلاثين [بعد الألف] جددت أيضا عمارته على يد شيخ الحرم النبوى محمد مجد و هو الآن فى نضارة هذه العمارة فلا زال معمورا بدوام الإسلام و لا برح مغموم الأكتاف بالغمام.

تتميم: لما قدم النبى صلى اللّه عليه و سلم المدينة نزل فى بنى عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم فمكث عندهم الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و أخذ مربد كلثوم فعمله مسجدا و أسسه و صلى فيه إلى بيت المقدس و هو مسجد قباء .

و جاء فى الأثر أن الخضر عليه السلام يصلى فى كل جمعة فى خمس مساجد المسجد الحرام و مسجد المدينة و مسجد بيت المقدس و مسجد قباء و يصلى فى كل ليلة جمعة فى مسجد الطور.

و صلى عليه السلام إلى الاسطوان الثالث من مسجد قباء فى الرحبة و لم يزل يزور المسجد مدة حياته و صح أنه عليه الصلاة و السلام كان يستقبل بيت المقدس حتى نسخ ذلك فأتى آت قبا و هم فى صلاة الصبح فأخبرهم و كانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة و كانت القبلة قبل صرفها عند الاسطوانة الثالثة فى الرحبة. فائدة قال السهيلى إن الصحابة رضى اللّه عنهم أخذوا التأريخ بالهجرة من قوله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم و هل هو مسجد قبا أم مسجده صلى اللّه تعالى و سلم عليه قولان أرجحهما الثانى و من محاسن هذا المسجد بئره التى ماؤها من أحلى المياه و أعذبها و طيب الهواء الرطب و اختلافه فى أروقته.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۴۱

و كان يقال:

شيئان أحلى من عناق الخردو ألذ من شرب القراح الأسود

و أعز من رتب الملوك عليهمحلل الحرير مطرزّا بالعسجد

سود الدفاتر أن أكون نديمهاأبد الزمان و برد ظل المسجد

و مما يتبرك به بقبا دار سعد بن خيثمة فى قبلة مسجد قبا لأنه ورد أنه عليه السلام اضطجع فيه و خلفه من الجانب الغربى مسجد ينسب لعلى كرم اللّه وجهه و أمامه من الجانب القبلى مسجد ينسب لفاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أما مسجد الضرار بقبا فقد عفا أثره و هفا خبره و أما أهل قبا فهم الذين قال اللّه فى حقهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا و الخلف فى بركة السلف و عن عويمر بن ساعدة أن النبى صلى اللّه تعالى عليه و سلم قال لأهل قبا- إن اللّه تعالى قد أحسن الثناء عليكم فى كتابه العزيز فقال فيه رجال يحبون أن يتطهروا و اللّه يحب المطهرين ما هذا الطهور فقالوا ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود و كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا و عن زيد بن أسلم الحمد للّه الذى قرب منا مسجد قبا و لو كان بأفق من الآفاق لضربنا إليه

أكباد الإبل و عن بعض الأكابر أن المكروب إذا نادى يا أهل قبا فرج اللّه تعالى عنه .

و ما أحسن ما قال:

يحركنا ذكر الأحاديث عنهمو لو لا هواهم فى الحشا ما تحركنا

و لو لا معانيهم تراها قلوبناإذا نحن أيقاظ و فى النوم إن نمنا

لدبنا أسى من لوعة و صبابةعلى أن فى المعنى معانيهم معنا

فقل للذى ينهى عن الوجد أهلهإذا لم تذق و شراب الهوى دعنا

و سلم لنا فيما أدعينا فإنناإذا غلبت أشواقنا ربما بحنا

و لله در القائل:

حديث ذاك الحمى روحى و ريحانفلا تلمنى إذا كررت ألحانى

روض به الدوح و الريحان قد جمعاو خضرة ما لها فى حسنها تانى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۴۲ الماء و الزهر و الأطيار يرقص فىميدان أنس على أوتار عيدان

فالوصل دان و طيب الحال ينشدناهذا هو العيش إلا أنه ألهانى

و قال آخر:

على تلك الربوع و ساكنيهاسلام كالسلامة يستطاب

يكرره لسانى بل كتابىبل الأيام إن درس الكتاب

و أدعوا اللّه مع سرف المعاصىفقد تدعوا العصاة و قد تجاب

و من محاسن قبا الحسنية و هى فى شرقى المسجد حديقة حسنا أنيقة غناء جامعة بين العمارة و النضارة رياضها زاهية زاهرة و حياضها باهية باهرة قد عذب ينبوعها و أشرقت ربوعها ورق فيها النسيم و تأرج بهاه الشميم».

و الماء يخفى سجعى فى التدفق صوتهو الورق تسجع باختلاف لغاتها

و الوقت ينشد من يحاول صفوهخذ فرصة اللذات قبل فواتها

و ما أحسن ما قال:

رعى اللّه أياما بها قد تصرمتو طيب ليال ما عرفت لها قدرا

ليالى وصال لو تباع شريتهابروحى و لكن لا تباع و لا تشرا

و فى هذه الحديقة بركة بديعة فى وصفها محكمة فى صنعها محفوفة بالأشجار و الأزهار مباحة للفقراء و الزوار و أخرى فائقة فى أنسها رائعة فى نفسها عليها ايوان مشيد الرواق و عمارة تروق الأحداق و على ذكر البركة أنشد لنفسه بن تميم:

لقد قابلتنا بالعجائب بركةمكملة الأوصاف فى الطول و العرض

كان الذى يرنو إليها بلحظةيرى نفسه فوق السماء و هو فى الأرض

و قال آخر:

و بركة للعيون تبدوفى غاية الحسن و الصفاء

كأنها إذا صفت و راقتفى الأرض جزء من السماء

مسئلة

إن قيل لم كان القائم على الماء يرى أعلاه أسفله و أسفله أعلاه و يرى السماء تحت الماء مع أنها فوقه الجواب إن معرفة ذلك متوقفة على معرفة قاعدة من علم الهندسة و هى أن الشعاع الخارج من العين إذا اتصل بجسم صقيل كالماء لم يثبت عليه لصقاله و زلق عنه

إلى الجهة المقابلة للرائى إن لم يكن الصقيل أمامه بحيث تكون

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۴۳

زاوية الالتقاء على الصقيل مثل زاوية الانعكاس فى المساحة من غير زيادة و لا نقصان فهاتان الزاويتان فى السعة واحدة فيتصل طرف الشعاع بالقائم ثم يجرى فيه خياله إلى الماء فينقطع فيه و كان القائم وقع على سطح الماء و القائم إذا وقع يصير أسفله أعلاه فلذلك ترى السماء تحته و كل ما هو أعلى من صاحبه يراه أسفله فلو أقيم ألمّا واقفّا كالمرأة رأى على هيئته فالقائم فى القائم فى منعكس لأن موضوع الانطباع و هو الماء أسفل و القائم و هو شعاع العين آت إليه فكأنه انطبع فيه و هو قائم فأخذه و انبطح و الانبطاح فى الحقيقة إنما هو وجه الماء لا- فى عمقه و الحس لا- يمكنه ضبط ذلك فيغلط فيه الوهم فيراه فى جوفه كأنه قد غرق بعد الانبطاح على وجه الماء فى الماء و لو غرقت الشجرة كان رأسها أسفل و هو ضرورة و كل ما هو على مثل السماء و غيرها يرى أسفل و ما أحسن ما قال:

أرى مستقيم الطرف ما دمت عندكمو إن مال طرفى عنكم فهو أحول

و قال آخر بلسان أهل التوحيد:

بانعكاس الشعاع فى المرآةو انعطاف الصدى على الأصوات

أيقن القوم إنه ليس فى الكسوف سوى مقتضى سور الذات

مسئلة: و الشىء بالشىء يذكر بالاستطراد أو بالمناسبة من غلط الحس أن الشخص الماشى قد يرى القمر تحت السحاب متحركا إلى غير جهته التى يتحرك إليها بالذات و ذلك على رأى القائلين بالشعاع و أنه المتحرك و فيه كلام طويل يطلب من بابه و أما رؤية الشمس كبيرة و صغيرة فلأن فى جهة المشرق و المغرب رطوبات تتصاعد فتتفقد سفقّا فترى فيها الشمس كبيرة بسبب الرطوبات و رؤية النار البعيدة كبيرة و هى صغيرة و الجمال و نحوها فى السراب طوالا- و نظائر ذلك تطلب من علم المناظرة و فيه لابن الهيثم كتاب فى سبع مجلدات و من أحسن حدائق قبا بل حدائق المدينة بالإجماع القويم مصغر القائم قاله كما قيل:

روض كمخضر العذار و جدولنقشت عليه يد النسيم مباردّا

و النخل كالهيف الحسان تزينتفليس من أثمارهن قلائدا

أو كما قال:

رياض إذا ما ذقت كوثر مائهاأهيم كأنى قد ثملت باسفنط

و من يجتهد فى أن فى الأرض روضةتماثلها قل أنت مجتهد و مخطىء

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۴۴ امثل شوقّا فأشكلها فى ضمائرىفتتبع عينى ذلك الشكل بالنقط

و لله در القائل:

لم لا أهيم إلى الرياض و حسنهاو أظل منها تحت ظل صافى

و الزهر؟؟؟ حيانى ثغر باسمو الماء و افانى بقلب صافى

و بالجملة فإنها ذات رياض تسلسلت جداول مائها و قصور تزين الأفق بنجوم سمائها بها النخيل التى لا تحصى و الأشجار التى لا تستقصى غياضها مشهودة و حياضها موروده بين مبان و ثيقة، و مغان أنيقة قد اشتمل على عمارات حسنة و أوضاع بديعة مستحسنة و بئر هى أوسع الأبار دولابا.

و منارة تزهو محاسن و اعجابّاو فيه ايوان بديع عنده بركة بديعة

و يصلح أن يقال فيها:

انظر إلى البركة الفيحاء التى اكتنفتبها النواظر كالأهداب للبصر

كأنما هى و الأبصار ترمقهاكواكب قد أداروها على القمر

و قال آخر:

قد قلت فى البركة الفيحا و قد جمعتمن البدور أصناف الملاح زمر

إن كان فى الفلك الأعلى يرى قمرّافهذه فلك دارت بألف قمر

و الذى انشأ هذه الحديقة الغناء هو السيد الشريف أحمد بن سعد الحسينى نقيب السادة الأشراف بالمدينة المنورة و من الأبيات المكتوبة باللازورد فى سقف ايوانه تغمده اللّه تعالى برضوانه.

مجلس السعد عامر بالتهانىو المسرات و المنا و الأمان

جمع الحسن و البها فتسامىبسناء يزهو على البنيان

و تباهى بمن حوى و تناهىو علا فخره مدى الأزمان

فهو عين البنيان حقّا كما قدحل فيه إنسان عين الزمان

إن يكن مغرد البنا فلا عزو فمنشيه مغرد فى المعانى

قال قد حزت كل معنى و حسبىمن مشيد و سيد قد بنانى

جاوز المدح فى معانيه حتىكل كلى عن وصفه بلسانى

عند ما تم رونقا و جمالاو ذكرنا به قصور الجنان

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۴۵ انشد الحال فى علاه و نادىيا ابن سعد لقد بلغت الامان

من صروف الزمان لا تخش ضيمّاأنت جار لسيد الأكوان

و لسان السعود أرخ فيهعش مقيما بدار سعدك []

و منها. و للّه در قائلها:

يهنيك يا أشرف المجالسحللت فى أطيب المغارس

فى طيبة فى جوار طهجوار عز بلا مقايس

يشاهد المصطفى دوامّامن حل علياك و هو جالس

منشيك من سادة كرامليس له فى العلا منافس

قد طاب أصلا و طاب فرعاو حاز من معظم النفائس

و كم من المجد شاد بيتاحماه بالبيض و اللوابس

لا زال فى عزه مقيميرفل فى أجمل الملابس

قالوا فأرخ لنا بناهفقلت قولا له مجانس

تاريخه أحمد بن سعدقد حل فى أرفع المجالس

و خلف هذه الحديقة من جانب الشمال حديقة من أحسن الحدائق و أبهجها تسمى القائم و هى لآل شاهين قال فى زهر الرياض إلا أنه يحسن أن يقال فيهما من حيث التسمية اعكس تصيب لأن القويم أوسع منه دائرة و أكثر نخلا و أنضر كرمّا خلا ما اشتمل عليه من المساكن الطيبة العامرة قلت و لعل التصغير هنا مما اريد به المحبة و التعظيم.

كما قال ثعلب:

بذيالك الوادى أهيم و لم أقلبذيالك الوادى و ذياك من زهدى

و لكن إذا ما حب شىء تعلقتبه أحرف التصغير من شدة الوجد

و من محاسن حدائق قبا الشدقا و الشديقا و البستان و بئر عذق و البويرة فإنها عيون تلك الأماكن و منارة هاتيك المساكن.

و من محاسن قبا بئر النبى صلى اللّه تعالى عليه و سلم قال فى زهر الرياض و ابتنى الشمس بن الزمن بعد عمارة مسجد قبا البركة و السبيل المقابلتين له بحديقة العينى و قد صارا للوزير محمد باشا مع بئر النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه و حديقتها و حصنها.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۴۶

قلت و هى الآن من أحسن أماكن قبا عمارة و نضارة و فيها إيوان كأنه كما يقال ايوان كسرى.

فائدة ايوان كسرى على مرحلتين من بغداد بناه الملك ابرويز فى نيف و عشرين سنة طوله مائة ذراع فى عرض خمسين فى سمك مائة بالأجر الكبار و الجص و طول الشرافة خمسة عشر ذراعًا كذا فى كتاب تحفة الأصحاب و نزهة الألباب نكتة من لطائف أخبار الملوك عن بعض رسلهم انه دخل على كسرى فرأى فى ايوانه اعوجاجا فسأل عن سببه فقيل له أنه كان مكان بيت لعجوز فقيرة فسألها الملك بيعه و أرغبها فامتنعت فتركه و بنى الايوان كما هو عليه الآن فقال هذا الاعوجاج خير من الاستقامة و كان كسرى وضع فى ايوانه سلسلة ذات أجراس و جعل طرفها خارجًا عن القبة و نادى من كان مظلوما فليحرك السلسلة ليعلم به الملك فيزيل ظلامته. قال العسكرى و هذا هو الأصل فى قولهم حرك عليه السلسلة.

و يحكى أن كسرى كان جالسًا فى ايوانه فإذا حية قد دنت من عش حمامة فى بعض شرف الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم فقتلها و قال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا ثم ان الحمامة جاءت بجب فى منقارها فألقته بين يديه فأخذه و قال ازرعوه فنبت ريحانا لم يعرف فقال نعم ما كافتنا به الحمامة.

كل الأمور إذا نظرت إعارةإلا الثناء فإنه لك باقى

لو أننى خيرت كل فضيلةما اخترت غير مكارم الأخلاق

و اشتهرت بئر النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه كالشدقاء بالعنب الجيد و بالجملة فإن فى قبا من الكروم أنواعا مختلفة منها المدنى و هو أنواع منه البرنى و يقال له المراودى و هو أجودها لرقته و حلاوته و هو يحاكى الزينى من أعناب الشام و منه البيض و هو دونه و منه السكر و هو متوسط و منها الحجازى و هو أنواع منه البياضى و يختلف فى الرقة و الغلظ و منه السوادى و هو أحسن منه و منه الخمرى و هو أجوده و لا عجم لصغاره و فى كتاب البركة فى السعى و الحركة أن نوحا عليه السلام شكى من الغم فأوحى اللّه تعالى إليه أن كل العنب الأسود انتهى و أحسن العنب ما كان فى حدائق قباء ثم العالية ثم جفاف ثم باقى بساتين المدينة و كان بالعقيق كروم كثيرة و يحكى أنه كان لسعد بن أبى وقاص بالعقيق كرم تباع ثمرته بألف دينار فبلغه أن شبان المدينة يصنعون منه الخمر فقطع أصول كرمه تتميم مانون كقانون ورانونا مقصور اسم سيل من جبل فى يمانى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۴۷

عير يمر بالعصب و يعترض قباء يمينًا فيدخل الشدقاء و البستان ثم يخرج إلى العليقة ثم يمر بصرارة شاهين ثم يشارك سيل وادى بطحان المعروف بأبى جيده من غربى القصيبة فى قبلى المصلى و سيل بطحان يأتى من على سبعة أميال من المدينة يمر بالصيحانى المعروف بأم عشرة ثم بجفاف ثم بالقصاة بالفاء و هو موضع فى غربى الماجشونية ثم بالمصلى و مساجد الفتح ثم بالغابة و ينتهى مع السيول إلى البحر و من محاسن حدائق قباء العليقة بضم العين المهملة و فتح اللام تصغير علقة بالضم و هو منتزه بديع فى حدة حسن و بمحاسنه يذهب عن القلب الحزن عليه من بهاء البدر نور وضوء الشمس يكسوه الشعاعا و ماؤه العذب فى أقصى درجات الحلى و هواؤه الرطب من أطيب ما تشتهيه الملاء و بالجملة فكل هاتيك الحدائق ذات رياض و حياض و أشجار و أزهار.

و من رام لى بها اللوى حيناو صفا لى فيها الهوى و الهواء

و ثنت نحوها الثنية قلباقلبا تستخفه الأهواء

و ما أحسن ما قالو لكل مقام مقال

ليس النزاهة فى المنازل كلهامن سائر الأقطار و الأمصار

إلا إذا ما كنت وسط حديقةإن الحدائق نزهة الأبصار

و لله در القائل:

يا من يلوم على الهوىدعنى فشأنك غير سأنى

لا يشغلك غير ماتهوى فكل العيش فانى

و قال آخر:

يعنفنى أهل البلاغة حيثماتغزلت فى الغزلان عن أبلغ القال

و ينهون مثلى عن عكوفى على الهوىأ ليس هوى أهل الهوى مقتضى الحال

و قال:

لا تلمنى على الوقوف بدارأهلها طير و الغرام ضجيعى

جعلوا لى إلى هواهم سبيلاثم سدوا على باب الرجوع

و خلف هذه الحديقة من جانب الشمال حديقة مورقة الأشجار مونقة الثمار

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۴۸

خفيفة الماء العذب لطيفة الهواء الرطب و تعرف بالسرارة بفتح السين المهملة و تشديد الراء قال فى زهر الرياض و لا يعرف اليوم بالسرارة غير هذه الحديقة و ما حولها و بها نخلة مثنية يقال إنها انثنت للنبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه حتى تناول منها . و هذا على المشهور لا- على ما هو المسطور و الناس يتبركون بها لذلك و يشترون ثمرها بأعلى ثمن و ليست من حر النخل بل من أوسطه و يسمى جنسها الوحشى بصيغة مقابل الإنسى و الحديقة المذكورة بيد آل شاهين من الأشراف الوحاحدة الحسينيين انتهى.

قلت و إذا صح خبر النخلة فينبغى أن تكون من حر النخل بل يجب أن تكون من أعلاه كما قال:

و أكرم إحداق الحدائق منشدالعين تجازى ألف عين و تكرم

و ما زال الناس يهدون تمر المدينة المنورة إلى الآفاق و يتبارك به كل محب و مشتاق و أنشدوا:

أفضل تهدية أمثالنامن طيبة مدفن خير الأنام

بعض تميرات إذا أمكنتبرّكا ثم الدعا و السلام

و قال آخر:

خير الهدية من مدينة أحمددعوات صدق عند قبر المصطفى

بركاتها ترجى و يرجى نفعهاو بها الشفاء لمن يكون على شفا

و قد أدركت جزوعّا باليـة مجموعة فى هذه الحديقة يتبرك الناس بها و يزعمون أنها بقايا تلك النخلة و أولادها و قد وضع عليها مسجد لطيف و ذلك فى حدود نيف و عشرين ألف و خلف هذه الحديقة من جهة الشمال حديقة معطرة بالأزهار مشتملة على أعناب و نخيل و أشجار تعرف بجزع العرصات و لعلها المعنية بقوله:

إلى اللّه أشكو بالمدينة حاجةو بالجزع أخرى كيف يلتقيان

و بالجملة فإنها بقعة تأرجت بطيب تربها و أشرقت أرضها بنور ربها و طلعت أهلة بدورها من آفاق السعود و تواصلت نفحات الهوى المقصور بها و لا تواصل نسمات الهوى المحدود.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۴۹ فهى الروضة المورقة الأشجارو الغيضة المونقة الأزهار

فلو أننى فى جنة الخلد بعدهاذكرت و لا أنسى للذاتها أنسا

فيا لها من رياض تعطرت بأرجها الأنفاس، و قال لسان التصديق فى جواب الاستفهام عنها لا بأس رياض أشجارها باهية باهرة، و

حياض أزهارها زاهية زاهرة.

و قال آخر:

رياض بها الحصباء در و تربهاعبير و أنفاس الشمال شمول

تسلسل فيها ماؤها و هو مطلقو صح نسيم الروض و هو عليل

رياض أثمارها باسقة و غياض أطيارها ناطقة فلو تأملت فى أغصان رياضها الأنيقة لرأيت كلا بمفرده حديقة فمدعى نضارتها عند أهل النظر مسلم و على محاسنها سالم من أن يوصف إلا بأنه موثق معلم قد فجرت على أرضها ينابيع البديع عيونا و انشأت على رياضها من أغصان التفريع فنونا فطفقت تخطر بأكمام ثمرها و جعلت ترمق بأحداق زهرها و لقد أغدقت سحابها و تنمقت رحابها وهب نسيمها و اهتز و سيمها و طالما أوقع القلب فى شرك الهوى تغريد هزارها و ضاعف للصب غرامه طيب أزهارها هوى روضة قد طبق الأفق طيبها.

هوى تذوق العينان منه و إنماهوى كل نفس حيث حل حبيبها

فيا حسنها من رياض غداجنونى فنونا بأفنائها

جرى الماء فيها على رأسهلتقبيل أذيال أغصانها

أو هى كما قال:

روض كأن ترابهاأبدّا بماء الورد يسقى

و كأن تربة أرضهاجدبت من الكافور عرفا

أو كما قال:

رياض بكاها المزن و هى بواسمفناحت بغير الحزن فيها الحمائم

و أودعت الأنواء فيهن سرهافنمت عليهن الرياح النواسم

يبيت الندى فى أفقها و هو ناثر و يضحى على أجيادها و هو ناظم

كأن الأقاصى و العقيق تقابلاخدود جلاهن الصبا و مباسم

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۵۰ كأن بها للنرجس الغض أعيننانبه منها البعض و البعض نائم

كأن ظلال القصب فوق غديرهاإذا أطربت تحت الرياح أراقم

كأن غناء الورق الحان معبدإذا رقصت تلك القدود النواعم

كأن نثار الشمس تحت غصونهادنانير فى وقت و وقت دراهم

كأن بها الغدران تحت جداولمنوع دروع أقرعت و صوارم

كأن ثمارا فى غصون نوسوستلعارض خفاق النسيم تمائم

كأن القطوف الدانيات مواهبو فى كل غصن ماس فى الدوح حائم

كأن بنان المصطفى قد لمسنهفاعداه منهن الندى و المكارم

نبى انى غيثا و غوثا و رحمةعليه صلاة اللّه ما أفتر باسم

أما بئرها فقد اشتملت على بناء بديع محكم حتى كأن أحجارها فيها عقد منظم يعجز أبناء الصناعة عن تصور شكلها فضلا عن الاتيان بمثلها يغض لها حسن مائها الغزير العذب بأن تكون من أحلى ما يشتهى القلب و يشهد لها بالشراحة ما اشتملت عليه من الملاحة و ما تناهيت فى وصفى محاسنها ألا و أكثر مما قلت ما أدع.

و لقد أحسن التحليل من قال:

الماء قد عشق الغصون فلم يزلأبدّا بمثل شخصها فى قلبه

حتى إذا فطن النسيم إنى لهمن غيرة فأزالها عن قربه

فإذا أتاه مهيمّنا بعتابهفى الحال قطب وجهه من عتبه

و أما بساتينها فى حسن تركيبها و ترنم عندليبها فهى للأحزان تنفيس و للأشجان مغناطيس ان جرت محالها بالماء أجرت الدمع كالدماء و إن أسمعت غناءها جددت للنفس عنائها فهى منبع الشجو و الغرام و مجمع اللهو و المرام.

أبدا هكذا تأن بشجوو على إلفها تدور و تبكى

أو هى كما قال:

و سانية كانت غصونّا و ريقةتميس فلما فرقتها يد الدهر

غدت فى رياض الجزع تبكى و تشتكىبدمع على أيام عهد الصبا يجرى

و ما أحسن ما قال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۵۱ يا يومنا بالجزع هل من عودةليت الليالى للوصال تعيد

فهواك لا يبدو السلو لطيبةو اللّه يبدى ما يشاء و يعيد

و قال آخر:

و بالجزع حى كلما عن ذكرهمأمات الهوى منى فؤادى و أحياه

تمنيتهم بالإبرقين و دارهمبوادى الفضا يا بعد ما أتمناه

و قال:

و بالجانب القبلى بالجزع شادنله من فؤادى نائب و شفيع

إذا خطرت فى خاطرى منه سلوةتعرض شوق دونها و ولوع

و قال:

عسى بالجانب القبلى يسرى نسيمه من الروض بالعرف الذى كتب أغرنى

فما اعتضت عن تلك الربى غير حسرةعليها و دمع يستهل و يذرف

و قال:

أهيل الحمى و الجزع يهنيكم المغنىو صوت القمارى و الهزار إذا غنى

بعدتم فأبعدتم عن النفس أنسهاكأن الهنا لفظ و أنتم له معنى

و من غراميات الشاب الظريف:

عفى اللّه عن قوم عفا الصبر عنهمفلو رمت ذكرى غيرهم خاننى الفم

و بالجزع أحباب إذا ما ذكرتهمشرفت بدمع فى أواخره دم

تجنوا كأن لا ود بينى و بينهمقديمّا و حتى ما كأنهم هم

و مشبوب نارى و جنة و جنايةتعلمه إعطافه كيف يظلم

ألم و ما فى الركب منا متيمو عاد و ما فى الركب إلا متيم

و ليس الهوى إلا التفاتة طامحيروق لعينيه الجمال المنعم

خليلى ما القلب هاجت شجونهو غادره داء من الشوق مؤلم

أظن ديار الحى منا قريبةو إلا فمنها نسمة تتنسم

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۵۲

و لله در القائل:

لا تلتفت بالله يا ناظرىلأهيف كالغصن الناضر

ما السرب ما البان و ما لعلعما الخيف ما ظبى بنى عامر

يا قلب فاصرف عنك و هم النقاو خل عن سرب حمى حاجر

[جمال من سميئة دائرما حاجة العاقل فى الداثر]

و إنما مطلبه فى الذىهام الورى فى حسنه الباهر

أصبحت فيه مغرما حائرالله در المغرم الحائر

أنشد لنفسه أبو البركات السعدى:

و كم رمت كتم الحب عمن أحبهو كيف يكتم الحب عن ساكن القلب

إذا اختلج النبر المصون بخاطرىتقلب منى القلب جنبّا إلى جنب

فتبدو و لا تبدو سرائر لوعتىو تخفى و لا تخفى و فى الحال ما ينبى

و قال الشيخ حسن البورينى:

تعشقت منه حالة لست قادراعلى وصفها إذا لم يذقها سوى قلبى

تيقنت أنى فيه أصبحت مغرماو لكنى لم أدر ما سبب الحب

و من أشعار كتاب مصارع العشاق:

و لقد أقول لمن تعشق أغيداأو غادة و غدا أسير وثاق

ما مذهبى عشق الجمال مقيدابل عشقه دينى على الاطلاق

و فى المعنى للصيفى الحلى:

و لقد تعرض للمحبة معشرعدموا من اللذات ما أنا واجد

قالوا أ تعشق رب كلا ملاحةفأجبتهم أن المحرك واحد

الحسن حيث وجدته فى حيزهولى بإسباب الصبابة قائد

و قال الشيخ الشتسترى:

أيا ساهيّا دع عنك رملة عالجو نجدّا و لا تندب اراكا و لا خطّا

و كن قاصدا للحق تحظ بنيلهفما ثم إلا الحق لكنه غطا

فائدة: الجزع بالكسر.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۵۳

و قال أبو عبيدة: اللائق به أن يكون مفتوحا منعصف الوادى و وسطه أو منقطعه أو منحناه، أو لا يسمى جزعا حتى تكون له سعة تنبت الشجر أو هو مكان بالوادى لا شجر فيه، و ربما كان رملا، و محلة القوم، و المشرف من الأرض إلى جنبه طمأنينة جزع الأرض و الوادى، كمنع قطعة أو عرضا، و الجزع و يكسر الخرز اليمانى الصينى، فيه بياض و سواد، تشبه به العين، و التختم به يورث الهم و الحزن و الأحلام المفزعة و مخاصمة الناس كذا فى القاموس .

و ما أحسن ما قال:

ألا إن وادى الجزع أضحى ترابهمن اللمس كافورّا و أعواده ندا

و ما ذاك إلا أن عليا عشيةتمشت و جرت فى جوانبه بردا

و يطلق الجزع بالكسر اليوم على مواضع بالمدينة المنورة أشهرها جزع قباء و ما فى غربى قباء، و قبلتها من الآبار فماؤه أعذب أمواء المدينة المنورة فائدة الماء همزية عن الهاء و هو جوهر لطيف سيال يتلون بلون آنائه، و فى شرح الهمزية لابن حجر قيل لا لون له و إنما يتكيف بلون مقابلة و الحق خلافه فقيل أبيض و قيل أسود و الأسودان التمر و الماء.

و ما أحسن ما قال:

فى خده عرق بداذا حمرة لصفائه

هذا يحقق قولهمالماء لون إنائه

قال البصير فى التذكرة، الماء اجل العناصر البدنية بعد الهواء على الأصح لبقاء البدن بدونه أكثر من بقائه بدون الهواء و تختلف باختلاف الأصل و السن و المزاج و الزمان، أجوده الخالص من ماء المطر القاطر وقت صفاء الجو و لم يخالطه مكدر فالجارى مكشوفا من البعد فى أرض حرة أو حجر إلى الشرق أو الشمال النقى الأحجار المهرى لما طبخ فيه بسرعة الخفيف الوزن و نيل مصر أجمع لهذه الصفات ثم دجلة ثم جيحون فالمطر فالمطبوخ فماء العين المستعمل فالبئر و كل ما تحرك أو جرى فجيد، و الصحيح عدم اختصاصه بدرجة فى البرودة، يبلغ القداء أقصى الأعماق لأنه غذاء على الصحيح لعدم انعقاده، حافظ للرطوبات الإفراط منه يرخى و يعد و يهزل، كما أن تركه يجفف و يورث السدد. و الجارى منه مغمورا أو فى رصاص، و طويل المكث و المكبرت

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۵۴

و المجاور للرمل و التراب و أصول الشجر و الحشائش ردى يعفن الأخلاط، و غدير المطر إذ صفته الرياح جيد جدا ينفع المجرور و المكدود، و الكبريتى يعقب الحكة و الجرب شربا و يمنع منهما غسلا كمالح و زاجى، و ماء الشب يقبض و يمنع تولد القمل غسلا و ماء الحديد سواء أخذ من معدنه أو طفى فيه يقوى الأعضاء و يحبس الاسهال و الدم و يمنع الخفقان و الزحير، و أما ماء الذهب و الفضة أعظم فيما ذكر خصوصا بالطفى، و ماء النحاس مضر و أخبث منه ماء الرصاص و لا بأس بماء القصدير. و للماء الصحيح لذة و دخل فى تدبير الصحة إذا استعمل بشروطه فهو لا يؤخذ قبل هضم فإنه مفسد للأغذية مبرد للمعدة، مصعد للأبخرة، و أن لا يستعمل الفاسد منه بلا مصلح، كأكل البصل قبله و بعده و مزجه بالخل و أن يكون بداعية صادقة فما شرب قبل خمس عشر درجة تمضى من الأكل الصفراوى و ضعفها لدموى، و خمسة و أربعين لسوداوى و ستين لبلغمى كاذب لاعتداد به، شديد النكاية و لا بعد فاكهة فإنه يفسد الدم و لا بعد حمام و جماع فإنه يورث الرعشة و الخدر و لا نوم لمن نام و لم يأخذ كفايته منه ، و لا قائما و لا متكئا و الحار يفسد و لا يروى بل يغير اللون، و الثلج و البرد أقل رطوبة من باقى المياه و يأخذه العطشان قبل الأكل و فى خلاله جائز بقدر الداعى، و لا يجوز على الريق إلا صيفا أو زمن الطاعون انتهى.

و يروى انه عليه الصلاة و السلام أكل طعامًا و شرب ماء باردا فى الصيف و قال يا بردها على الكبد ، حكاه فى كتاب البركة. و عنه عليه الصلاة و السلام إذا شرب أحدكم الماء فليشرب أبرد ما يقدر عليه لأنه أطفى للمرة و أنفع للغلة . و كان يأكل البرد و يقول يقتل الدود فى الإنسان، و عنه عليه الصلاة و السلام الشرب فى اثر الدسم داء فى البطن . و يقال ان وجع الكبد من العب و هو جرع الماء من غير مص. و شرب عليه الصلاة فى نفسين. و روى عنه عليه الصلاة و السلام من شرب الماء على الريق انتقضت قوته . و عن الإمام جعفر الصادق رضى اللّه عنه من شرب الماء بالليل و قال

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۵۵

ثلاثا عليك السلام من ماء زمزم و ماء الفرات؛ لم يضره و عن الباقر رضى اللّه تعالى عنه شرب الماء من قيام بالنهار أمرى و أصح و بالليل يورث الماء الأصفر. كذا فى مكارم الأخلاق.

و أنشد الحافظ ابن حجر العسقلانى:

إذا رمت شربا فاقعد تفزبسنة صفوة أهل الحجاز

و قد صححوا شربه قائماو لكنه لبيان الجواز

تتميم اجتمع عند كسرى من الحكماء عراقى و رومى و هندى و سوادى فقال كسرى ليصف كل منكم الدواء الذى لا داء معه فقال العراقى هو ان تشرب كل يوم على الريق ثلث جرع من الماء الساخن، و قال الرومى هو أن يسف كل يوم قليلا من حب الرشاد و قال الهندى هو أن تأكل كل يوم ثلاث حبات من الاهليلج الأسود و السوادى ساكت و كان أصغرهم و أحدقهم.

و كان يقال:

عليكم بآراء الشباب فإنهافروع ذكاء لم تنل قدم العهد

فقال له الملك ألا- تتكلم فقال أيد اللّه الملك، الماء الساخن يذيب شحم الكلا و يرخى المعدة و حب الرشاد يهيج الصفرا، و الاهليلج الأسود يحرك السودا، قال فما الذى تقول أنت فقال الدواء الذى لا داء معه أن لا تأكل حتى تجوع و لا تشرب حتى تظمأ فإذا أكلت أو شربت فارفع يدك عند الشبع و اقطع شربك قبل الرى فإنك لا تشكو إلا علة الموت، فصدقه كل منهم فيما ادعاه، و كان يقال الاحتماء فى وقت الصحة خير من شرب الأدوية وقت المرض. و كان يقال الطب حفظ صحة موجودة أورد صحة مفقودة، الأول متيسر و الثانى متعسر أو متعذر و من المجربات درهم مستكا يطبخ فى رخل ماء صاف فى فخار جديد إلى أن يذهب ثلثه للاستسقاء و القىء و الغثيان و الزحير و يقوى الهضم، و يجدد الفخار فى كل مرة و يذلها الأذخر و تعديله الجوز كذا فى التذكرة. و قد طال الكلام و خرج عن سلك النظام و لربما ساق المحدث بعض ما ليس النديم إليه بالمحتاج و هذا و ان كان من قبيل الجمل المعترضة

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۵۶

ينبغى أن يكون من حشو اللوزبنج. فإن الحاجة إليه ماسة و بمراعاة مثل ذلك سلامة الحاسة و ذلك من أعز مطالب العقول كما هو مسطور منقول.

تسل عن كل شىء بالحياة فقديهون عند بقاء الجوهر العرض

يعوض اللّه عما أنت متلفهو ليس للنفس إن أتلفتها عوض

و من محاسن حدائق قباء الصمد، و حوسان، و الجعفرية و كانت غرة فى جبهة هاتيك الأماكن، إلا إنها قد ذهبت بهجتها و أخلفت ديباجتها، و بقايا رسومها تشهد لها بالنضارة السابقة و العمارة الفائقة.

كفى أسفا بالواله الصب أن يرىمنازل من يهوى على غير ما يهوى

و لو لا غرام لى بطيبة لم أكنأذل لمن يسوى و من لم يكن يسوى

و قال آخر:

منزل حقه على قديممن زمان الصبا و عصر البطالة

أنا أدرى به و إن كنت فيهسائلا عنه أقتفى أطلاله

و محال من المحيل جوابغير أن الوقوف فيه غلاله

و لله در القائل:

قف نسأل الطلل الذى لا يعلمو قلوبنا فى رسمه تتكلم

و أها له طللا برامة بينماهو بالحياء منهن إذا هو معدم

و على البلى فقد يروق كأنماقطع الغمام عليه برد معلم

و من أعمال قباء العصب بضم أوله و فتح ثانيه واد فى حرتها الغربية، واد عليه للمحاسن رونق و به طيور طاب عيش نديمها و قد

اشتملت العصب على حدائق ذات بهجة من أحسنها سلطانة، و هى حديقة حسنة الترتيب، بديعة الوضع العجيب كثيرة النخل الباسق و الشجر المتناسق ذات بناء شديد و إيوان مشيد و بركة وسيعة و أوضاع حسنة بديعة، و بئر شميلة بضم الشين المعجمة و هى روض فسيح الجنان مخضرة الأرجاء و الرحاب بها الأشجار المؤتلفة و الأزهار المختلفة و العمارة الحسنة و النضارة المستحسنة، و الماء العذب و الهواء الرطب فلا زالت كذلك، روضة من هاتيك المسالك و قطعة ريحان السفرى و هى حديقة لطيفة و فيها حصن قديم قال فى زهر الرياض، العصب فى غربى قباء بها النخيل و البساتين المعتبرة، ابتكر عمارتها السيد أحمد بن

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۵۷

سعد نقيب السادة الأشراف، و بعض بنى السفر و فيها مسجد التوبة صلى فيه النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه . قلت و قد اندرس هذا المسجد بحيث لم يبق له أثر، و لم يكن له عند أحد من أهل المدينة خبر، و لم تزل الآثار تعفو رسومها، و تحدث من بعد الأمور أمور.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۵۸

باب [فى ذكر العالية، و رياضها الفائق نشرها على العبير و الغالية]

فى ذكر العالية، و رياضها الفائق نشرها على العبير و الغالية، و فيه ذكر جفاف و قربان و محاسنهما السائرة بهما الركبان، ان الحقائق فى الحدائق قد بدت، فاجنوا بها الثمرات من أشجارها. قال فى الوفاء العالية من المدينة، ما كان فى جهة قبلتها من قباء و غيرها على ميل فأكثر، و أقصاها عمارة على ثلاثة أميال و أربعة إلى ثمانية أو ستة على الخلاف فى ذلك انتهى. و وجه التسمية جلى، و ذلك لأن السيول تنحر من تلك النواحى العالية إلى سوافل المدينة، فعلى ذلك يقال نزلنا من العوالى إلى المدينة، و طلعنا من المدينة إلى العوالى، و لا عبرة بمن يقول لا يقال نزلنا المدينة لأنها محل الطلوع لأن ذلك من الأدب المولد المستبرد، فإن اللّه تعالى يقول «رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلًا مُبارَكاً» و بملاحظة ذلك ساغ لمن كان فى السوافل أن يقول نزلت المدينة و عليه عمل أهلها، و تطلق الحدائق على ما فى العالية من البساتين و العوالى على القرية فقط و بالجملة فإن العالية رياض مخضلة الربا و غياض معتلة الصبا بها النخيل الباسقة و الأشجار المتناسقة و الأغصان التى تتناوح عليها الأطيار و تتباكى فى روضها الأمطار.

مهما اتجهت رأيت روضا ماؤهمتسلسل يعلو عليه و يخفق

الريح يكتب و الجداول أسطرخط له نسج الغمام محقق

و الطير يقرأ و النسيم مرددو الغصن يرقص و الغدير يصفق

و معاطف الأغصان هزتها الصباطربا فذا عار و هذا مورق

و هزاره يصبو إلى شحرورةو يجاوب القمرى فيه مطوق

يتلو على الأغصان أخبار الهوىفيكاد صامت كل شىء ينطق

و الورق فى الأوراق يشبه شجوها شجوى و أين من الخلى الموثق

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۵۹

و قال آخر:

منازل أحبابى و مربى عشيرتىو أوطان أوطارى و رضى سخطى

لويت عنانى فى حماها عن اللوى و همت بها لا بالمحصب و السقط

و لذ عناق الفقر لى بغنائهاو فى غيرها لم أرض بالملك و الرهط

سقى سفحها إن قل دمعى سحابةمكللة بالقطر منهلة النقط

و يا أسطر النبت التى قد تسلسلت‌بصفحتها لا زالت واضحة الخط

و لا زال ذلك الروض بالطل معجماو من شكل أنواع المسرة فى ضبط

و قال و لله دره:

سقى اللّه فى أرض العوالى منازلها قطعت بها دهر الربذا من العمر

درت أننى قد حببتها متنزهافمدت لتلقانى بساطّا من الزهر

و فيها لقد رق النسيم و حيثماذهبت وجدت الماء فى خدمتى يجرى

و قلت أنا فى ذلك و إن لم أكن هنالك:

نشأت بفضل اللّه فى ظل دوحة سمت بنبى كنت من بعض عترته

فإن شئت فى صفح العوالى و إثباتابدار الذى طابت و طالت بهجرته

فهاتيك دار الحبيب و هذه‌بها منن هى يا صاح من حول حجرته

و قلت فى تفضيل العالية و فيه نظر:

فضل العوالى بين و لأهلهافضل قديم نوره يتهلل

من لم يقل أن الفضيلة طنبت‌أرض العوالى و هو حق يقبل

إنى قضيت بفضلها و أقول فى‌وادى قبا الفضل الذى لا يجهل

و قلت فى تقسيم الشوق:

إذا كنت فى أرض العوالى تشوقت‌لأرض قبا نفسى و فيها المؤمل

و لو كنت فيها قالت النفس ليت لى‌بأرض العوالى يا خليلى منزل

فيا ليت أنى كنت شخصين فيهماو ما ليت فى التحقيق إلا تعلل

و قلت بلسان حال الأحوال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۶۰ أراك تغالى فى العوالى و فى قباو أنت على وهم الخيال تعول

إنى كم تكن تهوى الذى أنت سائرإلى غيره إذ أنت عنه تحول

فكن سائرا فى لا مقام فإنماتقلب من شأن لسان و ترحل

و من محاسن حدائق العالية سميحة بضم أوله، قال فى الوفاء، بئر سميحة بئر بالمدينة عليها نخل لعبيد اللّه بن موسى.

قال كثير عزة:

كأن دموع العين لما تحللت‌محارم بيضا من تمنى جمالها

قبلن غروبا من سميحة اترعت‌بهن السوانى و استدار محالها

(القابل الذى يلتقى الدلو تخرج من البئر فيصبها فى الحوض) ، و قد غرس بعض أهل المدينة اليوم على سميحة هذه حديقة، فصارت من أحسن الحدائق. انتهى.

(و ماء هذه البئر من أحسن) مياه ذلك الجزع و إن لم يكن بالعذب الخالص.

و أنشدوا:

و فى مائها قد قيل بعض ملوحةو منها مياه العين أحلى و أملح

فقلت لهم قلبى يراها ملاحةفلا برحت تحلو لقلبى و تملح

و من أحسن المياه هنالك بئر النصيرى بضم أولها، و عليها حديقة غناء، و من أحسن حدائق العالية الدويمة و الشجيرة و الفقير

بالتصغير، و مغلة بصيغة اسم الفاعل، و البوعى و فى قبلته مسجد بنى قريظة بضم القاف، و هو عشرون ذراعًا فى مثلها، و حوله حدائق و بساتين و مزارع و فى الجهة الشامية منه المشربة روى عنه عليه الصلاة و السلام أنه صلى فى مشربة أم إبراهيم ، و هى أكمة بين النخيل قد حوط حوله بلبن، و المشربة البستان، قيل كان بستانا لمارية القبطية.

و فى الصحاح المشربة بالفتح، الغرفة، و كذلك المشربة بضم الراء، و المشارب العالى قال فى الجوهر المنظم، المشربة ولدت فيها مارية إبراهيم بن رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه و سلم و موضعه اليوم مسجد، و هو أربعة عشر ذراعا، فى مثلها. انتهى.

و عندها حدائق من أحسنها المرجانية و المالكى و أم غانم.

حدائق أنبتت فيها الغوادىضروب النور رائقة البهاء

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۶۱ فما يبدو بها النعمان إلانسبناه إلى ماء السماء

و من أحسن حدائق العالية الدوار، بضم أوله و تشديد الواو، و المسمارية و ما حولها و البغوة، فإن فيها البغية.

فائدة قال فى الوفاء، زهرة بالضم ثم السكون، بين الحرة الشرقية، و السافلة مما يلى القف، كانت من أعظم قرى المدينة، و كان بها ثلاثمائة صانع، و هى مما يلى العالية بالقرب من الصافية و فى الدور الثمينة.

القف بالضم و التشديد، و أصله ما ارتفع من الأرض و غلظ، و كان فيه إشراف على ماء حوله، و أحجار كالإبل البروك، و هو علم بواد بالمدينة عند المشربة و به حسنا، و أما جفاف فهو واد طاب روح نسيمه، و صح مزاج اقليمه رياضه زاهرة و حياضه باهرة، و نخيله باسقة و أشجاره متناسقة.

واد حريرى الرياض فكم بهمن حارث يغدو به همام

ممتد أردية الظلال فروضهباكى العيون و ثغره بسام

أو هو كما قال:

منزل طيب و ماء معينو ثرى أرضه يفوح عبيرًا

و إذا المرء قدر السير منهفهو ينهاه بإسمه أن يسيرا

فلا زال كذلك و لا برحت معمورة بعمارته هاتيك المسالك، قال فى زهر الرياض جفاف بالكسر و فائين، جهة من العالية به الحدائق الحسنة و المنتزهات البهية المستحسنة و من حق تلك المنازل و الربوع، ان تكتب تراجمها باللجين أو بالدموع، و فيها قلت متذكر السالف العيش الطيب، فلا زالت بها شاء ابيب الغيث الصيب.

سقى اللّه فى وادى جفاف بنائلالهن جفاء رائق اللون و الحسن

بران على ساقى النشير ثوابت و أخرى مع الأعناب فى ساحة العهن

و قال آخر:

جفاف بواديها رياض نواضربها ينجلى عن قلب ناظرها الهم

على نفسه فليبك من ضاع عمرهو ليس له منها نصيب و لا سهم

و قال: الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية ؛ ص ۱۶۱

فى زمان الربيع أهل جفاففى نعيم إذ تزهر الأزهار

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۶۲ فى قصور وسط الجنان تراهاو هى تجرى من تحتها الأنهار

و قلت:

تحن إلى وادى جفاف جوانحىو إن كان ممن قل فيه نصيبى

و إنى لأهوى الجزع و هو ممتعو من لى بجزع فى رباه حبيبى

و قال:

عرج ركابك عن جفاف إنهاواد تذل له الرقاب و تخضع

فى كل أفق من بديع رياضهقمر يغيب و ألف بدر يطلع

و قال:

يا سائرًا و الريح يعثر دونهو البرق يبسم أدبه يتألق

[إن جئت من وادى] جفاف منزلالى نحوه حتى الممات تشوق

و رأيت فى الروض المفوق اغيدافى الكون مثل جماله لا يخلق

بلغ منازله التحيهٔ إننىأبدا بحسن بهائها أتشوق

و من أحسن حدائق جفاف الحمرهٔ، و النواعم، فإنها من أعظم حدائق ذلك الوادى و أكرم بساتين ذلك النادى، و هى القائل فيها بعض واصفيها.

عيون المها بين النواعم لو تدرىجلبن الهوى من حيث أدرى و لا أدرى

فيا ساكنى أكناف طيبهٔ ماؤكمإذا ذقته ذقت الرحيق من السكرى

و لو لا بقايا طعمه فى مذاقتىلما ظهرت هذى الحلاوهٔ فى شعرى

فواها على سكنى النواعم دائماخلافا لمن قال آها على مصر

فكم مر بى فيها حلاوهٔ ليلهٔفكانت شبيه الخال فى و جنهٔ الدهر

و فى غيرها كم كنت أقضى لياليا‌تمر بلا نفع و تحسب من عمرى

و قال آخر:

وجوه فى النواعم إن تبدتيقول الصب قد حصل المرام

وجوه لا تزال تضىء حسنالمثل جمالها خلق الغرام

و من أحسن حدائق جفاف العهن، و هو أحد الآبار السبعهٔ كما تقدم، و العهين بالتصغير و النشير، و هو روض تغنت أطياره فتمايلت طربا أشجاره.

الجواهر الثمينهٔ فى محاسن المدنيهٔ، ص: ۱۶۳ إذا تكسر ماؤه أبصرتهفى الحال بين رياضه يتشعب

و فيه إيوان مشيد البنا و بركهٔ متسعهٔ حسناء فى روضهٔ تروق أعين البشر قد تناسق فيها الشجر، و سجع على افنانها القمرى من على جداول كاللجين تجرى.

و سانيهٔ حنت و أنت و قد غدتتعبر عن حال المشوق و تعرب

ترقص عطف الغصن تيها لأنهاتغنى له طول الزمان و يشرب

و قال ابن تميم:

و بركهٔ ماء يملأ العين صفوهايخف بها روض من الغيث مزهر

و يسرح منها فى الخمائل جدولكما سل من درع حسام مجوهر

و قال:

و حديقهٔ ينساب فيها جدولطرفى برونق حسنها مدهوش

يبدو أخيال غصونها فى مائهفكأنما هو معصم منقوش

و لقد أحسن التخيل من قال:

كأنما الماء و قد جفت بهأشجاره و صافحته الألسن

مرآة غيد قد وقفن حولهاينظرن فيها أيهن أحسن

و قال القيراطى:

سقى اللّه بستانا حللنا بدوحهو قد مالت الأغصان من كثرة الشرب

تراقصت الأغصان فيه و نقطتمغانى الرياض السحب باللؤلؤ الرطب

و قال البدر الذهبى:

لله روض فائح نشرهاقد تمنعت أردائها السحب

الطير فيها شيق مغرمو جدول الماء بها صب

و قال ابن الوكيل:

تغنت فى دوى الأوراق ورق[ففى الأفنان من طرب فتون]

فكم بسمت ثغور الزهر عجبّاو بالأكمام كم كم رقصت غصون

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۶۴

و قال:

و رب حمامة فى الدوح صارت[تجيد النوح فنا بعد فن]

أقاسمها الهوى مهما اجتمعنافمنها النوح و العبرات منى

و قال الصفدى:

لا تقيسوا بى الحمامة حزناأنا فضلى تدرى به العشاق

أنا أملى الغرام على ظهر قلبو هى تملى و حولها الأوراق

و قال ابن لؤلؤ:

[و رقاء قد أخذت فنون الحزن عنيعقوب و الألحان عن اسحاق

قامت تطارحنى الغرام جهالةمن دون صحبى باللوى و رفاق

و أنا الذى أملى الجوى عن خاطرىو هى التى تملى عن الأوراق

و قال آخر:

يا طالما سجعت و هنا بذى سلمو رقاء تعجم شكواها فأفهمه]

و تنثنى نسمات الغور حاكيةعلم الفريق فأدرى ما تترجمه

و قال الأزدى و أجاد:

لأمر ما بكيت و هاج شوقى[و قد سجعت على الأيك الحمام]

[لأن بياضها كبياض شيبى] فمنعنى نوحها قرب الحمام

و من سحريات الرياض:

إذا هبت نسيم الروض ليلاعليك و أنت فى بعض الحدائق

و وافق أن يكون البدر صاحو عندك شادن كالبدر فائق

لطيف كامل فى الحسن فردعطير طيبة من كل فاتق

و كان مع السوانى صوت قمرىيغنى فى الهوى حسن الطرائق

و صوت الماء يسكب فى الجوابى‌يفوق بصوبه صوب الغدائق

ورن الطير حتى كاد يزرى‌بأوتار عليها الدق رائق

و فاح لكل ريحان شداه‌و راح به مع الأرياح عائق

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۶۵ و سار البدر مرتحلا سحيراو نادى الثريا أنت طالق

و جاء الصبح يسعى فى إنطلاق‌و أذن فجره سبحان خالق

و أصبحت الزهور على كمام‌تحاكى فى النضارة كل شارق

و قد أصبحت فى خير و برمعافى آمنا من كل عائق

فذاك العيش عيش أولى التصافى‌و أرباب اللطائف و الحقائق

فدونك فاغتنم صفوا و حافظعلى شكر العطا إن كنت حاذق

و من ذلك من هذه المسالك:

إذا أصبح الجو زاه و قدتحجبت الشمس خلف الحجاب

ورق النسيم و أرخى الندى‌كواكب طل تزين الرحاب

فكن من بنى الوقت و احرص على‌نديم أديب و طى الجناب

و خل مليح لطيف طريف‌يعانى الملاهى و يهوى الحباب

و حاد يجود على كل عودبلحن الأغانى و شجو الشباب

يزين المقام إذا ما استقام لصوغ القوافى و جر الرباب

و كن فى البساتين و اطرح بهاهمومك و اجعل عليها التراب

و إن اسبل الغيث اذياله‌فذالك لا شك يوم الشراب

و ذلك يوم يزيد الهناءو يطوى بها الهم طى الكتاب

فخذ نصح صب خبير بمايقول فقد قال راعى اللباب

و لا تمنع البسط أوقاته‌فيشهر فى ذاك سيف العتاب

و لقد أبلغ الواعظ بقوله:

لقد كادت الدنيا تقول لأهلهامشافهة لو أنها تتكلم

خذوا بنصيب من نعيم و لذة‌فكل و إن طال المدى ينصرم

و لا تتركوا يوم السرور إلى غدفرب غد يأتى بما ليس تعلم

إلا أن أهنى العيش ما سمحت به‌صروف الليالى و الحوادث نوم

[و أصل ذلك] قوله تعالى: وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَ أَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ [القصص: ۷۷].

و ما أحسن ما قال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۶۶ إذا أمكنت مع عفة النفس لذة‌فخذها و لا تنسى النصيب من الدنيا

و لله در القائل:

عليك بساعات السرور فإنهاهبات زمان راجع فى هباته

و خذ ما أتى مما ترى من مسرة‌و صل خير هذا الدهر فى غفلاته

فإن صحيح الرأى من كان همه‌و مسعاه فى تحصيل لذات ذاته

و من محاسن جفاف، أم عشرة، واد فى قبلى جفاف، تبقى فيه غدران من الأمطار و من سيل أبى جيدة، و تجرى منه جداول إلى؟؟؟ مزارع و حدائق؟؟؟ هنالك منها، فتجد به النفوس راحة و مسرة و يسعى إلى التنزه فيه من من اللّه تعالى عليه بسعة من الرزق و المبرة و بالجملة فإنه من المواضع الشهية الرائقة و المرابع البهية الفائقة لا سيما إذا اخضرت أكنافه و تزينت بالزهور أطرافه و سلم قاصده من مشاغبة الديون و مراقبة العيون، و هيهات و هيهات أن تمر إلا بمقتضى أحوالها الأوقات و على ذكر الجداول.

فما ألطف قول ابن تميم:

يا حسنة من جدول متدفقيلهى برونق حسنه من ابصرا

ما زلت انذره عيونا حولهخوفا عليه أن يصاب فيعثرا

فأبى و زاد تماديا فى جريهحتى جرى من شاهق فتكسرا

و قال آخر:

كأن المياه خلال الرياضو أعين أزهارها ناضرة

سماء تقطع فيها الغمامفلاحت به الأنجم الزاهرة

و من الزهريات:

انظر إلى الأشجار تلق غصونهاشابت و طفل ثمارها ما أدركا

و عبيرها قد ضاع من أكمامهاو غدا بأذيال الصبا متمسكا

و قال آخر:

أنظر إلى الأغصان كيف تمايلتو تفارقت بعد التعانق رجعا

كالصب حاول قبلة من إلفهو رأى المراقب فانثنى مترجعا

و قال آخر:

أقول و طرف الرجس الغض شاخصإلى و للنمام حولى المام

أيا رب حتى فى الحدائق أعينعلينا و حتى فى الرياحين نمام

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۶۷

و أما قربان فهو اسم رجل كانت له بئر عليها حديقة، و عندها عمارة فى شرقى مسجد الشمس إلى جانب الشمال يفصل بينهما سيل أبى جيدة سمى باسمه ذلك الموضع و صار علما بالغلبة على تلك الناحية و كثرت فيه العمارات، و سكانه أهل خير و معروف.

قال الشاعر:

من سره رطب و ماء باردفليأت أهل الخير من قربان

و ما أحسن ما قال (ظل بارد، و رطب طيب و ماء بارد) .

نحن جيران أحمد قد أقمنافى رياض قد طاب فيها المقيل

ماؤنا بارد و أضحى لدينارطب طيب و ظل ظليل

و عنه عليه الصلاة و السلام ثلاث لا يسأل اللّه تعالى عنها العبد يوم القيامة، ما يوارى به عورته، و ما يقيم به صلبه، و ما يكنه من الحسر و القد و هو مسؤول بعد ذلك عن كل نعمة ، و روى عن الحسن عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أنه قال «ما أنعم اللّه على العبد من نعمة صغيرة و كبيرة فيقول عليها الحمد للّه إلا أعطاه اللّه خيرا مما أخذه و عنه عليه الصلاة و السلام أنه قال، عن السؤال عن النعيم و إنما ذلك للكفار ثم تلا و هل يجازى إلا الكفور ، و عن الباقر رضى اللّه تعالى عنه، أن النعيم العافية و عنه أن اللّه تعالى أكرم من أن يطعم عبدا أو يسقيه ثم يسأله عنه و إنما النعيم الذى يسأل عنه هو رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه و سلم أما سمعت قوله تعالى لَقَدْ

مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ حكاه النيسابورى فى تفسيره و أما مسجد الشمس و يعرف بمسجد الفضيخ و هو على نحو نصف ميل من مسجد قباء من الجهة الشرقية و هو مبنى بأحجار على نشر من الأرض و عند بئر لها درج إلى الماء، و قد صلى النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه فى هذا المسجد قال فى الجوهر المنظم مسجد

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۶۸

الفضيخ شرقى قباء على شفير الوادى أحد عشر ذراعا فى مثلها سمى بذلك، لأن أبا أيوب و من معه كانوا يشربون به الفضيخ، فجاءهم الخبر بتحريمها قبل العلم بنجاستها انتهى و قيل غير ذلك. باب فى ذكر القبلتين و محاسن الجرف و البركتين.

مخيم لذاتى و شوقى مأربىو قبلة آمالى و موطن صبوتى

رعى اللّه أياما بظل جنابهاسرقت بها فى غفلة البين لذتى

مسجد القبلتين لبنى سواد بن سلمة، و الأرجح أن تحويل القبلة كان و هو صلى اللّه تعالى عليه و سلم يصلى به الظهر بعد ما صلى ركعتين، و كان جاء لزيارة امرأة من بنى سلمة، فصنعت له طعاما ، و قيل لم يكن معهم، بل أخبروا فاستداروا و تورع بأن مسجد قباء كان أولى بهذه التسمية لوقوع ذلك فيه و قال كثير من أهل العلم مسجد القبلتين حولت فيه القبلتين من بيت المقدس إلى الكعبة و قد صلى فيه النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه ركعتين من الظهر فأمر أن يتوجه إلى الكعبة فاستداروا، و استقبل الميزاب و ذلك لستة أشهر من الهجرة فى نصف رجب و قال بن النجار فى الدرة الثمينة و صلى النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه فى مسجده متوجها إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم أمر بالتحول إلى الكعبة فأقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا رسول اللّه ضع القبلة و أنت تنظر إلى الكعبة ثم قال بيده هكذا فأماط كل جبل بينه و بين القبلة فوضع القبلة و هو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شىء و صارت قبلته إلى الميزاب و عن سعيد بن المسيب قال حولت القبلة بعد الهجرة بستة عشر شهرا قبل بدر بشهرين فى مسجد بن سلمة الذى يقال له مسجد القبلتين و كان فيه رسول اللّه صلى اللّه تعالى و سلم عليه إذ ذاك فى صلاة الظهر عند دار أم بشير و قيل كان ذلك فى مسجده فى صلاة العصر يوم الإثنين فى النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة انتهى و تعرف جهة هذا المسجد بالقاع و هو طرف وادى العقيق و إلى جانب المسجد من شرقيه حديقة غناء مشتملة على عمارات بديعة رينعت فى أرجائها الأشجار و تغنت على أغصانها الأطيار فما أحلاها و قد حفت بها الأزهار، و هبت عليها نسمات الأشجار و هى من أوقاف يوسف الرومى و إلى جانبها حديقة لطيفة يقال لها عقاب و حول هذا المسجد آبار، و مزارع يعرف بالعنابس

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۶۹

من أحسنها وزيرة و سلطانة و أما الجرف بضمتين و تسكين الراء فهو على ثلاثة أميال من المدينة و هو قاع فسيح و منتزه مليح و يشتمل على آبار و مزارع، و حدائق من أحسنها حديقة الحاكم، و حديقة الأمير و النائبية و ما حولها و فى الجانب الغربى من الجرف مزارع تسمى العرض بالكسر أو هى الجرف أو كل واد فيه شجر فهو عرض، قال يحيى بن أبى طالب:

و لست أرى عيشا يطيب مع النوىو لكنه بالعرض كان يطيب

و أنشدوا:

انظر إلى الجرف البديع رياضةو الشمس كادت بالحجاب توارا

صبغ الأصيل حباله فكأنهاأطواد بئر تخطف الأبصارا

و من محاسن الجرف سيل العقيق، و فى الصحيح لا يدخلها الطاعون و لا الدجال «يأتى سبخة الجرف فيخرج إليه كل كافر و منافق و لها يومئذ سبعة أبواب، و فيه أن سبخة الجرف ليست من المدينة و فيه نظر و تأمل و أما البركتين بالياء فى الأحوال الثلاث و الأكثر الأفراد فهى نخيل و مزارع تنتهى إليها العين الزرقا، فى وادى إبراهيم بين غربى أحد و الجرف و تسقى بالساعات من ماء العين و يقال لأولها البركة الغربية و لآخرها البركة البعيدة».

و أنشدوا:

أرأيت وادى البركتين و ماؤه‌يبدى لناظرك العجيب الأعجبا

يتكسر الماء الزلال على الحصافإذا غدا بين الرياض تشعبا

و من محاسنها البطحاء و هى مجمع السيول:

فإن النفس تجد إليها ارتياحاو تكسب من فضائها أفراحا

و ما أحسن ما قال:

و بطحاء فى واد يروقك لونهاو لا سيما إن جاد غيث مبكر

تلاحظها عين تفيض بأدمع‌يرقرقها منه هنالك محجر

إذا فاخرته الريح ولت عليلةبأذيال كثبان الريا تتعثر

و قال آخر:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۷۰ كم للنسيم على الربا من نعمةو فضيلة بين الورى لن تجحدا

ما زارها و شكت إليه فاقةإلا وهز لها الشمائل بالندا

فوائد و فرائد فى كتاب الفلاحة، النخل أول شجر استقر على وجه الأرض و عنه عليه الصلاة و السلام، «أكرموا عماتكم النخل» و فى رواية «أكرموا النخلة فإنها عمتكم» و قال الشاعر:

و عماتك النخل كن مثلهابرامى الحجارة ترمى الرطب

و إنما سميت عمة لأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه الصلاة و السلام أو لأنها تشبه الإنسان فى أشياء كثيرة و جاء أن الكرم و الرمان خلقا أيضا من فضل الطينة و عنه عليه الصلاة و السلام أن من الشجر لما بركته كبركة المسلم يعنى النخلة و قال نعم المال النخل، الراسخات فى الوحل، الطعمات فى المحل» كذا فى كتاب البركة» مسألة إذا دام شرب النخلة للماء العذب، و تسقى الماء المالح أو يطرح الملح فى أصولها، فتحسن ثمرتها، و ربما لا تقبل القاح بالطلع فتلقح بروث الحمير، و يعرض لها أمراض كالإنسان، منها الفم و علاجه ايقاد النار حولها نهارا و منها العشق و علامته ميلها إلى أخرى، و خفة حملها و هزالها و علاجه أن يشد بينها و بين المعشوقة حبل أو يعلق عليها سعفة من المعشوقة أو يجعل فيها من طلعها و منها منع الحمل و علاجه أن يأخذ فأسا و يدنوا منها و يقول لآخر، أنا أريد أن أقطع هذه النخلة، لأنها لم تحمل فيقول له الآخر لا تفعل فإنها تحمل هذه السنة، فيقول لا بد من قطعها و يضربها ثلاث ضربات فيمسكه الآخر و يقول لا تفعل فإنها تثمر هذه السنة فاصبر عليها و لا تعجل فإن لم تثمر فاقطعها، فإنها فى ذلك العام تثمر ثمرة كثيرة و منها سقوط الثمرة و علاجه أن يأخذ لها منطقة من الاسرب فتكثر ثمرتها و لا تسقط أو يتخذ لها أوتاد، من خشب البلوط و يدقونهم حولها فى الأرض و من عجيب أمرها أنك إذا أخذت، نوى نخلة و غرست منها ألف نخلة، جاءت كل واحدة لا تشبه الأخرى، و إذا نقع النوى فى بول بغل و غرس جاء فحولا و إذا نقع فى الماء ثمانية أيام و غرس جاء بسره كله أحمر و إن نقع فى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۷۱

بول البقر و جفف ثلاث مرات، و غرس حملت كل نخلة منه مقدار نخلتين و إذا أخذ البسر الأحمر وحشى فى التمر الأصفر و غرس جاء بسره أصفر و بالعكس و كذا النوى المتطاول المدور و كيفية غرسه أن تجعل أغلاظ أطراف النوى مما يلى الأرض و موضع النقير إلى القبلة.

فائدة: إذا ظهر بعض عروق النخلة، و قطعت من دونها و غرست فإنها تنبت كأنها ودية و التى لم يظهر عروقها تضرب أوتاد فى جوانبها و تشبك و يجعل، عليها التراب و الماء إلى أن تضرب عروقها فتقطع من دونها و تغرس فتنبت و تثبت حكى فى كتاب المباهج أنه أهدى لبعض الرؤساء عذق واحد بسرة حمراء و بسرة صفراء و ذكر أن بعض النخل تخرج الطلع فى السنة مرتين و حكى أن بقرية من

أعمال بغداد نخلة تخرج فى كل شهر طلعة واحدة على ممر الأيام حكى أنه كان فى بستان ابن الخشاب بساحل القاهرة نخلة تحمل أعذاقا نصف البسرة الأعلى أحمر و نصفها الأسفل أصفر و بالعكس من العذق الآخر لطيفة و حكى أن بعض ملوك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنه بلغنى أن ببلدك شجرة تخرج ثمرة كاذان الحمر ثم تنشق على أحسن من اللؤلؤ المنضد ثم تخضر فتكون كقطع الزمرد ثم تحمر و تصفر فتكون كشذور الذهب، و قطع الياقوت ثم تينع فتكون كالطيب الفالوج ثم تيبس فتكون قوتا للحاضر و زادا للمسافر فإن صدقت رسلى فلا شك من أنها من شجر الجنة فكتب إليه نعم صدقت رسلك و أنها الشجرة التى ولد تحتها المسيح عيسى عليه الصلاة و السلام، فلا تدع مع اللّه إلها آخر و على ذكر الشجرة فما أصدق ما قال:

المرء فى زمن الاقبال كالشجرةو الناس من حوله ما دامت الثمرة

و إذا تساقط عنها حملها رحلواو خلفوها تقاسى الريح و الغبرة

و من خواص النخل، أن خوصه إن مضغ قطع رائحة الثوم و الكرات و من خواص النوى أنه إذا غلى فى ماء إلى أن يذهب نصفه نفع شربه من حرقة القضيب، قال بعضهم يصف النخل:

كأن النخيل الباسقات و قد بدتلناظرها حسنا قباب زبرجد

و قد علقت من حولها زينة لهاقناديل ياقوت بأخراس عسجد

و قال النميرى:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۷۲ ضربن العذق فى ينبوع عينطلبن معنيه حتى رويناه

كأن فروعهن بكل ريحعذارى بالذوائب ينتضينا

و قال السرى الرفا:

و كأن ظل النخل حول قبابهاظل الغمام إذا الهجير توقدا

من كل خضراء الذوائب زينتبثمارها جيدا لها و مقلدا

حرقت أسافلهن أعماق الثرىحتى اتخذت البحر فيه موردا

شجر إذا ما الصبح أسفر لم يتحللأس طائره و لكن غردا

و قال آخر:

أنظر إلى البسر إذ تبدىو لونه قد حكى الشقيقا

كأنما خوصه عليهزبر جد مثمر عقيقا

و قال فى البلح الأحمر:

أ ما ترى النخل حاملاتبسرّا حكى حمرة الشقيق

كأنه من عقود تبرمنظمات من العقيق

و قال فى البلح الأخضر:

أ ما ترى النخل طلعت بلحاجاء بشيرّا بدولة الرطب

مكاحل من زمرد مرطتمقمعات الروس بالذهب

و قال آخر:

أ ما ترى الرطب المجنى لأكلهحلوى أعدت لنا من صنعة البارى

ما باشرتها بذى العقاد فى عملفى الدست يومّا و لا حطت على النار

و قال ابن شرف القيروانى:

و مطبوخ بغير عقيد نارعزمت على جناه بابتكار

آبانيذ تبدت من عقيقمقمعة بمسبوك النظار

و ترى لصفاء جوهرها نواهاكألسنة العصافير الصغار

و قال آخر:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۷۳ كأنما النخلة معشوقةتزينت آذانها بالحلى

و القنو مثل القرط فى حسنهتبارك الله العظيم العلى

و قال فى النخل المجدود:

أنظر إلى النخل و أعناقهاقد جردت من غصنها الزاهى

مثل عروس تم أسبوعهافجردت من حليها الباهى

ما زينها إلا عراجينهاو كلها من حكمة الله

و من الألغاز فى النخل و النحل:

و ما اسمان ذا تصحيف ذا و كلاهمالدى العام منه يجنى طيب الأكل

و بينهما فى الخط أدنى تفاوتو لكن افراط التفوات فى الشكل

و كل إذا صحفته و عرفتهفمجموعة شطر من الحدق البخل

مسألة يقال من سعادة المرء أن يرى ولد ولده و أن يأكل من غرسه و أن يسمع إنشاد شعره.

و أنشدوا:

لسنا و إن أنسابنا كرمتيومّا على الأنساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلناتبنى و تفعل مثلما فعلوا

روى الجاحظ فى كتاب المدح و الذم بإسناد له عن عبد اللّه بن سلام رضى اللّه عنه لا تدع غرس أرضك، و إن سمعت بخروج الدجال، و عن بعض أهل البيت إعمل للدنيا حتى كأنك لا تموت أبدا، و اعمل للآخرة حتى كأنك لا تعيش غدّا و كأنه ينظر إلى قوله تعالى إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا و إلى قوله عليه السلام «إن اللّه كتب الإحسان على كل شىء» و عنه عليه السلام «البناء من يوم ابتدائه فى نقصان

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۷۴

و الغرس من يوم ابتدائه فى زيادة» و جاء فى تفسير قوله تعالى كلوا من طيبات ما كسبتم أن المراد به التجارة و فى قوله مِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ أنه الزرع و الغرس و كان يقال إذا أنت لم تزرع و أبصرت حاصدّا ندمت على التفريط فى زمن البذر.

و كان يقال فلاح المعيشة فى الفلاحة عسى تجد فى العيش راحة و كان يقال لا ضيقة على من له ضيعة و إنما تصلح بقوة ساعده و جاه مساعد و كان يقال هى المال إلا أن فيها مذلة فمن ذل قاساها و من مل باعها و عنه عليه الصلاة و السلام «التمسوا الرزق فى خبايا الأرض . قال فى المواهب المراد الزرع و أنشدوا:

تتبع خبايا الأرض وادع مليكهالعلك يوما أن تجاب فترزقا

و فى كتاب البركة عنه عليه الصلاة و السلام، أنه قال عند قوله تعالى وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ البركة فى التجارة و صاحبها لا يفتقر إلا حلاف مهين ، و عنه عليه الصلاة و السلام «من استطاع أن يشترى دابة فليشتريها فإنها تأتيه برزقها و تعينه على رزقه ، و كان يقال الحمار قليل المونة كثير المعونة، و عنه عليه الصلاة و السلام «إن اللّه يحب المؤمن المحترف» . «إن اللّه لا يحب الفارغ الصحيح، لا فى عمل الدنيا و لا فى عمل الآخرة» و فى كتاب البركة الزرع أفضل الطيبات، و هو من أهم فروض الكفاية،

و قال أصول المكاسب الزراعة و الصنعة و التجارة و الزراعة أطيبها «و هو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا يخرج منه حبّا متراكبا» [قيل كالعنب و البطيخ مما يعرش و غير معروشات] و هو الذى أنشأ جنات معروشات فما قام على ساق كالشجر و النخل «و النخل و الزرع مختلفًا أكله» و فى الأرض قطع متجاورات» أى متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض و يختلف بالتفاضل و جنات أى بساتين من أعناب و زروع و نخيل صنوان و غير صنوان الصنوان

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۷۵

النخلات مجموعهن أصل واحد و تتشعب فتكون نخلا، ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الأعناب و من كل الثمرات إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» و عنه عليه الصلاة و السلام «ما أكل العبد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده » و عنه عليه السلام «لو قامت القيامة و فى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل ، الفسيلة الودية الصغيرة قاله الجوهرى، و فى كتاب البركة عند قوله تعالى «أو ما ملكتم مفاتحه» وكيل الرجل و قيمه فى ضيعته و ماشيته، لا بأس أن يأكل من ثمرة حائطة و يشرب من لبن ماشيته، أو صديقكم و لو فى غيبته من غير تحمل لطيفة حكى فى شرح المقامات للشريشى أن كسرى مر على شيخ يغرس الزيتون فقال ليس هذا أوان غرسك الزيتون لأنه شجر بطىء الثمر و أنت شيخ هرم فقال أيها الملك غرس من قبلنا فأكلنا و نغرس ليأكل من بعدنا فقال زه أى أحسنت، و كان إذا قالها يعطى من قيلت له أربعة آلاف درهم فدفعت له فقال أيها الملك السعيد فكيف رأيت غرسى فما أسرع ما أثمره فقال زه فزيد أربعة آلاف فقال أيها الملك السعيد كل شجرة تثمر فى العام مرة و شجرى أثمر فى ساعة مرتين فقال زه فزيد مثلها فمضى كسرى و قال انصرفوا فلئن وقفنا لم يكفه ما فى خزينتنا.

و ما أحسن ما قال:

كن ابن من شئت و اكتسب أدبايغنيك مضمونه عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنا ذاليس الفتى من يقول كان أبى

الجمار هو قلب النخلة، و موضع الطلع منها أجوده الأبيض الغض الحلو و هو بارد يابس فى الأولى ، ينفع من أوجاع الصدر و السعال و الحرارة و هزال الكلى خصوصا بالسكر و ينفع من الإسهال و المرة الصفرا و من لسع الزنبور ضمادا و ينفتح و يولد الرياح لشدة حبه و يصلحه السكنجبين و قال بعضهم يصفه:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۷۶ جمارة كالماء تحكى لناما بين أطمار من الليف

جمار لطيف اللمس لكنهقد لف فى ثوب من الصوف

الطلع لقاح النخل، يتكون فى ظروف كالمسك تسمى كيزانة فيصير داخله كصغار اللؤلؤ المنضة ، فإذا تفتحت عنه خرج كالدقيق الأبيض، دسمًا كرائحة المنى، يلقح به إناث النخل فتصح و هو بارد فى الأولى أو الثانية يابس فى الثانية بطىء الهضم مولد لأوجاع الصدر و برد المعدة و عسر البول يصلحه الحلوى و أما الناعم منه البالغ فلا نظير له فى تهييج و لا كرائحته فى تهيج النساء و فى كتاب تحفة الملوك إذا [أخذت مثقالا من بذر اللفت] و مثله من السكر و مضغته و بلعته حصل لك ألفاظ فى الوقت و لم يزل كذلك إلى أن تشرب الخل و ترش منه على القضيب فحينئذ يسكن قال و هو من المجربات [و من منافع الطلع انه يقوى الأحشاء و يمنع انصباب المواد و من شعر كشاجم فيه]:

قد أتانا الذى بعثت إلىناو هو شىء من وقتنا معدوم

طلعه غضة أتتنا تحاكىسفطا فيه لؤلؤ منظوم

[قال بن المعتز]:

أفدى الذى أهدى إلينا طلعهأهدى إلى قلبى المشوق بلابلا

فكأنما هى زورق من فضةقد أودعته من اللجين سلاسلا

و لقد أحسن التشبيه من قال:

أ ما ترى الطلع يحكىلناظرى حين أقيل

سلاسل من لجين‌يضمها تحت صندل

البلح الأخضر. بارد يابس، و الحلو منه يميل إلى الحرارة و فيه قبض يصدع و كثير ما يوقع فى الناقض قال محمد بن يسار:

جاء بها رامحة كالعبهر المستنشقو قال سهالنا فقلت غير مطوق

مكحلة مخروطة من دهيج مؤنق‌سدادها من ذهب و ميلها من ورق

و قال ابن الرومى فى البسر الأصفر!!

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۷۷ بعثت بيرنى جنى كأنه‌مخازن بترقد ملين من الشهد

مقمعة الأطراف تنقد قمصها عن العسل المادى و العبهر الهندى

تنقل من خضر الثياب و صفرهاإلى حمرها ما بين وشى إلى برد

و كم لبثت فى شاهق لا ترى به‌و لا تجتنى باللحظ إلا من البعد

و قال:

أ ما ترى البسر الذى‌قد حاز كل العجب

كيف عدى فى لونه‌كعاشق مكتئب

ترى كأنه من فضة‌قد طليت بالذهب

الرطب:

قال الحكيم داود فى تذكرته هو سادس مرتبة من تمر النخل أجوده الأصفر الكثير اللحم الرقيق القشر الصغير النواة الصادق الحلاوة و أردأه الأسود و أعدله الأحمر و هو حار فى الثانية يابس فى الأولى.

و فى الأزرقى و المحيط حار رطب و كلما اشتدت حلاوته كان أشد حرارة.

خواصه يحرق البلغم و يذيبه و يقطع البرد و يسمن باللوز إذا لوزم ، و يصلح الهزال العارض فى الكلى و برد الظهر و يحرك الشهوة فى البرودين خصوصا المربى و فى المحيط، يلين الطبع و يزيد فى المنى مع الخيار و الخس و ليس للنفساء دواء كالرطب و كان السلف يستحبون اطعامه للنفساء و لأن مريم عليها السلام أكلته فى نفاسها و كانت نخلتها العجوة و ما أحسن ما قال:

إذا أبطأ الرزق الذى أنت طالبه‌فخذ سببا و اقصد به ذلك الطلب

ألم تر أن الله قال لمريمو هزى إليك الجزع تساقط الرطب

و لو شاء أحنى الجزع من غير هزه‌إليها و لكن الأمور لها سبب

و فى كتاب البركة: إذا ولدت المرأة فليكن أول ما تأكل الرطب فإنه إن لم يكن فتمر فإنه لو كان شىء أفضل منه أطعمه اللّه تعالى مريم حين ولدت عيسى عليهما السلام

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۷۸

و كان النبى صلى اللّه عليه و سلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل من التمر وترا . و يحكى أن ملوك الفرس كانت فى أيام الرطب ترفع عن سماطهم الحلوى و إذا كان أوان الورد يرفعون به سائر المسموم مضاره.

قال فى التذكرة: يولد السودا و السدد و الفضول الغليظة و يضعف الكبد و اللثة و مزاج المحرور و تصلحه الحوامض و الخيار و ينبغى لمن ولد فى غير بلاده التى ينبت بها تقليل أكله ما أمكن و كذا ضعيف الدماغ.

مسألة: أجمع الحكماء على أنه ما من دواء يزيل علة إلا و يحدث أخرى أو يزيد فيها و لذلك قال بعضهم ليس فى الدنيا لذة على

الحقيقة ما استكمل المرء من لذاته طرفا إلا و أدركه النقصان من طرف التمر قال فى التذكرة هو فى المرتبة السابعة من تمر النخل و هو كالعنب كثير الأنواع أجوده الأبيض العراقى، الرقيق القشر الكثير الشحم الحلو النضيح الذى إذا مضغ كان كالعلك و أكثر ما ينشأ بالبلاد الحارة اليابسة التى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۷۹

يغلب عليها الرمل كالمدينة المنورة و العراق و أطراف مصر و هو حار فى آخر الثانية، يابس فى أولها و قيل فى الأولى و فى المحيط حار رطب خواصه يقطع السعال المزمن و أوجاع الصدر و يستأصل شاقة البلغم خصوصا إذا أكل على الريق و ينفع من الفالج و وجع المفاصل عن برد و يولد الدم و يصلح أوجاع الظهر و يقوى الكلى المهزولة و بالحليب يقوى الباه و فى الأزرقى يقتل الدود المتولد من العفونة فى البطن و فى المحيط يقوى الصداع و إذا حرق نوى التمر و سحق مع الكحل أنبت هدب العين واحد البصر، و سود و منع الجرب و حسن قال فى التذكرة و لا يجوز تعاطى التمر لمن لم يولد فى بلاده إلا بقسطاس مستقيم و لا المحرور و لا زمن الصيف و يكره أكله عند النوم و يصلحه السكنجبين و القثا.

و قال بعضهم يصفه: أما ترى التمر يحكى، فى الحسن للنظار، فحازنا من عقيق [قد جمعت بنظار] كأنما زعفران، فيه مع الشهد جارى ، يشق مثل كوس، مملوء من غفار و فى كتاب البركة عنه عليه الصلاة و السلام لا يجوع أهل البيت و عندهم التمر ، و قال بيت لا تمر فيه جياع أهله مرتين أو ثلاثا ، و قال إذا فطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة، فإن لم يجد فليفطر على الماء فإنه طهور و قال الشاعر!!

فطور التمر سنةقال رسول الله سنه

من البرنى المربىيحلى المرء سنة

و عنه عليه الصلاة و السلام التمر البرنى فيه شفاء من كل داء و قال خير تمركم

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۸۰

البرنى، يذهب الداء و لا داء فيه و قال من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۸۱

ذلك اليوم سم و لا سحر و فى الصحيحين «إن فى عجوة العالية شفاء، و انها ترياق أول البكرة قال فى المحيط العجوة تمر كريم- صلب ملزز، متين القوة ينفع من السموم الباردة و ينفع من لسعة العقرب.

قال الأزهرى: و الصيحانى منها و عنه عليه الصلاة و السلام «كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان يجرى إذا رأى ابن آدم يأكله ، يقول عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق فائدة قال الشيخ أبو محمد الجونى فى كتابه الفرق و الجمع و فى أبواب الزكاة [كنت] بالمدينة فدخل على بعض أصحابى فقال كنا عند الأمير فتذاكروا أنواع التمر بالمدينة فبلغت أنواع الأسود ستين ثم قالوا و أنواع الأحمر فبلغت هذا المبلغ و فى زهر الرياض بلغت أنواع التمر بالمدينة مائة و بضعا و ثلاثين ، منها الصيحانى و هو نخل يعرف إلى الآن بهذا الاسم و هو بيد أولاد صفوى بن سليمان الطفيلى الحسينى قلت هو من أم عشر، مجرى السيل بالحرة الغربية بعضه لبنى السفر و بعضه لبعض بنى حسين و أخرج ابن المؤيد الحموى عن جابر رضى اللّه عنه قال كنت مع النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه فى بعض حيطان المدينة و يد على فى يده فمررنا بنخل فصاح النخل هذا محمد

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۸۲

سيد الأنبياء و هذا على سيد الأولياء أبو الأئمة الطاهرين ثم مررنا بنخل فصاح هذا محمد رسول اللّه و هذا على سيف اللّه فقال النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه يا على سمه الصيحانى فذلك هو السبب فيه قال ابن حجر فى حاشيته الايضاح لكن رد بأنه موضوع، و حكى القصة السيد على فى الوفا و لم ينكرها و اللّه تعالى أعلم. قلت و رأيت مؤلفا فى أنواع التمر مرتبا على حروف المعجم زاحمت

الأنواع فيه المائتين، قال فى زهر الرياض و صاحب الدرادرى ذكر محاسن فى محاسن التمر اثنى عشر سيدها البرنى و غرس أهل المدينة له أكثر و عنايتهم به أتم و إذا غرس فى غير المدينة لا تحسن حسنه فيها و ثمره أعلى من غيره بل و لا يذكر فى سلمهم غالبًا غيره، يحمل إلى الأقطار تبركًا به و مده فى الرخاء بثمانية كبار و فى الفلا بعشرين فأكثر و هو مع ذلك واحد الودى قليل القيمة و هو أزهر الزهر أحمر الرطب طوال شبيه بأصابع العذارى يلذ أكله زهوًا و رطبًا و تمرًا و البردى أعلى قيمة من البرنى لقلة وديه لعل جميع ما فى المدينة لا يصل إلى خمسين نخلة و هو أصفر الزهر أحمر إلى الكدرة مكبكب مسلوب من أسفله يحمل إلى الروم و غيرها فى الرباب و المراطبين، يقاربه الشقرى و الجعفرى و الطيرجلى، و الغريس متقاربة فى الشكل و السكر و البيض و العذق كذلك و البربر، و الجادى متقاربان و الحلى، أحمر البسر زتونى لون الرطب و قال بعضهم أحسن أنواع الرطب و أطيبه الحلو ثم الطبرجلى، ثم الغريس ثم السكر ثم البرنى ثم الحلى- و أنشد عليه-

فى العوالى من أرض طيبة حقّارطب فاق من سواد فذرنى

هو حلو و سكر و غريسو حلى طبرجلى و برنى

و أشرف أنواع التمر البرنى و السلبى و البردى و الخضرى و الجعفرى و الجادى و اللبانة و هى القسب و قال:

خير ثمر فى أرض طيبة يبدرمن نخيل أسنى المحاسن تبدى

شلبى و جعفرى و قسبثم جادى من بعد برنى و بردى

قال فى المحيط و من النبات الذى يشبه النخل المقل و هو الدوم و هو نخل برى علا عليه اليبس و العنصر الشديد فقصر سعفه و صار الغالب على ثمرته الخشبية و على نواه الحجرية و شجر النارجيل و هو الجوز الهندى و زعم أهل الحجاز أن شجرة النارجيل هى شجرة المقل لكنها أثمرت نارجيلا لطباع النوبة و أجوده الطرى الأبيض و هو حار

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۸۳

يابس يغذى غذاء كثيرا و يزيد فى الباه و ينفع من تقطير البول و دهنه جيد للبواسير و لبنه لذيذ كثير الحلاوة و يجعل من قشره حبال للسفن فلا يعفن.

قال كشاحم:

و ذات قشر أسود حشوهاكافورة مرموقة المنظر

قد نشرت فى رأسها وفرةتسترها عن ناظر المبصر

كأنها جمجمة ألبستدوائيا من خالص العنبر

و شجرة الفوقل فإنها تشبه النخل و شجرة الكادى مثلها.

فائدة الكادى بالدال المهملة على ما يستفاد من كلام السيوطى قال فى كتابه بغية الوعاة فى ترجمة البدر الدمامينى و له ملغزا فى كاوى!

و ما شيء له نشر ذكىلعاطره إلى الطيب انتساب

تروح له على رجليك تمشىو تقلبه يداك فما الجواب

أنشدتها قال:

و قد نظمت جوانبها يديهابثغر الاسكندرية فى رحلتى إليها فقلت

و قد سمعت بهذا اللغز أدنىلم يأت من تفضله الجواب

فذا طيب إذا صحفت منهأخيديه له فى الخبث باب

و المراد منه أخيديه الدال المهملة، تصحف بالمعجمة و الياء المثناة من تحت تصحف بالباء الموحدة فيكون منه كاذب و لا شك أن

له فى الخبث باب (ب) كما قيل:

لى حيلة فيمن ينمو ليس فى الكذاب حيله

من كان يخلق ما يقول فحيلتى فيه قليله

و فى القاموس كذا كناية عن الشىء، الكاف حرف التشبيه و ذا للإشارة و الكاذى دهن، و نبت طيب الرائحة و فى التذكرة كادى كالنخل فى ذاته و صفاته لكن لا يطول يحسن بالميزان و هو حار يابس فى الثانية إذا وضع طلعه قيل أن يشق فى دهن سر النفس و قوى الحواس و فرح و شد البدن و منع الاعياء و الخفقان و شربه يقطع الجذام انتهى، و هو يوجد بالمدينة إلا أن سلطنته بأم القرى.

و عنه فى الصحاح و فلان صديقى و إنما يصغر على جهة المدح كقول حباب بن

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۸۴

المنذر أنا جديلها المحكك و عذيقها المرجب انتهى عذيق تصغير عذق و هى النخلة الكريمة على أهلها و بئر عذق حديقة بجزع قبالا لشدقم و فيها بئر عليها قبة محكمة جددت عمارتها سنة ست و أربعين و ألف و هى من آبار العين الواصلة إلى المدينة المنورة و الرجبه البناء حول النخلة تحفظها إذا مالت أو المسوكة لحفظ ثمرتها و الجذل واحد الأجذال و هى أصول الحطب العظام و الجدل المحكك الذى ينصب فى العطن لتحتك به الإبل الجربى كذا فى الصحاح و اللّه تعالى أعلم بالصواب .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۸۵

باب فى ذكر أحد و مساجده و مشهده الشريف و معاهده

مواطن أفراحى و مربى ما أربىو أطورّا و طارى و ما من خيفتى

و ثم وراء القول سر كتمتهفلو قيل صرح قلت يا نفس اصمت

روى من حديث أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه عن النبى صلى اللّه عليه و سلم أنه قال أحد جبل يحبنا و نحبه فإذا جئتموه فكلوا من شجرة و لو من عضاهة يعنى مرة .

قال ابن الهمام: و مزور جبل أحد نفسه لقوله عليه الصلاة و السلام أحد جبل يحبنا و نحبه و يروى أحد على ترعة من ترع الجنة و يروى أحد على ركن من أركان الجنة، و عير على ركن من أركان النار و عن أنس مرفوعا لما تجلى اللّه تعالى للجبل تشظى و طارت منه لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة و ثلاثة بمكة وقع بمكة حراء و تيسير و نور و وقع بالمدينة و ورقان و رضوى.

و فى الدرة اليتيمة: مكان رضوى و عير. و عن بعضهم: إنى لا أستبعد أن يكون بالمدينة جبل من جبال النار بعد أن بدأها اللّه من الشرك و عير فى مقابلة أحد و بينهما المدينة عند شعب على كرم اللّه وجهه و سمى أحدّا لتوحده و انقطاعه عن غيره من الجبال و لما وقع لأهله من نصرة التوحيد و لا مانع من وضع الحب فيه كما وقع التسبيح من الجبال و قد خاطبه النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه مخاطبة من يعقل و قال له لما

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۸۶

اضطرب اسكن أحد و بقمته سقيفة و عندها صهريج يصعد إليه بعض الزوار بجهد جهيد.

و أنشد أبو عبد اللّه الفيومى لنفسه فى ذلك:

هام بأشجانه إلى أحدحتى إذا ما رأى به عجزه

صار إذا قيل هل تعود لهيقول و بينى و بينه حمزه

و عنه عليه الصلاة و السلام أنه صعد أحدا فأقبل على المدينة و قال ويل أمها قرية تدعها أهلها كأينع ما تكون و فى أحد غار زعموا أن النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه اختفى فيه و عن جابر مرفوعا أقبل موسى و هارون عليهما الصلاة و السلام حاجين فمرا بالمدينة

فخافا من يهود و كان بها فخرجا مستخفيين فنزلا أحدا فغشى هارون الموت فقام موسى فحفر له ولحد ثم قال يا أخى إنك تموت فقام هارون فدخل فى لحده فقبض عليه فحثا عليه موسى بالتراب و يعرف قبره بشعب هارون .

و ما المرء إلا راكب ظهر عمرهعلى سفر يغنيه باليوم و الشهر

يبيت و يمسى كل يوم و ليلةبعيدا عن الدنيا قريبا من القبر

و الشهداء بأحد سبعون رجلا و كان عليه الصلاة و السلام يقول إذا زارهم سلام عليك بما صبرتم فنعمى عقبى الدار و أما الوقوف على أحوالهم و سماع كلامهم و هو بحسب الاستعداد و كثير من سمع رد سلامهم و أما المشهد الشريف فيروى أن أم الخليفة الناصر لدين اللّه أبى العباس أحمد بن المستضىء هى التى بنته فى سنة سبعين و خمسمائة و جعلت عليه قبة متقنة و بابه كله مصفح بالحديد و القبر مجصص و عليه تابوت عليه ثوب من الحرير من خليع كسوة الضريح النبوى ثم زاد فيه الأشرف قايتباى زيادة أدخل فيها البئر من الجانب الغربى و ذلك فى سنة ثلاث و تسعين و ثمانمائة و احتفر خارج البناء بئرا بدرج تصل إلى الماء و ذلك على يد شيخ الخدام بالحرم

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۸۷

النبوى شاهين الشجاعى و قد أشرفت على الدمار لهجرها و كانت فاطمة الزهراء رضى اللّه تعالى عنها تزور قبر حمزة رضى اللّه عنه و ترمه و تصلحه و قد علّمته بحجر. و ليحيى:

أنها كانت تختلف بين اليومين و الثلاثة إلى قبور الشهداء بأحد فتصلى هناك و تدعوا و تبكى حتى ماتت.

مسألة: قال فى الجوهر المنظم: زيارة مشهد السيد حمزة عم الرسول فى يوم الخميس لأن الموتى يزيد عليهم بزوارهم يوم الجمعة و يوما قبله و يوما بعده و لما كان يوم السبت لزيارة مسجد قباء و يوم الجمعة يوم التبكير تعين لزيارة المشهد يوم الخميس و ينبغى أن يسلم على على ابن أخيه عبد اللّه بن جحش و مصعب بن عمير لأنهما عل قول هنالك.

فائدة: قال الزركشى: ينبغى أن يتثنى من منع نقل تراب الحرم تربة السيد حمزة المأخوذ من السيل الذى به مصرعه لاطباق السلف و الخلف على نقله للتداوى من الصداع كذا فى الجوهر المنظم و هذا مبنى على أن المدينة حرم كما هو مذهبه و حمزة رضى اللّه عنه أحد أعمام سيد المرسلين و اخوه من الرضاعة و أسن منه بسنتين قيل و أفضلهم لحديث سيد الشهداء يوم القيامة حمزة و فى رواية سيد الشهداء عند اللّه يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب و الحديث «خير أعمامى حمزة» و عن السدى فى قوله تعالى أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ [القصص: ۶۱] انها نزلت فى حمزة و جاء أن حمزة مكتوب فى أهل السماوات السبع أسد اللّه و أسد رسوله و قد اختلف فى عدة أعمام النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه فقيل عشرة و قيل تسعة عشر و أما عماته فست و يكنى حمزة بأبى يعلى و بأبى عمارة و هما أبناءه و أولاده خمس و لم يعقب إلا من يعلى فإنه ولد له خمسة رجال لكنهم لم يعقبوا و انقطع نسل حمزة و كانت وفاته سنة ثلاث أو أربع و له سبع و خمسون و لما شهد النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه حمزة اشتد وجده عليه و قال لئن ظفرت لأمثلن بسبعين منهم فأنزل اللّه تعالى وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ [النمل: ۱۲۶] فقال صلى اللّه تعالى و سلم عليه بل نصبر و كفر عن يمينه و عنه عليه الصلاة و السلام

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۸۸

لو لا أن تجد صفية لتركته حتى يحشر من بطون الطير و السباع و صفية شقيقته و هى أم الزبير بن العوام، و لما عاد إلى المدينة سمع النوح على قتلى الأنصار قال لكن حمزة لا بواكى له فسمع الأنصار فأمروا نساءهم أن يندبن حمزة قبل قتلاهم ففعلن ذلك قال الواقدى فلم يزلن يبدأن بالندب لحمزة حتى الآن.

و قال كعب بن مالك يرثيه:

بكت عينى و حق لها بكاهاو ما يغنى البكاء و لا العويل

على أسد الإله غداة قالوالحمزة ذاكم الرجل القتيل

أصيب المسلمون به جميعاهناك و قد أصيب به الرسول

أبا يعلى لك الأركان هدتو أنت الماجد البر الوصول

عليك سلام ربك فى جنانيخالطها نعيم لا يزول

و أما المساجد الذى هنالك فمنها مسجد الفسيح و هو لاصق بأحد على يمين الذاهبى فى الشعب للمهراس نزلت فيه آية يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجالِسِ فَافْسَحُوا و مسجد جبل الرماة ، طعن فيه حمزة رضى اللّه عنه و هو فى شرقى الجبل و مسجد الوادى على شفير الجبل قريب من الذى قبله و يسمى المصرع لأن حمزة رضى اللّه عنه صرع به و صلى به صلى اللّه تعالى و سلم عليه الصبح أو على حمزة رضى اللّه تعالى عنه و مسجد السافلة فى شرقى الطريق إلى مسجد السيد حمزة بين النخيل طوله ثمانية أذرع و يقال انه مسجد أبى ذر الغفارى صلى فيه النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه و يعرف هذا الوادى بالشظاه بفتح الشين المعجمة و فى الوفا الشظاه اسم لوادى قباء أو لما يلى السد من الوادى و سيل وادى قناة يأتى من وج الطائف و مصبه بحر القلزم من ناحية اكرا و بالجملة فإن هذا الوادى من أطيب الأودية و أعذبها و فيه يحصل لمن حله كمال المسرة و صفاء الخاطر وسيلة من أعظم السيول و أصفاها و إذا انقطع بقيت منه غدران من أحسنه الغدير الكبير و هو شمالى المصرع ربما أقام فيه الماء الغزير نحو الشهرين صافيا مفرحا و إذا صادف أيام الزيارة كان السرور أتم و الانتفاع أعم و ما أحسن ما قال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۸۹ لله يوم فى الشظا قضيتهخلف الزمان بمثله لا يغلط

الطير يقرأ و الغدير صحيفةو الريح تكتب و السحاب ينقط

و قال آخر:

غدير كالحسام له صقالو لكن فيه للرائى مسرة

رأيت به البدور تجيد عوماكأنهم الكواكب فى المجرة

و قال آخر:

يا حبذا زمن الشطآء وحيدابغضائه عيش لنا ملذوذ

و لسيد الشهداء حمزة مشهدحكم السرور به له تنفيذ

و من محاسن هذا الوادى، الصهريج الذى ابتناه الوزير سنان باشا و مساحته ثمانية عشر ذراعا، فى عشرين بذراع الكرباس و هو يمتلىء من السيل إذا كان قويا و إلا فمن شرائع الجبل فيحصل به مدد كبير للزوار و البادية و على ظهر الصهريج سقف من عقود و طواحن بحيث يحصل به كمال المنفعة للزائرين و الواردين.

لله آثار بطيبة إن بدتلاح السرور وفاح نشر عاطر

ما زرتها إلا و زالت كربتىو هما على جذبى سحاب ماطر

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۹۰

باب من ذكر الصدقة و السوافل و آبار العريض الكثير النوافل

منازل طيبة فيها لقلبىمنارة لم تزل فيها الأوانس

فمن لى أن أكون بها مقيماعيوبى تجتلى فيها العرائس

الصدقة حدائق، و نخيل خارج المدينة فى الجهة الشمالية منها أملاك و منها أوقاف و هو جزع متسع الأرجاء و الرحاب.

جزع فسيح الرحاب منتزهيروق بالأنس و البها الحدقة

لا تنكروا رغبتى إليه فقدأمسيت أهوى محاسن الصدقة

و الجزع الذى يتصل بمسجد الإجابة يقال له ملحة .

و عليه أنشد لنفسه السراج عمر الأشهر الأنصارى:

يا محنة إلا و فى طيهالكل عبد مؤمن منحة

الحمد لله و شكرا لهالمنبت السكر فى ملحه

و الجزع الذى يلى الصدقة من جانب الشمال و المغرب بين قناة و الجرف يقال يثرب بالثاء المثلثة و كسر الراء و اطلاقه على المدينة المنورة من قبيل إطلاق الجزء على الكل.

و قال آخر:

و هذا رسول الله فارق مكةعلى حفوة لم ترضها فيه يثرب

و ليس هذا المذكور فى قوله:

و عدت و كان الخلف منك سجيةمواعيد عرقوب أخاه بيثرب

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۹۱

لأن المجد قال اجمعوا فيه على تثنية التاء و فتح الراء و هى مدينة بحضرموت و قيل قرية باليمامة و قيل غير ذلك و أنشدوا:

يا ابن الكرام اعد فى الدهر فكر فتىله بشطر به تحويل و تقليب

لا تعتبن على عرقوب واحدةو كل من فوقها فى الوعد عرقوب

و حكى ابن حجر فى الجوهر حديث أريت دار هجرتكم بسبخة بين ظهرانى حرتين اما أن تكون هجرا و يثرب و فى الصحيحين انه عليه الصلاة و السلام قال هى يثرب .

قال أبو عبيدة: يثرب اسم أرض، و مدينة النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه فى ناحية منها. و قال ابن زبالة: كانت يثرب أم قرى المدينة و هى ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف و بين المال الذى يقال له البرنى إلى زبالة.

فائدة: قيل: إن تبعا لما قدم المدينة بعث رائده ينظر إلى مراعى المدينة فأتاه فقال: أما قناة فحب و لا تبن و أما الجرار فلا حب و لا تبن و أما الجرف فالحب و التبن و المختار اليوم للزرع عند أهل المدينة أرض العريض.

قصة: قيل: إن العماليق سكنت مكة و المدينة و كانت الحجاز أشجر بلاد اللّه و أطهر ماء ثم إنها عثت فبعث [اللّه] موسى عليه السلام إليهم [بعث موسى] جندا من بنى إسرائيل فقتلوهم بالحجاز و يروى ان ضبعا رؤيت مع أولادها رابضة فى عجاج عين رجل من العماليق و فى تاريخ المقريزى يحكى أن سبعة عشر رجلا استظلت فى قحف رجل من بنى إسرائيل و كان يمضى فى ذلك الزمان أربعمائة سنة و لم يسمع بجنازة كذا فى الدرة اليتيمة و أما مسجد الإجابة فهو لبنى معاوية فى شمالى البقيع على يسار السالك إلى العريض وسط تلول و فى مسلم انه صلى اللّه تعالى و سلم عليه ركع فيه ركعتين و صلينا معه فدعى ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين و منعنى واحدة سألته أن لا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها و سألته أن لا يهلك أمتى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۹۲

بالغرق فأعطانيها و سألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها انتهى و قد علمت أنهم مخاطبون فى حال هبوطهم بقوله تعالى اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ [البقرة: ۳۶] [و فى بعض الأخبار لا سلامة من الناس و لا غنى عنهم و لا شفاعة من الموت] و أما العريض بضم أوله و كسر ثانيه مصغر العرض بالكسر فهى قرية على أربعة أميال من المدينة كذا فى العقد النبوى و هى فى الجهة الشرقية و تشتمل على آبار و مزارع شتى [و كان بها نخل و لم يبق اليوم منه شىء] من أحسنها البحيرة الكبرى و بحيرة ابن سعد و ذات الحصن و فى شرقيه بئر مطوية قطرها ذراعان و الهندية و هى معدود لزرع الحنطة و الشعير فإذا كانت أيام الخريف فهى الزمردة الخضراء لاتصال

مزارعها و حولها آبار قديمة لم يبق منها إلا الرسوم و مزارع صارت منابت الحمص لهجرها و لكمال الضعف فى أهلها و هناك أطام قديمة زعم بعضهم انها تشتمل على كنوز و مطالب و ما أغرب ما يحكى فى هذا الباب أن رجل من القبط جاء إلى عبد العزيز بن مروان عامل مصر فقال إن فى مكان كذا كنزًا و مصداق ذلك أن توجد بلاطة من مرمر خلفها باب من نحاس خلفه عمود من ذهب فوقه ديك من ذهب له عينان من الياقوت الأحمر و جناحان من المرجان و الزمرد فلما سمع ذلك منه عبد العزيز بعث معه ألف رجل فلما حفروا و ظهر لهم الديك ظهرت قناطر معقودة و لاحت منها تماثيل و أشخاص من ذهب فأخبر بذلك فحضر و نزل بعض الرجال فلما وضع قدمه داخل الباب نزل عليه سيفان تركاه قطعًا و صفر ذلك الديك فسمعت أصوات بحفرة مزعجة فهلك بالرجفة ممن حضر ثلاثة آلاف فطموهم بالرمال فى تلك الحفرة فكانت قبرًا لهم و رجع من بقى مقطوع الرجاء و قال لسان الحال:

هى الدنيا تقول بملء فيهاحذار حذار من بطشى و فتكى

و لا يغركم منى ابتسامفقولى مضحك و الفعل مبكى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۹۳

باب فى ذكر بقيع الفرقد و معاهده، و مزاراته و مشاهده

تعجبت من أمر البقيع و قد غداعلى وحشة الموتى له مهجتى تصبو

فألفيته مأوى الأحبة كلهمو مستوطن الأحباب يصبو له القلب

بقيع الفرقد بالغين المعجمة كبار العوسج كان نابتًا به فقطع و اتخذ مقبرة و من كلام عمر بن النعمان يرثى من قتل من قومه الذين اغلقوا عليهم حديقة و اقتتلوا حتى لم يبق منهم أحد.

خلت الديار فسدت غير مسود و من العناء تفردى بالسؤدد

أين الذين عهدتهم فى غبطةبين العقيق إلى بقيعه الفرقد

قوم هم سفكوا دماء سراتهمبعض لبعض فعل من لم يرشد

فائدة: اشتهر على ألسنة كثيرين فتح سين السؤدد و ليس إلا الضم مع فتح الدال أو ضمها مع الهمز و عدمه و البقيع بالياء الموحدة كل موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى روى عنه عليه الصلاة و السلام أنه قال من دفن فى مقبرتنا هذه شفعنا له أو شهدنا له و قال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها و قال من مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة و عنه عليه الصلاة و السلام، اللهم لا تحرمنا أجرهم و لا تفتنا بعدهم و عن الحسن أتى النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۹۴

على بقيع الفرقد فقال السلام عليكم يا أهل القبور ثلاثًا لو تعلمون ما الذى نجاكم اللّه منه مما هو كائن بعدكم ثم التفت فقال هؤلاء خير منكم قالوا يا رسول اللّه إنما هم اخواننا آمنا كما آمنوا و أنفقنا كما أنفقوا و جاهدنا كما جاهدوا و أتوا على أجلهم و نحن ننتظر فقال إن هؤلاء قد مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئا و قد أكلتم من أجوركم و لا أدرى كيف تصنعون بعدى و عنه عليه الصلاة و السلام أنه خرج إلى المقبرة فقال وددت أنى قد رأيت اخواننا قالوا يا رسول اللّه ألسنا إخوانك قال أنتم أصحابى و إخواننا الذين لم يأتوا بعد و انا فرطهم على الحوض قالوا يا رسول اللّه كيف تعرف من يأتى بعدك من أمتك قال أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة من خيل دهم، بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى قال إنهم يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من الوضوء و انا فرطهم على الحوض رجال عن حوض كما يزاد و البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا فأقول فسحقًا فسحقًا .

و عنه عليه الصلاة و السلام «يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب كان وجوههم القمر ليلة البدر فقام رجل فقال يا رسول اللّه و أنا منهم فقال و أنت

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۹۵

منهم فقام آخر فقال يا رسول اللّه و أنا منهم فقال سبقك بها عكاشة .

قيل و كأنه كان منافقّا فلم يقل و أنت و فيه أدب كبير.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۹۶ إذا أمسيت فى قاع البقيع‌مجاور رحمة البارى السميع

فهنونى بما لقيت إنى‌أرانى فى حمى حرز منيع

و قال آخر:

إذا أمسى فراشى من ترابى‌و صرت مجاور الرب الرحيم

فهنونى أحبابى و قولوالك البشرى قدمت على الكريم

أنشد لنفسه الشيخ جمال الدين العصامى:

يا أهل دار المصلى و البقيع سقت‌ربوعكم سحب منهله الديم

لو أن روحى فى كفى لزرتكم‌سعيّا على الرأس لا سعيّا على القدم

فائدة: قال الملا على القارى فى شرح لباب المناسك المعلى بفتح الميم و اللام ضد المسفلة و اشتهر بين العامة بضم الميم و تشديد اللام المفتوحة و له وجه فى القواعد العربية و هى أفضل مقابر المسلمين بعد البقيع بالمدينة انتهى و عن أبى مويهبة مولى رسول اللّه صلى اللّه تعالى و سلم عليه قال بعثنى رسول اللّه صلى اللّه تعالى و سلم عليه من جوف الليل فقال إنى أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معى فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة أشر من الأولى ثم أقبل على فقال يا أبا مويهبة إنى قد أوتيت خزائن الدنيا و الخلد فيها ثم الجنة و الخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك و بين لقاء ربى و الجنة فقلت بأبى أنت و أمى خذ مفاتيح خزائن الدنيا فقال لا و اللّه لقد اخترت لقاء ربى و الجنة ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف فبدا به وجعه الذى قبض فيه موعظة فى كتاب مباهج التوسل كان عسكر سليمان عليه الصلاة و السلام مائة فرسخ خمسة و عشرون للأنس و مثلها للجن و مثلها للطير و مثلها للوحش و كان حرسه ستمائة ألف و كان ينام بين الفقراء فى خلقان مرقعة و لقد قال رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ففعل له ذلك ثم اضمحل حتى كأن لم يكن قال بعضهم:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۹۷ إذا لم تملك الدنيا جميعّاكما تختار فاتركها جميعّا

مر داود عليه السلام بمفازة، فرأى فيها حجرّا على رأس قبر، مكتوب فيه عشت ألف سنة و فتحت ألف مدينة و هزمت ألف جيش و أفضضت ألف بكر ثم صرت إلى ما ترى من سكان الثرى:

فإن كنت لا تدرى متى الموت فاعلمن‌بأنك لا تبقى إلى آخر الدهر

و قال آخر:

الموت بحر يهاب المرء موردهو كل يوم له من كأسه جرع

لا صحة المرء فى الدنيا تؤخرهو لا يقدم يومّا موته الوجع

و كل يوم علينا فى فجائعهطير تحوم فلا ندرى بمن تقع

و قال:

إن الحبيب من الأحباب مختلسلا يمنع الموت بواب و لا حرس

فكيف تفرح بالدنيا و لذتهايا من يعد عليه النوم و النفس

لا يرحم الموت ذا جاه لعزتهو لا الذى كان العلم منه يقتبس

و قال:

المرء يطلب و المنية تطلبهو يد الزمان تديره و تقلبه

أى امرىء إلا عليه من البلىفى كل ناحية رقيب يرقبه

من لم يزل متعجبّا من حادثتأتى به الأيام طال تعجبه

و قال آخر:

أمل يقربه الرجاء إلى المنىكم تسخر الآجال بالآمال

كذبتهم الأطماع حتى أنهمأيسوا بها إذا واعدت بمحال

أنشد لنفسه ابن المعتز:

خليلى ولى العمر منا و لم نتبو ننوى فعال الصالحين و لكنا

فحتى متى نبنى قصورًا مشيدةو أعمارنا منا تهد و ما بنا

نكتة: مررت فى رحلتى ببعض قرى الروم، فرأيت قبرا عليه بنيان قد أظهرت فيه الحكمة زخارف صنعة البنا و على رأسه مكتوب.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۹۸ و ما ينفع الإنسان بنيان قبرهإذا كان فيه جسمه يتهدم

يمسى و يصبح و الأشواق تغرهو لا طمع فى الدنيا و ليس منهدم

موعظة: نظر سليمان بن عبد الملك إلى وجهه فى المرآة فقال أنا الملك الشاب فقالت له إحدى جواريه:

ليس فيما بدا لنا منك عيبقد علمناه غير أنك فإنى

أنت نعم المتاع لو كنت تبقىغير أن لا بقاء للإنسان

و قال ابن غانم:

أنوح على ذهاب العمر منىو حقى أن أنوح و أن أنادى

و اندب كلما عاينت ركبّاحدا بهم لو شك البين حادى

يعنفنى العذول إذا رآنىو قد ألبست أثواب الحداد

فقلت له اتعظ بلسان حالىفإنى قد نصحتك باجتهاد

و ما من شاهد فى الكون إلاعليه من شهود الغيب بادى

فكم من رائح فيه و غاديناد من دنو أو بعاد

لقد أسمعت لو ناديت حيّاو لكن لا حياة لمن تنادى

و قال غيره:

إذا اشتد شوقى جئت قبرك زائرّاأنوح و أبكى لأراك مجاوبى

فيا ساكن الغبراء علمتنى البكاو بعدك انسانى جميع مصابى

لطيفة: قال الشيخ محيى الدين بن عربى فى كتابه المسامرة: لكل مقال مجال أخبرنى أحمد بن مسعود بن شداد المقرى بالموصل قال كان لى صاحب يقال له على الذهاب و كان يمر بى كل ليلة بعد مضى هذيع من الليل و أنا بهذه المنظرة على شاطىء دجلة، فنادى يا زكى و أقول لبيك.

فيقول و ما أحسن ما قال:

بالله يا ركب الحجاز تحملوامنى تحية مغرم و مشتاق

وقفوا على شط الفرات و خبرواإنى قتيل محاجر الأحداق

فلم يلبث أن مات، فرأيته فى منامى فقلت يا على ما أحسن ما كنت تأتينى به فى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۱۹۹

حياتك كل ليلة و تنشدنى و أنشدته البيتين فتبسم و قال يا زكى كيف لو سمعتنى أنشدهما اليوم، فقلت له كيف فأنشد:

بالله يا ركب الحجاز تحملوامنى تحية مغرم مشتاق

وقفوا على شط الفرات و خبرواإنى رهين جنادل و طباق

قد كان فى موت الذين أحبهمذكرى اللبيب و عبرة العشاق

و ما أحسن ما قال:

فاخلع محبة من يموت و خذ بنايا قلب فى عشق الجمال الباقى

و قال غيره:

تنزهت عن دار تؤل إلى الفناو ملت إلى دار بها جنة المأوى

و قلت لتلك الدار لما تركتهاسلام على الفانى فلست له أهوى

مسألة: يسن للزائر أن يزور البقيع فى كل يوم متطهرّا تأسيّا صلى اللّه تعالى و سلم عليه و يقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون و إنا بكم إن شاء اللّه لا حقون اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد، اللهم اغفر لنا و لهم أنشد لنفسه الشيخ أبو عبد اللّه القيومى مقتبسّا على لسان الموتى:

تأمل ما الذى كنا عليهبأيام الحياة و ما بقينا

و قل لما تمر بنا سلامعليكم دار قوم مؤمنينا

و المعروف المشهور بالبقيع من القبور، قبر العباس بن عبد المطلب، عم النبى صلى اللّه عليه و سلم و عليه ملبن ساج.

(و سكان دار لا تزاور بينهمعلى قرب بعض فى التجاور من بعض

كأن خواتيما من الطين فوقهمفليس لها حتى القيامة من فض

نساق بنو الدنيا إلى الحتف عنوةو لا يشعر الباقى بحالة من يمض

و قال آخر:

و ما الدهر إلا ساعة ثم تنقضىبما كان فيها من نعيم و من خفض

فهون و لا تحفل بحال مساءةو لا مزحة تأتى فكلتاهما تمض

و قال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۰۰ ما الدهر إلا ليلة و يومو يقظة بينهما و نوم

يموت قوم و يعيش قومو الدهر قاض ما عليه لوم)

نكتة: قال الحسن البصرى: يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة فإذا ذهب يوم منها ذهب بعضك و قال آخر: ما انقضت ساعة من أمسك إلا ببضعة من نفسك. أنشد لنفسه الوزير بن مقلة:

إذا مات بعضك فابك بعضافإن البعض من بعض قريب

أنشد لنفسه ابن الشبل البغدادى:

صحة المرء للسقام طريقو طريق الفناء هذا البقاء

بالذى نغتذى نموت و نحىأقتل الداء للنفوس الدواء

ما لقينا من غدر دنيا فلا كانت و لا كان أخذها و العطاء

صلف تحت راعد و سراب كرعت منه مومس خرقاء

راجع جودها عليها فمهمايهب الصبح يسترد المساء

ليت شعرى حلم تمر به الأيام أم ليس تعقل الأشياء

من مفاسد يكون فى عالم الكسوف فما للنفوس منه اتقاء

و قليلا ما تصحب المهجة الجسم ففيم الشقاء و فيم الفناء

قبح الله لذة لشقاءنالها الأمهات و الآباء

نحن لو لا الوجود لم نألم الفقد فإيبادنا علينا بلاء

و قال آخر:

تسير إلى الآجال فى كل ساعةو أيامنا تطوى و هن مراحل

و لم أر مثل الموت حقّا كأنهإذا ما تخطته الأمانى باطل

و قال عمارة:

و ما هذه الأيام إلا صحائفنؤرخ فيها ثم تمحى و نمحق

و أعجب شىء من ذا أن دائرة المنى توسعها الآمال و العمر ضيق

و قال آخر:

(و ما هذه الأيام إلا مراملأن بها داء المنية قاصد

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۰۱ و أعجب شىء إن تأملت أنهامنازل تطوى و المسافر قاعد)

و قال:

نصير ترابًا كأن لم نكنوعاة العلوم رعاة الأمم

فتبا لعيش قصير الدوامو وجدان حظ قرين القدم

و قال آخر:

سل الأيام ما فعلت بكسرىو قيصر و القصور و ساكنيها

أما استدعتهم للبين طراو لم تدع الحليم و لا السفيها

و قال:

سل الأيام على أمم تقضتستخبرك المعالم و الرسوم

و لا تطلب بدار الذل عزافدارك ليس فيها ما تروم

وجد مكتوبًا على لوح قبر:

صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوامستبدلين من الأوطان أوطانا

تركوا منازل كان العز مفرشهاو استفرشوا حفرًا غبرًا و قيعانًا

نكتة: قال الحكيم بطليموس: لا يهولنكم أمر الموت فإن مرارته فى خوفه.

آخذه المتنبى فقال:

الأسى قبل فرقة الموت عجزو الأسى لا يكون بعد الفراق

و قال بعضهم:

لا تنكر فضيلة الموتفإنها وسيلة إلى فراقك

ما تكره و إن كان سببًا لفراقك ما تحب من القواعد الفقهية دفع المضار مقدم على جلب المصالح على أنه لا طريق إلى الجادة و لا مدح إلا على الإجادة:

جزى الله عنا الموت خيرًا فإنهأبر بنا من كل بر و أرأف

يعجل تخليص النفوس من الردىو يدنى إلى الدار التى هى أشرف

و قال آخر:

قد قلت إذ مدحوا الحياة و بالغوافى الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقائه بلقائهو فراق كل معاشر لا ينصف

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۰۲

قال فى كتاب تنبيه الغافلين «من أكثر ذكر الموت أكرم بتعجيل التوبة و القناعة بالقوت و النشاط إلى العبادة و من نسى الموت عوقب بتسويف التوبة و ترك الرضا بالكفاف و التكاسل فى العبادة.

تنبيه: قال حاتم الأصم: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة الشباب لا يعرف قدره إلا الشيوخ و العافية لا يعرف قدرها إلا أهل البلاء و الصحة لا يعرف قدرها إلا المرض و الحياة لا يعرف قدرها إلا الموتى. و قال شقيق بن إبراهيم: وافقنى الناس فى أربعة قولا و خالفونى فيها فعلا قالوا إن اللّه تعالى كفيل بأرزاقنا و لا تطمئن قلوبهم إلا مع شىء من الدنيا و قالوا نحن عبيد اللّه و يعملون عمل الأحرار و قالوا الآخرة خير من الأولى و هم يجمعون للدنيا و قالوا لا بد من الموت و هم يعملون أعمال قوم لا يموتون و عنه عليه الصلاة و السلام «القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر و إن لم ينج منه فما بعده أشد و أعسر» . و قال سعيد بن المسيب: ليس شىء قبل الموت إلا و الموت أشد منه و ليس شىء بعد الموت إلا و الموت أهون منه و قال آخر من أراد أن يعلم حال الدنيا بعده فلينظر إليها بعد غيره.

من فاته من عقله وعظهيهات أن ينفعه اللفظ

ما تنفع العين إذا لم يكنلقلب من يرنو بها لحظ

و ما أصدق ما قال:

لو لم يكن موت لكانت هموم‌الدهر تنفى رغبة الراغب

قد أنذر الوعظ و أسماعناعن كل ما يذكر فى جانب

قال الأرجالى:

أسف على ماضى الزمان و حسرةو فى الحال منه وحشة فى المقل

ما أن وصلت إلى زمان آخرإلا بكيت على الزمان الأول

و قال غيره:

طول حياة ما بها طائلعدمت فيها كل ما يشتها

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۰۳ أصبحت مثل الطفل فى ضعفه‌تشابه المبدأ و المنتها

و لم ألم سمعى إذا خاننىإن الثمانين و بلغتها

و قال آخر:

حملت العصا لا الضعف أوجب حملهاعلى و لا أنجيت منه الكبر

و لكننى ألزمت نفسى حملهالأعلمها إنى المقيم على السفر الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية ؛ ص۲۰۳

قال:

قد عصيت الهوى طفلا صغيرًا فعندماآتانى زمانى بالمشيب و بالكبر

أطعت الهوى عكس القضيهٔ ليتنى خلقت كبيرًا ثم عدت إلى الصغر

و قال بن المعتز:

ترحل من الدنيا بزاد من التقىفعمرك أيام تعد قلآئل

و ما أقبح التفريط فى زمن الصبافكيف به و الشيب فى الرأس نازل

و قال غيره:

كم ذا يرينا الدهر من أحداثهعبرًا و فينا الصد و الأعراض

ننسى الممات و ليس نجرى ذكرهفينا فتذكرنا به الأمراض

و قال ابن أخيه على بن الحسين زين العابدين، و أبو جعفر محمد بن على الباقر و ابنه جعفر الصادق و فى الجوهر المنظم لابن حجر مشهد الحسن بجنب أمه فاطمهٔ رضى اللّه تعالى عنها على الأرجح و قيل دفنت فى بيتها خلف الحجرهٔ داخل مقصورتها و ذكر ابن سعد أن يزيد بعث برأس الحسين رضى اللّه تعالى عنه إلى عامله بالمدينهٔ فكفنه و دفنه عند قبر أمه فاطمهٔ رضى اللّه عنهما و عن عبد اللّه بن على بن الحسين بن على أنه قال ادفنونى إلى جنب أمى فاطمهٔ بالمقبرهٔ فدفن إلى جنبها.

و قال المسعودى فى مروج الذهب: إن أبا عبد اللّه جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى اللّه تعالى عنهم توفى سنهٔ ثمان و أربعين و مائهٔ و دفن بالبقيع مع أبيه وجده.

قال: و على قبورهم فى هذا الموضع [من البقيع] رخامهٔ مكتوب عليها بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه مبيد الأمم و محيى الرمم، هذا قبر فاطمهٔ بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم

الجواهر الثمينهٔ فى محاسن المدنيهٔ، ص: ۲۰۴

سيدهٔ نساء العالمين، و قبر الحسن بن على، و على بن الحسين بن على و محمد بن على و جعفر بن محمد عليهم السلام، حكاه السيد على فى تاريخ الوفاء و على هذه القبور قبهٔ عاليهٔ قديمهٔ البناء فى أول البقيع على يمين الخارج إليه و عليها بابان يفتحان كل ليلهٔ جمعهٔ و صبيحتها و يروى أن الحسن رضى اللّه تعالى عنه، نقل أباه إلى هذه القبور و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

عظام بأكناف البقيع زكيهٔلهن علينا حرمهٔ و ذمام

و لآل رسول الله صلت عليهملائكهٔ بيض الوجوه كرام

و قال بعضهم:

حب آل النبى حشو حشآئىقد جرى فى مفاصلى و عيونى

أنا و الله مغرم بهواهمعللونى بذكرهم عللونى

و قال أبو فراس:

هم الغيوث إذا ما أزمهٔ أزمتو الأسد أسد السرى و الكرب مصطدم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهمفى كل بدء و مختوم به الكلم

يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهمختم كريم [و أيد بالندى] هضم

من معشر حبهم فرض و بغضهم كفر و قربهم منجى و معتصم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهمأو قيل من خير أهل الأرض

و قال آخر:

و لأى لآل المصطفى عقد مذهبىو قلبى من حب الصحابهٔ مفعم

و ما أنا ممن يستجيز بحبهمذمة أقوام عليهم تقدموا

و لكننى أعطى الفريقين حقهمو ربى بأحوال البرية أعلم

و قال الشيخ حسن البورينى:

حسن ظنى يا رب فيك رجائىفى معادى و إن تعاطيت ذنبًا

أنا لله و الرسول محبو بنيه و المرء مع من أحبا

و قال الشيخ محى الدين بن العربى:

نعم حب آل البيت عندى فريضةعلى غيظ أهل البعد يورثنى القربا

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۰۵ و ما طلب المختار منا جزاءهعلى هديه إلا المودة فى القربا

و قال غيره :

يا آل بيت النبى منى بذلتفى حبكم روحه فما غبنا

من جاء عن بيته يحدثكمقولوا له البيت و الحديث لنا

و فيه إبراهيم بن رسول اللّه صلى اللّه تعالى و سلم عليه و عليه قبة مشيدة، و قبور أزواج النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه و هى قبور ظاهرة و لا يعلم تحقيق من فيها منهن إلا قبر عائشة رضى اللّه تعالى عنها فى قول، و قبر عقيل بن أبى طالب، و معه عبد اللّه بن جعفر الطيار، و قبر صفية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه فى تربة أول البقيع و قبر مالك بن أنس أمام دار الهجرة و قبر نافع أحد القراء و قبر فاطمة بنت أسد أم على ابن أبى طالب و عليها قبة فى آخر البقيع و قال ابن حجر لا أصل له و إنما هو سعد بن معاذ و قبر عثمان بن عفان ثالث الخلفاء رضى اللّه تعالى عنهم و فى شرقى البقيع، مسجد يعرف بمسجد البغلة فيها أثر يقال انه أثر حافرى بغلة النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه قال فى الجوهر مسجد البغلة شرقى البقيع بطرف الحرة الغربية لبنى ظفر من الأوس صلى فيه النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه و جلس على حجر فيه و قل من جلست عليه إلا حبلت و فيه أثر على حجر كأنه مرفق يقال انه مرفقه الشريف [ذرعه إحدى و عشرين فى مثلها] ، قال بعضهم تستحب الصلاة فى هذه المساجد المدنية و إن لم تعرف أساميها لأن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمر بن عبد العزيز و هو واليه على المدينة مهما صح عندك من المواضع التى صلى فيها النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه فابن عليه مسجدًا فهذه الآثار كلها آثار عمر بن عبد العزيز و قد اندرست و جدد أكثرها و ملازمة الحجرة أولى و أفضل و ما لمن ظفر بالعين يتعلل بالآثار، و كيف لمن شاهد حمى الأحبة يستملى سواجع الأخبار و أما مسجد البقيع فقال فى الجوهر هو على يمين الخارج من دربه يقال انه مسجد ابن أبى كعب الذى كان يتخلف إليه النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه فيصلى فيه و يقول لو لا أن يميل الناس إليه لأكثرت الصلاة فيه و بالجملة فإن البقيع سلوة الأحزان و لهوة الولهان ما أمه المكروب إلا فرج اللّه عليه و لا المغلوب إلا توجهت كتايب النصر بالرحمة إليه خلا ما اشتمل عليه من تذكار المعاد و أفكار أهل الرشاد و تقطيع أعناق الأطماع و شمول بركته حتى لبعيد الانطباع.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۰۶ سقى الله أكتاف البقيع مع الهناسحائب إحسان و عفو و غفران

ففى سفحه قلبى مقيم لأنهأقام به أهلى و صحبى و إخوان

المقالة الثانية:

فيما يتعلق بالزمان و تشتمل من يانع أزهارها على أبواب تنفتح أنوار أكمامها من رياض الخطاب.

تلقاك هذا العام أحسن ملتقاو وقيت فيه ما تخاف و تبقى

و لا زلت تلقى فيه كل مسرةو لا زلت ترقى فيه أشرف مرتقا

مسئلة: ابتداء السنة العربية أول ليلة من المحرم فلا تزال حتى تهل فتدخل السنة الثانية و تنقض الأولى و عند المغرب سادس سفر و

شهور هـذا التاريـخ من رؤية الهلال شـرعا فلا تزيد أيام الشـهر على ثلاثين و لا تنقص عن تسـعة و عشـرين و قد تتوالى أربعة كاملة و ثلاثـة ناقصـة (و قـد تتوالى ثلاثـة أشـهر ناقصة و أربعة كاملة) و أما أشـهره و مبداها من الهجرة النبوية فشـهر ثلاثون و شـهور تسـعة و عشرون دائما أبدا و لا تتأخر الرؤية عن الحساب بأكثر من يومين البتة.

و قال الراجز:

و لا يضر اليوم و اليومان‌تزايدا أو نقصّا سيان

و لهذه الأشهر أيام منحوسة، ضبطها الصفى فى قوله:

توق سبعة أيام قد اطردت‌فى كل شهر هلالى مناحسها

فثالث الشهر مذموم و خامسه‌و ثالث العشرة الوسطى و سادسها

ثم اخشى حادى عشريه فخشيته‌حزم و رابعها نحس و خامسها

و ضابطه المشهور:

محبك يرعى هواك فهل‌تعود ليال بضد الأمل

فذو النقط يوم بدا نحسه‌و فى غير ذى النقط خير حصل

و قال الشيخ شهاب الدين أحمد البلخى:

قلت و قد قال لى صديقى‌صف نحس أيامنا و باذر

حسبك قد صار كل صب‌على الحمى مدنفّا و ساهر

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۰۷ مهملها قد حاز كل خيرو النحس فى عجمها فحاذر

و نظم بعضهم نحوس أشهر السنة فقال:

خف رابع عشرين من رمضان‌و توق فى شوال منه الثانى

و الثامن العشرين من ذى قعدة‌مما بعده لثمان

و اثنين مع عشرين خف لمحرم‌و العشر من صفر بلا تكوان

و ربيع رابعه فحاذر يومه‌و ثمان عشرين ربيع الثانى

و كذا جمادى ثم ثانى عشر مايتلوه يا من خص بالإحسان

و إذا أتى رجب فثانى عشرة‌و السادس العشرين من شعبان

و بيانهـا نثرًا ثـانى عشـر من المحرم، عاشـر صـفر، رابع ربيع الأول، الثامن و العشـرين من ربيع الثانى و جمادى الأولى الثانى عشـر من جمادى الآخرة و رجب السادس و العشـرون من شـعبان الرابع و العشرون من رمضان ثانى شوال الثامن و العشرون من ذى القعدة ثامن ذى الحجة فحاذر إن كان ينفع الحذر و قلد فى ذاك من اختبر فلقد رأيت بخط بعض أكابر العلماء فائدة صـحيحة مجربة إذا انقضـت المدة لم تنفع العدة و لا يغنى الحذر من القدر.

و إذا المنية أنشبت أظفارهاألفيت كل تميمة لا تنفع

و ما أصدق ما قال:

إذا كنت ملحوظًا بعين سعادةفلا تخش يومًا من رجوع الكواكب

فإن الذى قد قدر الله سعده‌بعيد لعمرى من صروف النوائب

و على ذكر الشهر قال بعضهم:

لا تزر من تحب من كل شهرغير يوم و لا تزد عليه

إن رؤيا الهلال فى الشهر يومّاثم لا تنظر العيون إليه

و قال غيره :

إذا حققت ودا من صديقفزره و لا تخف منه ملالا

و كن كالشمس تطلع كل يومو لا تك فى مودته هلالا

و قال آخر:

إذا تخلفت عن صديقو لم يعاتبك فى التخلف

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۰۸ فلا تعد بعد ذلك لهفإنما وده تكلف

و ما أوقع ما قال:

(إذا ما اختلفت إلى صاحبو إن كان يدنيك من نفسه

فلا بد من ملل واقعتغير ما كان من أنسه)

و قال آخر:

إذا شئت أن تجفا فزر متواترّاو إن شئت أن تزداد حبّا فزره غبّا

فلا تهمل الرأى السديد و تقتفىتخيل و هم تلتقى بعده كربا

و من الألغاز اللطيفة فى السنة، ما شجرة فيها اثنا عشر غصنا فى كل غصن ستون ورقة منها ثلاثون سودا و ثلاثون بيضّا فى كل ورقتين خمس زهرات المراد من الشجرة السنة و غصونها الأشهر و الورق الأسود و الأبيض الليالى و الأيام و الزهرات الصلوات الخمس، و من الألغاز فى الليل و النهار:

ما اسود فى حضنه أبيضو أبيض فى حضنه أسود

ما افترقا قط و لا استجمعاكلاهما من ضده يولد

شهر المحرم و هو أول السنة القمرية، أقسم اللّه تعالى به فى خطابه و افتتح به سورة من كتابه فقال «و الفجر و ليال عشر قبل الفجر هو المحرم لأنه فجر العام و ليال عشر هى لياليه بل لآليه و من أدعيته اللهم إنك أنت الأبدى القديم و هذه سنة جديدة أسألك فيها العصمة من الشيطان و أوليائه و العون على هذه النفس الأمارة بالسوء و الاشتغال بما يقربنى إليك زلفى يا ذا الجلال و الإكرام.

تهن فقد و افاك شهر المحرمبكل حلال لم يكن بالمحرم

و لا زال ممن يلتقيك بكل ماتحب و حبل الوصل لم ينصرم

فى اليوم الأول من هذا الشهر الشريف أو الثانى منه وصول قافلة المدينة المنورة أعنى رجوع من حج من أهلها الدعاء فيكون بين الناس من التزاور و التماس الأدعية، و الهدايا كما يكون فى سائر البلدان إلا أن السيد بها يزور العبد فى مثل هذا اليوم و لا كذا لك الأكابر فى غير المدينة المنورة و ما أحسن ما قال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۰۹ لقد جئتم و تفضلتمو شرفتمونا بنقل القدم

و ليس بعار و لا منكرمجيء الموالى لبعض الخدم

و قلت جوابّا عنه:

لقد جئت نحوكم سادتىلأحظى بتقبيل موطى القدم

و أسعى إليكم على أعينىعلى أننى من أقل الخدم

و على ذكر الهدية قال من اختبر و حقق الخبر:

توق و حاذر من قبول هديةو إن جانا فيه الحديث المرغب

فقد حدثت بعد الرسول حوادث‌تحذرنا منها و عنها ترغب

و فى اليوم الخامس منه أو يختلف باختلاف الأحوال يكون وصول الراكب المصرى إلى المدينة الشريفة و بوصوله تتصل بسكانها الصدقات السلطانية و الصلاة الخاقانية و المرتبات المصرية فيتسلمها الحكام بصفة الخدام فى ملاء من الأكابر بمقتضى الدفاتر قال مفتى الحرمين قطب الدين الحنفى إن أهل الحرمين الشريفين ما شبعوا فى دولة من الدول مثلما شبعوا فى دولة آل عثمان خلد اللّه تعالى أيامهم إلى قيام الميزان و تمتاز أهل المدينة بما فضل عن أهل مكة مع هذا الركب من الأمتعة و الأشربة و يكون لهم موسم لطيف، و يكون للحجاج كمال البشارة بالسرور و الهناء و بلوغ الآمال و أهمها الزيارة.

تمام الحج أن تقف المطاياعلى ليلى و تقريها السلاما

فإذا حجوا و لم يقفوا بليلى‌فلست أرى لحجتهم تمامّا

و من محاسن هذا الركب أميره الذى يميره و هو مولانا الأمير رضوان بيك أعز اللّه تعالى ذاته و أطال و أطاب حياته فإنه عم بعدالته و إحسانه الركب و أهل الحرمين و قصة محاسنه إن شاء اللّه تعالى حالية على التنميق و المنن فاللّه تعالى يبقيه للمعالى و يجعله ذخرّا للفقراء و يقبل فيه أدعيتهم حتى بعناية اللّه تعالى غرة فى جبهة الأمراء أمين أمين لا أرض بواحدة حتى أضيف إليها ألف أمينّا، و فى الليلة الثانية من وصوله يقر المولد السلطانى فى صحن المسجد النبوى بحضرة أمير الركب و حكام المدينة و أغنيائها و يوقد الشمع و العنبر و يحرق الند و عود المجمر و تفرق أنواع السكر و الحلوى على من حضر ذلك المجلس الشريف و المحفل المنيف و فى اليوم الثالث غالبًا أو الرابع من دخول هذا الركب يكون رحيله إلى وطنه بالإمدادات النبوية و الصلاة المصطفوية.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۱۰

و يحكى أن بعض أشراف اليمن قدم المدينة المشرفة للزيارة فتوجه إلى الحضرة الشريفة و أنشد:

يا ليت شعرى إلى قبولو هل إلى السؤل لى وصول

(و هل لقصدى وجد سعى‌قد رضى الله و الرسول)

إلى أن قال:

إن قيل زرتم بما رجعتم‌يا أكرم الرسل ما نقول

فسمع الصوت من داخل الحجرة المعطرة يقول:

قولوا رجعنا بكل خيرو اجتمع الفرع و الأصول

و قال آخر:

بابه للنزيل غيث و غيث‌فيه يلقى مراده و مرامه

إن آتاه الفقير نال ثراءأو آتاه الغنى نال الكرامة

و قال:

و لاح فلاحى فى اطراحى ببابه‌و أيقنت أنى منه بالقصد راجع

فلا كان هذا آخر العهد بيننا‌و لا قطعنا عن حماه القواطع

و قال:

قف على الباب خاضعّاعند ضيق المناهج

فهو باب مجرب‌لقضاء الحوائج

و قال:

قفا نبك دارّا شط عنا مزارهاو انحلنا بعد البعاد أذكارها

كلها بالوهم فكرهى لناظرىو أكثر ما يفنى النفوس افتكارها

إذا أبعدت عنى منازل طيبةفلا وجدت روحى بجسمى قرارها

و إن غاب عن طرفى حماها و ربعهاقسر الحشا منى و صدرى دارها

فلا فقدت عينى منارة بلدةطول الليالى فى ذارها قصارها

و قال:

على ساكنى وادى العقيق تحيةمن المغرم المشتاق و الواله الصب

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۱۱ أقاموا و سرنا و الفؤاد لديهمو ما حال جسم فى الهوى سار عن قلب

و قال:

عليك سلام الله يا خير منزلبرزنا و ودعناه غير ذميم

فلا تكن الأيام فرقن بينافما أحد من ريبها بسليم

و قال رضى اللّه عنه:

إلهى لا تجعله آخر عهدناو لا تجعل اللهم رحلتنا طردا

و عجل لنا حسن الآيات تفضلاو سهل لنا صعب الأمور إذا اشتدا

و قال:

يا دار هل يقضى لنا برجوعو يعود لى يا عين طيب هجوعى

يا جيرة كاد المشوق بينهميقضى أسى فى حالة التوديع

قلبى ليوم فراقكم متوجعوا رحمتاه لقلبى الموجوع

فرقتم ما بين جفنى و الكرىو فصلتم بين الأسى و ضلوعى

جسمى معى و القلب بين خيامكمما ضركم لو كان ثم جميعى

و متى ذكرت ليال سلفت لنابالجزع فى روض و ظل ربوعى

كادت تذوب جوىّ حشاشة مهجتىلو لا يجود على فيض دموعى

و من فراقيات الفيومى:

استودع الله الحفيظ أحبةخلفتهم بين الأبيرق و النقا

فارقتهم حتى إذا ذقت النوىلم أدر كيف رضيت أن نتقدما

يا آمرى بالصبر بعد فراقهمإن الصبر بعدهم لا يلتقا

لا تذكر الصبر الجميل فإنهماتت محاسن وجهه و لك البقا

لم يبق لى بعد التفرق رغبةفى العيش لو لا أن من عاش التقا

سكنوا بقلب آنسوه و أوحشوالحظا جرى من بعدهم و تدفقا

هداك عندهم و ذاك محجبسبحان من كتب السعادة و الشقا

و قال آخر:

بكيت لفقد الأربع الخضير بعدهمعلى الرملة الفيحاء بالأدمع الحمر

و كيف بقا إنسان عينى و قد أتىعلى ذلك الإنسان حين من الدهر

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۱۲

و يتلوه الركب الشامى قافلا إلى وطنه فيقيم بالمدينة نحو عشرة أيام و ينزل بالمناخة الشامية فى شرقى سلع و ربما نزل بعضه بمناخة المصلى فيشرق به المراح و تعد لياليه من ليالى الأفراح و يعمر به المسجد النبوى و المعهد المصطفوى بالذكر و التلاوة و زيارة صاحب الهراوة.

و يطيب عيش ذوى المودة و الصفابالهاشمى المصطفى المختار

عاش المحرم و هو يوم الوفاء و ميقات الديون و يسمى يوم الزينة جمع اللّه على فضله الآراء و خصه بالتكريم و ختم به ميقات موسى الكليم و فى كتاب البركة فى السعى و الحركة.

و اختلف فى يوم عاشوراء فقيل: هو التاسع .

و قيل: هو العاشر و هو المشهور .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۱۳

و قيل هو الحادى عشر و فى الدرة اليتيمة و فى السنة الثانية من الهجرة أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بصيام عاشوراء و قال أنا أحق بموسى من اليهود ثم زوج عليّا فاطمة رضى اللّه تعالى عنها ثم أمر بالصلاة نحو الكعبة ثم نزلت فريضة الصوم فى شعبان فقاموا رمضان ثم صلى صلاة العيد و ضحى بكبشين و عن بعض السلف من صام يوم الزينة أدرك ما فاته من صيام سنته و من تصدق فيه أدرك ما فاته من صدقة السر قيل و ما حكى من ورود الأغتسال فيه و الاكتحال و مسح رؤوس الأيتام و الأطفال، فلا أصل لذلك من شريعة سيد الأنام كما نبه عليه العلماء الأعلام و فيه يوسع أهل المدينة فى معاشهم و يتهادون بالأطعمة و ذلك من السنن السنية.

و ما أحسن ما قال:

وسع على أهلك فى رزقهمو كن لما تملكه منفقا

فالمرء لا يرزق إلا علىمقدار ما وسع أو ضيقا

و فى غضون هذا الشهر يكون قدوم الركب العراقى (فينزل) فى مراحة و هو شمال العريض من شرقى المدينة و يكون له سوق هنالك و تعمر به هاتيك المسالك و بالجملة فإنه من المواسم المشهودة و الأيام المعدودة.

هنيت يا ذا العلا بشهر صفرمظفرا بالعد و أى ظفر

و دمت يا ذا النوال فى دعةيرعاك مولاك فى إقامة و سفر

شهر صفر الخير فى أوائله- يفرش المسجد النبوى و تخرج الربعات الشريفة من الحجرة المعطرة إلى الروضة المطهرة و يشرع العلماء فى إلقاء الدروس و من محاسن المدينة الشريفة أن أهلها لا يعنون بعلوم الفلسفة و الرياضة بل و لا كتب الكلام و الجدل إلا ما شذ من الأعاجم الواردة إليها من الآفاق و إنما همتهم فى الشرعيات و ما يحتاج إليه من العربية و كان يقال قل ما شئت فى؟؟؟ المتحبى بالفلسفة من الركاكة و الفسفسة و قلما يحرس مهجته من لا يخرس لهجته و كان يقال العلوم ثلاثة رئيسية و نفسية و خسيسة فأما الرئيسة فهى الشرعية كالفقه و الحديث و التفسير و ما فى معناها و أما النفسية فهى العربية و هى على ثلاثة عشر علما كما فى المنهل

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۱۴

الصافى و أما الخسيسة فهى علوم الفلسفة و قد فصلتها فى كتاب النصر و أنشدوا:

يا وحشة الإسلام من فرقةمشغلة أنفسها بالسفه

قد نبذت دين الهدى خلفهاو ادعت الحكمة و الفلسفة

و قال آخر:

اتق الله و الزم هدى دينهو بعدهما فاطلب الفلسفة

ودع عنك قومًا يعيبونهاففلسفة المرء قل السفه

نكتة: فى كتاب أخبار المأمون يروى أنه بعث إلى صاحب جزيرة قيرس يطلب منه خزينة (كتب) اليونان فجمع كبار دولته و استشارهم فقال رئيسهم الرأى عندى أن تبعث بها إليه فإن كتب الفلسفة ما دخلت على شريعة إلا أفسدتها فجهزها إليه فكان من أمرها ما اطربت له الأفهام و زلت بسببه الأقدام و أوقع فى مهاوى الكلام وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ .

و ما أحسن ما قال:

و إذا طلبت العلم فاعلم أنهحمل ثقيل فانتخب ما تحمل

و إذا علمت بأنه متفاضلفاشغل فؤادك بالذى هو أفضل

و قال آخر:

إذا ما اغتر ذو علم بعلمفعلم الفقه أولى باعتزاز

فكم عرف يفوح و لا كمسكو كم طير يطير و لا كباز

و قال:

و إذا أردت من العلوم أجلهافعليك بالقرآن و الاعراب

هذا لدينك إن أردت ديانةو هدى و ذاك لمنطق و خطاب

و قال:

إذا لم يكن مر السنين مترجماعن الفضل فى الإنسان سميته طفلا

و لا تنفع الأيام حين تعدهاو لم تستنفد علما يزين و لا فضلا

و قال:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۱۵ و فى (الجاهل قبل) الموت موت لأهلهفأجسامهم فى القبور قبور

و إن أمرأ لم يحيى بالعلم ميت و ليس له حتى النشور نشور

و قال بعضهم اطلب العلم فلان، يذم لك الزمان خير من أن يذم بك أخذه بعضهم فقال:

تجنيت أن تذم بك الليالىو حاول أن يذم لك الزمان

و لا تحفل إذا كملت ذاتاأصبت الغرام حصل الهوان

فذم الدهر للإنسان خيرمن الإنسان ذم به الأوان

و قال آخر:

إذا رأيت حكيما لا تجالسهخلاف حكمته جن و لا بشر

و هو الحكيم الذى فى نفسه ذلكو الشمس فى حجراه و القمر

فكن له خادما و الزم نصيحتهحتى تبين لك الآيات و السور

و قال:

العلم فى الرجل الحكيم زيادةو نقيضه فى الأحمق الطياش

مثل النهار يريد ابصار الورىنورّا و يعمى أعين الخفاش

و قال:

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدىو سيرته عدلا و أخلاقه حسنا

فبشره أن الله أولاه حسرةتغشيه حرمانّا و توسعه حزنّا

و قال:

فساد كبير عالم منهتكو أكبر منه جاهل متنسك

هما فتنة من العالمين عظيمةلمن بهما من دينه يتمسك

و قال:

و من كان علم النفس مما يسرهفإنى امرء يا طالما سانى علمى

و لم أر من الأشياء و الحظ شاهدبما ادعى شيئًا أضر من الفهم

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۱۶

نكتة: آخر كلام قاله الفخر الرازى فيما يروى عنه من هذا الباب:

الذى دلت عليه التجربةو تحرر من آخر الأمر

ان قدر الإنسان بالعلمو قدر العلم بالمال

و قد نظمته فقلت:

قيمة الإنسان بالعلم كماقيمة العلم بمال مسعد

فاسع فى تحصيل كل منهمافهما للمرء أهنى مورد

و قال بعض الأكابر:

صرفت زمانًا فى فنون جمعتهاو أفرغت جهدى و الجنون فنون

و لما تجلى الأمر و انكشف الغطاتبين لى أن الفنون جنون

و قال آخر:

صفاء العيش أن تلقى حكيمًاغذاه العلم و الفهم المصيب

فيكشف عنك حيرة كل جهلو فضل العلم يعرفه اللبيب

و قال:

إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجدلعلمك مخلوقا من الناس يقبله

و إن زانك العلم الذى قد حملتهوجدت له من يجتنيه و يحمله

لكل تربة غراسو لكل بناء أساس

نكتة:

و من حوى العلم ثم أودعهبجهله غير أصله عدمه

و كان كالمبتنى البناء إذاتم له ما أراد هدمه

و قال:

لا تناظر جاهلاأسندك الدهر إليه

إنما يهد له علمايعاديك عليه

و فى المغنى:

إذا جلست مع الرجال و أشرقتمن أفق باطنك المعانى الشرد

فاحذر مناظرة الجهول فربماتغتاض أنت و يستفيد و يجحد

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۱۷

و قال:

إذا لم يكن عالما بالسؤالفترك الخطاب به أسلم

و إن أنت شككت فيماسئلت فخير جوابك لا أعلم

و قال محمد بن بشر:

أما لواعى كل ما أسمعو أحفظ من ذاك ما أجمع

لكنت المحقق فيما يرىمن المشكلات و ما يسمع

و لكن نفسى إلى كل شىءمن العلم تسمعه تنزع

فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشبع

و من يك من علمه هكذافذلك بالقهقرى يرجع

إذا لم تكن حافظًا واعيًافجمعك للكتب لا ينفع

أتحضر بالجهل من مجلسو علمك فى الكتب مستودع

و قال غيره:

العلم زرع و التأمل ماؤهو الزمن أرض و المعلم زارع

و البحث فيه شمسه و سماؤهملقى الأفاضل و اختلاط نافع

و نموه بإفادة و نماؤهعمل إلى أعلى المراتب

و نفاق هذا العلم فى سوقالقبول تقى و إخلاص به و تواضع

ثم التفكير و الرياء و العجبآفات و كل للسعادة مانع

غريبة: من أخبار مصر يحكى عن بعض ملوكها ممن سلف انه عمل مدينة و عمل فيها صورة على عمود من رخام من اعتنقه لم يحتجب عن نظره شىء من الروحانية و سمع كلامهم و رأى عملهم و عمل على كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب و فى يده صحائف شتى كثيرة فى كل صحيفة علم من العلوم فمن أحب معرفة ذلك العلم وضع تلك الصحيفة على صدره فيرشح ذلك العلم فيه إلى أن يموت و عمل فيهما مرآة ترى منها الأقاليم السبعة.

فى الأرض آيات فلا تك منكراو عجائب الأشياء من آياته

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۱۸

و فى اليوم العاشر منه غالبا يكون قدوم المرزوقى. و هى عبارة عن تجار اليمن و هو موسم البهار و الطيب.

يهنيك شهر ربيع الأولفالسعد قد وافا و قد أقبل

و الله خولك السعود بهفاسعد بما أعطى و ما خول

شهر ربيع الأول فى أول ليلة جمعة منه يكون مولد الشيخ أحمد البدوى و له موكب مشهود. و فى الليلة الثانى عشر منه. يكون مولد النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه و شرف و كرم و مجد و عظم ، فيا له من نبى أشرف بظهوره فيه يوم الاثنين و استمد من نوره نور القمرين. قال العلامة ابن حجر: ولد عليه السلام يوم الاثنين بمكة ليلة ثمان من ربيع الأول عام الفيل عند أهل الحديث و التاريخ و الذى عليه الجمهور و هو الصحيح المشهور أنه لثنتى عشرة و عليه العمل.

فيا شهرًا كان لياليه لياليالعقودو يا وجهًا مشرقًا ما أشرفه من مولود

فسبحان من جعل حسنه حسنا بديعاو مولده للقلوب ربيعا

لنا لسان الحال منهو قول الحق يعذب للسميع

فوجهى و الزمان و شهر و ضغىربيع فى ربيع فى ربيع

و قال:

لقد بلغت بالهاشمى حليمةمقامًا علّا فى ذروة العز و المجد

و زادت مواشيها و أخصب ريعهاو قد عم هذا السعد كل بنى سعد

فأكرم به من مولود أشرقت الأرض بساطع نوره و صدقت و عود الأنبياء بظهوره، و أضاءت لمولده قصور الشام، و نكست لكرامته رؤوس الأصنام و انشق ايوان كسرى، و أذن بالانهزام و خمدت نار فارس و لم تكن تخمد منذ ألف عام و لم تجد ذات الطلق به بؤسا، و لا ولدته كغيره منكوسا بل خرج صلى اللّه تعالى و سلم عليه على يديه معتمدا، و بالملائكة المقربين معتضدا رافعًا طرفه إلى السماء، مشيرًا بإصبعه متبسمًا مقطوع السرة مختونًا و مباركًا على الأمة ميمونًا و لم تزل العناية ترشده و الحراسة

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۱۹

تسعده حتى جاءه الروح الأمين برسالة رب العالمين، فشمر عن ساق الجد و الاجتهاد، و جاهد فى اللّه حق الجهاد حتى تمم مكارم الأخلاق، و بين أحكام الدين يقينًا (و أنزل اللّه عز و جل عليه الكتاب المستقيم تبيانًا و تعليمًا و قال فيه) الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فأيام هذا الشهر مبتسمة الثغور، و لياليه مشرقة بالنور و الدعاء فيه مسموع و العمل الصالح فيه مقبول مرفوع.

قال ابن حجر: و إنما لم تكن الولادة فى يوم جمعة أو فى شهر رمضان لئلا يتوهم تشرفه عليه السلام بذلك الزمن الفاضل فجعل فى المفضول لتظهر به مزيته على الفاضل، و نظير ذلك دفنه بالمدينة المنورة دون مكة و القدس و ما أحسن ما قال:

حباك الله رب المشرقينجميع الحسن يا جد الحسين

لهذا قلت قولا غير ميسنو أحسن منك لم تر قط عينى

و أفضل منك لم تلد النساء منحت فصاحة النطق العذيبىو حسن الخلق من علام غيبه

و تملك الإله بغير ريبخلقت مبرء من كل عيب

كأنك قد خلقت كما تشاء و فى مثل هذا اليوم كانت وفاته عليه أفضل الصلاة و السلام و قيل فى اليوم الثامن و العشرين من صفر. و فى كتاب الليث العابس فى صدقات المجالس. توفى عليه الصلاة و السلام ضحى يوم الإثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة عن ثلاث و ستين سنة من عمره مبلغًا رسالات اللّه مجاهدًا لأعداء اللّه، و دفن ليلة الثلاثاء، و كانت مدة مرضه اثنا عشرة يومًا، و قيل أربعة عشر.

لطيفة: استخرج بعض أهل الأدب مدة عمره الشريف من لفظ بنىء بالهمزة فإن عدده بحساب الجمل ثلاثة و ستون. كما استخرجوا عدة الرسل من اسمه الكريم محمد.

و ذلك بطريق البسط لأن فيه ثلاث ميمات كل ميم بتسعين جملتها بمائتين و سبعين. و حا بتسعة أو عشرة باعتبار الهمزة ألفًا، و دالًا بخمسة و ثلاثين، فالجملة ثلثمائة و أربعة عشر أو خمسة عشر و ذلك عدد الرسل على الخلاف فيه. و فى الدرة الثمينة لما اشتد به عليه

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۲۰

الصلاة و السلام وجعه قال أهريقوا على من سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم .

و قال فى وجعه الذى قبض فيه: يا أيها الناس سعرت النار و أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم و إنى و اللّه ما تمسكون على بشىء إنى لم أحل إلا ما أحل القرآن، و لم أحرم إلا ما حرم القرآن، و كان يقول: إن للموت لسكرات اللهم اغفر لى و ارحمنى و ألحقنى بالرفيق الأعلى .

ربيع الآخر قد أقبلاسقيت فيه العارض المسبلا

فاهن به شهرًا شريفًا أتىباليمن و الإسعاد مستقبلا

شهر ربيع الثانى و فى الليلة الثانية عشر منه مولد السيدة فاطمة الزهراء رضى اللّه تعالى عنها- و اليوم الثانى عشر منه مولد الشيخ عبد القادر الكيلانى- قدس سره- و فى هذا الشهر و الذى قبله تكون عقود الأنكحة بالمدينة الشريفة أكثر منها بغيرهما.

بجمادى الأولى تهنى مليالابسا من علاك فيه حليا

دمت فيه و فى سواه رفيعًاكل يوم ترقى مكانًا عليا

شهر جمادى الأولى فيه يكون مولد الشيخ أحمد بن علوان- قدس سره- و فى اليوم الحادى و العشرين منه مولد الأقدس الأبر الشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۲۱

الحاتمى الطائى صاحب المنح و الفتوحات، و يعرف هذا الشهر فى المدينة باللأواء.

يهنيك يا رب الصفات الفاخرةبهلال خير جمادى الآخرة

و أراك ربك فيه ما تختارهو حباك فيه المعانى الزاخرة

شهر جمادى الآخرة:

و فى اليوم الثامن عشر منه مولد الشيخ أحمد الرفاعى و فى آخر خميس فيه يذهب كثير من الناس إلى زيارة السيد حمزة، و يعرف ذلك اليوم بخميس الفتح، و بتمام هذا الشهر ينحل اللأواء فى الغالب.

مهينا جاء فيما جاءكم رجبو مثلكم من تلقاه بما يجب

و لو سعى فوق آفاق السعود لكمهلاله لهناكم لم يكن عجب

شهر رجب الأصب. فى أول جمعة منه يكون مولد الشيخ بدر الدين العادلى و يقرأ المولد فى زاويته التى هى تجاه المدرسة الرسمية شرقى منهل الحارة و فى تلك الليلة يصلى صلاة الرغائب من يرى صحة خبرها، و فى الليلة الثانية عشر منه يكون زيارة السيد حمزة و هى جمعية عظيمة معدودة مشهورة تطلع أهل المدينة إلى وادى قناة بالخيام و يكون هنالك سوق لطيف و تكون عند الضريح تلاوة القرآن العظيم حتى الصباح، و يقرأ المولد الشريف فى مواضع متعددة، و بالجملة فإن هذه الجمعية لا نظير لها فى المدينة المنورة، و فى اليوم السادس عشر منه يقرأ مولد بمسجد سيدنا على بن أبى طالب- كرم اللّه وجهه-.

و فى اليوم الخامس و العشرين منه يكون قدوم قافلة الزوار من أهل مكة و أعمالها فيكون بهم موسم لطيف. و فى الليلة السابعة و العشرين منه و هى ليلة المعراج ليلة يفرق فيه كل أمر حكيم، و قد قال بأنها ليلة القدر رب خبير حكيم و كل الليالى ليلة القدر إن دنت كما أن أيام اللقاء يوم جمعة و يكون بالمسجد النبوى جمعية لطيفة و مولد حافل قيل و كان الإسراء من بين الحجر و الحطيم إلى بيت المقدس الشريف ثم أتى بالبراق و عرج به إلى السبع الطباق قال فى المواهب و إنما كان الإسراء ليلا للتخصيص بمقام المحبة لأن اللّه تعالى اتخذه حبيبًا و خليلا و الليل أخص زمان المحبين يجمعهما فيه، و الخلوة بالحبيب متحققة بالليل. انتهى.

و كم لظلام الليل عندى من يدتخبر أن المانوية تكذب

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۲۲

و قد قيل أن الإسراء كان فى شهر ربيع الأول، و قيل الآخر، و قيل فى شهر رمضان و قيل فى شوال و قال بعض الحفاظ لم يقم دليل معلوم على شهر معين و قد حصل الاتفاق على أنه كان فى السنة الثانية عشر من البعثة و هل كان مرة أو أكثر منامًا أو يقظة بروحه الشريف أم بروحه و جسده فيه خلاف بين الأمة و الذى عليه الجمهور أنه كان مرة يقظه بجسده الشريف و الإسراء متعدد و من أشعار المواهب.

سبحان من أسرى إليه بعبدهليرى الذى أخفاه من آياته

كحضوره فى غيبه و كشكرهفى صحوه و المحو فى إثباته

و يرى الذى عنه تكون سرهفى منعه إن شاءه و هباته

شعر:

تهن بشهر شعبان المباركفبالبركات و الحسنات زارك

تضاعف أجرك المقبول فيهو أعلى الله منه لنا منارك

شهر شعبان المكرم:

فى أول يوم منه يكون خروج قافلة الزوار من أهل مكة و أعمالها و فى الليلة الثانية عشر منه تكون بمساجد الفتح جمعية عظيمة لقراءة المولد الشريف إلى وقت الصباح و فى الليلة الخامس عشر منه و هى ليلة البراءة يقرأ بالمسجد النبوى مولد حافل و يحيى هذه الليلة بالذكر أهل الزوايا و بأنواع العبادة من وفق إليها.

و إذا حلت الهداية قلبانشطت للعبادة الأعضاء

قيل و أبهة هذه الليلة تظهر بالقدس الشريف.

مسئلة: يستحب إحياء ثلاثة عشر ليلة فى السنة و هى أول المحرم، و ليلة عاشوراء، (و أول جمعة من رجب و ليلة النصف منه) و ليلة سبع و عشرين منه و ليلة النصف من شعبان، و ليلتا العيدين و خمس ليال من شهر رمضان و هى أوتار ليالى العشر الأواخر حكاه ابن حجر، و لله در القائل:

إغتنم ركعتين زلفى إلى اللهإذا كنت فارغًا مستريحًا

و إذا ما هممت بالنطق بالباطلفاجعل مكانه التسبيحا

فاغتنام السكوت أفضل منلغو و إن كنت بالكلام فصيحا

و ليلة النصف من شعبان ليلة الحلوى فى أكثر البلدان، فإن الناس يطبخونها فى

تلك الليلة و يتطاعمون بها، و أهل الحرمين يخصونها بالمشبك و لها ذكر فى الشعر و قد كثر تشبيه المحبوب بهليل شعبان و الظاهر أن ذلك لتعلق الابصار به خوف دهمه شهر رمضان، فلذلك يسمى القصير فإن الناس يغتنمون فيه الاجتماع بالأحباب و التنزهات فى البساتين حتى قال بعض أهل المجون:

قل لشهر الصيام إنك لا شكعلينا من الشهور الطوال

صل علينا و طل و ثقل و بالغسترى ما يكون فى شوال

و ما أحسن ما قال:

شهر الصيام لقد كرمت نزيلاو نويت من بعد المقام رحيلا

فعليك ألف تحية منا فقدطبنا بوصلك مستمرا و مقيلا

و قيل: لأن اللّه تعالى خلق النور فى ثانى عشر شعبان و قيل و قيل و لم تستفد فى بحثنا طول عمرنا سوى أن حفظنا منه قيل و قالوا، و يسمى هذا الشهر شهر الكرامة و فيه يذهب الناس على اختلاف طبقاتهم إلى البساتين فيقيمون بها على قدرتهم و سعتهم فى الرزق و أنشدوا:

أقول لمن يمر بأرض نجدليظفر من رباها بالديار

تزود من شميم عرار نجدفما بعد العشية من عرار

و قل أيضًا لمغتنم صفاءعلى معنى يلوح لذى اعتبار

إذ العشرون من شعبان ولتفواصل شرب ليلك بالنهار

و لا تشرب بأقداح صغارفإن الوقت ضاق على الصغار

شعر:

نلت فى ذا الصيام ما تشتهيهو قال الإله ما تتقيه

أنت فى الناس مثل شهرك فىالأشهر بل مثله ليلة القدر فيه

شهر رمضان المعظم فيه يعمر المسجد بتلاوة القرآن العظيم ليلًا و نهارًا سرًا و جهارًا و تكثر قراءة كتب الحديث فيه كالشمائل و المصابيح و المشارق و صحيح البخارى.

و ما أحسن ما قال:

ما لذتى إلا رواية مسندقد قيدت بفصاحة الألفاظ

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۲۴ (و مجالس فيها على سكينةو مذاكرات معاشر الحفاظ)

و قال الشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى- (قدس اللّه تعالى سره العزيز) -.

العلم أشرف ما أوتيت من منحو الكشف أعظم منهاجًا و أوضحه

فإن سألت إله الخلق مسألةفاسأله كشفًا فإن الله يمنحه

و قال غيره:

العلم من طى الدفاتر فاترو العلم من نشر الدروس دريس

ما العلم إلا ما أتاك و لم يكنيدريه لا ملك و لا إبليس

و إذا كان الليل توقد الشموع و تقام صلاة التراويح بإمام حنفى و آخر شافعى فى المحرابين على سبيل التناوب، فيختم كل منهما الكتاب العزيز فى صلاة التراويح و يكون ختم الحنفى فى ليلة التاسع و العشرين و الشافعى فى ليلة السابع و العشرين و يكون لذلك الختم مجمع عظيم و مهيع كريم، و كل يجد منه بحسب حاله و بالجملة فلا يخلو أحد من إحسان هذا النبى الكريم و نواله .

على قدرك الصهباء تعطيك نشوةو لست على قدر السلاف تصاب

و لو أنها أعطتك يومًا يقدرهالضاقت بك الأكوان و هى رحاب

و ما أصدق ما قال:

كريم يهاب الدهر حرمة جارهو ما أحد فى المحل عن رفده ردا

هو الشمس لكن أرمدتنا يد الهوىو كيف ترى شمس الضحى مقلة رمدا

و أما الزوايا فإن أهلها بعد صلاة الجماعة يوقدون فيها القناديل و الشموع و يقرأ حادى قافية من الوترية و هى قصائد مخمسة مرتبة على حروف المعجم تشتمل على مدح النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه و كلما قرأ بيتًا منها بالألحان المصوغة المصنوعة قابله الجماعة بالصلاة على النبى بنغمة شجية تهتز لها الأعطاف ثم يصنع كذلك حادى اليسار فيقرأ بيتًا من الطرائفية و هى قصائد تعارض الوترية إلا أن بعضها غزل و بعضها مدح، فلا يزالون كذلك إلى وقت السحر ثم إنهم ينشدون و يعملون الموشحات و الأذكار اليمانية و يختمون فيحصل بذلك رفق بالسامعين و المنفردين الذين لا أهل لهم و لا أنيس و فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان يذهب المجاورون بالمدينة إلى مسجد قباء يزعمون

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۲۵

أن الاتيان إليه فى هذا اليوم بخصوصه و الصلاة فيه سنة و يذهب كثير من أهل المدينة معهم فى ذلك اليوم للزيارة بمقتضى داعية الجمعية و توقد قناديل المنابر من دخول وقت المغرب إلى طلوع الفجر الصادق اعلامًا بالوقتين لمن كان فى أطراف المدينة و من لم

يسمع الأذان و المنابر بها تسع منها خمس بالمسجد النبوى و أربع خارج السور.

تهن بشهر شوالو عش مسموع أقوال

و دم وابق لقصادو وفاد و سؤال

شهر شوال المبارك أول يوم منه عيد الفطر يجتمع الناس فيه لصلاة العيد فى المسجد النبوى ثم يذهبون إلى زيارة أهل بقيع الفرقد ثم يرجعون إلى أهاليهم و أصحابهم فيتزاورون إلى تمام اليوم الثالث و على ذكر العيد فما أحسن ما قال:

إن عيدّا بطيبة و صلاةبمصلى الرسول فى يوم عيد

نعم ضاق واسع الشكر عنهافهى بشرى لكل عيد سعيد

كم تمنيتها فنلت التمنىآخر لعمر من كان مكان بعيد

و إذا كان فى البقيع ضريحىو توسدت طيب ذاك الصعيد

فاشهدوا لى بكل خير و بشرعند ربى و مبدئى و معيدى

و لله در القائل:

قالوا غدّا العيد ما ذا أنت لابسهفقلت خلعة عبد قط ما جزعا

فقر و صبر هما ثوبان تحتهماقلب يرى ربه الأعياد و الجمعا

أحرى الملابس أن تلقى الحبيب بهايوم التزاور فى الثوب الذى خلعا

الدهر لى مأتم إن غبت يا أملىو العيد ما دمت لى مرائى و مستمعا

و فى اليوم الثانى عشر منه يجتمع خدام الحرم النبوى و يذهبون إلى مسجد قباء ثم يتفرقون فى البساتين فيقطعون قلوب النخل ليجعلوا منها المكانس التى يكنسون بها المسجد الشريف كما سيأتى فإذا كان وقت الأصيل نزلوا إلى المدينة مع حاشيتهم فى موكب عظيم و يبرز أكثر الناس إلى وادى بطحان للتفرج على موكبهم فى ذلك الميدان و التباشر بقدوم الحاج ثم إن الخدام من اليوم الثانى و العشرين منه إلى عاشر ذى القعدة الحرام يجتمعون فى صفة الخدام مع المنشدين فيجعلون فصلا من الموشحات و الأذكار اليمانية و الإنشادات التى أنفاسها رحمانية و صغار الخدام حول الصفة يصنعون المكانس و يقذفون الطيب على من يحضرهم من الخاصة و العامة.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۲۶ تهن بذى القعدةفقد أبدى لكم مبعده

فلا أخلفك الرحمنفى إنعامه وعده

شهر ذى القعدة الحرام فى اليوم السابع عشر منه يكون كنيس الحرم النبوى و هو يوم شريف يجتمع الناس فيه فى المسجد النبوى ثم يصعد القاضى و شيخ الحرم مع الخدام و الفراشين إلى سطح المسجد الشريف فيكنسونه و يرمون من دائرة فى صحن المسجد للفقراء و الأطفال التمر و الفتوت و هم ينادون العادة يا سادة ثم إنهم ينزلون إلى الروضة المطهرة فيرفعون ما فيها من المصاحف و الأجزاء التى داخل الحجرة المعطرة خوفّا عليها من هجم الحجاج ثم يرفعون البسط إلى الحواصل التى بالمسجد الشريف ثم يذهبون إلى البساتين و ما فى معناها و هو يوم معدود من الأعياد و عادات للسادات سادات العادات و ربما أنكر ذلك بعض الواردين إلى المدينة الشريفة من أصحاب الأغراض بل الأمراض الباطنية بشهادة أفعالهم الدنية و كيف يجوز الطعن على جيران سلطان الأنبياء فى سنة مشى عليها الأولون و لم ينكرها عليهم علمائهم و ما رآه المؤمنون حسنّا فهو عند اللّه حسن و لكنها الأهواء عمت و أعمت.

و لو أنها تمشى الهوينا عذرتهاو لكنها تمشى و تسرع فى الوحل

و فى اليوم السابع و العشرين منه يكون قدوم الركب الشامى و هو يوم معدود و موسم مشهود لا يبقى فى المدينة كبير و لا صغير و لا جليل و لا حقير حتى تشمله بركته و تعود عليه بخير حركته ثم إن أمين الصرة يأتى إلى المسجد النبوى بالأمانات الرومية فيفرقها على

أهاليها و يسلم الوظائف السلطانية إلى حكام المدينة السنية فتفرق على أصحابها و هم على هذه المنن و الصلات و الخيرات و الهبات منهم الضالع و منه الضليع و منه الناهض و منهم المقعد و لا يزال التقدير يضحك من التدبير و اللّه غالب على أمره و هو الواحد فى الكل المتصرف بحكمته فى مملكته كما يشاء ليس لك من الأمر شيء من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه و اللّه من ورائهم محيط.

نكتة:

قال بعض أهل المدينة:

أيام هذا الموسم ثلاثة، اليوم الأول يظهر برقيقة من رقائق قوله تعالى لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ و اليوم الثانى يظهر بسر قوله تعالى وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى و اليوم الثالث يظهر بلطيفة من لطائف قوله تعالى فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ.

و أما المجلوب إلى المدينة من فواكه الشام و كسوتها و تفاريقها فيعجز القلم عن

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۲۷

وصفه و به يظهر و بتسمية المدينة المنورة أكالة القرى و الحمد للّه على هذه الأنعام و اللّه تعالى يخلد هذه النعم بدوام أيام دولة آل عثمان إلى يوم القيامة.

وافاك ذو الحجة يا ذا الحجابكل ما يرجوا و ما تطلب

يهفو الذى ناداك بين الملاو كل من والاك لا يغلب

شهر ذى الحجة الحرام، بكسر الحاء أفصح من فتحها.

قال الراجز:

و فتح قاف قعدة قد صححواو كسر حاء حجة قد رجحوا

فى أول يوم منه يكون خروج قاصدى الحج من سكان المدينة المنورة ممن ساعدتهم الأيام و جنبتهم موجبات الملام.

و ما أحسن ما قال:

يا قاصدين حمى ليلى و قد ضمنتلقاصديها من الأيام أفراحا

إنا أقمنا على عجز و مسكنةو من أقام على عجز كمن راحا

و قال السراج عمر الأشهل الأنصارى:

للحج فضل و كل من عرفهيسعى على رأسه إلى عرفه

فقل لمن خيموا بسفح منىو خلفونا من بعدهم ضعفه

ليالى الصيف فى مدينتناتحكى ليالى منى و مزدلفه

و لله در القائل:

إذا زمزم الحادى بألحانسجعهم و سابقه ركب من الدمع فى خدى

صبغت مجمر من الجفن بعدهممن الرمل مبيضا لأرعى لهم عندى

مسئلة: هل تكون وقفة الجمعة بسبعين حجة؟

قال ابن القيم الجوزية: ليس لذلك أصل و لا رأينا نقلا فى ذلك لكن ينبغى أن تكون أفضل من غيرها كما إن يوم الجمعة أفضل من سائر الأيام كذا فى مناسك ابن زيد المالكى قاله صاحب زهر البساتين و قال الملا على القارى فى شرح لباب المناسك لوقفة الجمعة مزية على غيرها بسبعين درجة و قد ألفت فى هذه المسألة رسالة سميتها الحظ الأوفر فى الحج الأكبر.

و قال الحج لا يكفر شيئًا من المظالم المتعلقة بحقوق العباد بل يبقى على ذمته حتى يؤديها إلى أهلها أو يستحل منهم أو يكون تحت المشيئة.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۲۸

و فى شرح منية المصلى للحلبى: يؤخذ فى مقابلة دانق من مال الغير سبعمائة صلاة مقبولة.

و ما أحسن ما قال:

كن كيف شئت فإن الله ذو كرمو ما عليك إذا أذنبت من بأس

الإثنين فلا تقربهما أبدّاالشرك بالله و الإضرار للناس

و يرحم اللّه القائل:

من نال منى أو علقت بذمتهأبرأته لله شاكر منته

أنا لا أعوق مؤمنّا يوم الجزاءأنا لا أسوء محمدّا فى أمته

و الله لا طالب عبدّا عندهو لئن طلبت رجوت واسع رحمته

مسئلة: هل كان الحج واجبّا على من كان قبلنا أولّا فيه خلاف.

قال ابن الخليل: الصحيح أنه لم يجب إلا على هذه الأمة و أما مشروعيته فمستمرة من آدم عليه السلام بل قبله إلى آخر الدهر فحجة الأنبياء و الملائكة عليهم السلام كذا فى جمع المناسك و فى اليوم التاسع من ذى الحجة يجتمع الناس بالمسجد النبوى يتعرضون لنفحات اللّه تعالى و كان عليه الصلاة و السلام يقف فى مثل هذا اليوم بعرفات و هو موضع بقباء و قد تقدم ذكره.

و فى اليوم العاشر منه يكون العيد الأكبر فيكون فيه ما يكون فى عيد الفطر من التزاور و التطاعم بزيادة الأضاحى.

و ما أحسن ما قال:

تهن بعيد النحر و انحر به العدافلا زلت مسعودّا و لا زلت مسعدا

و لا زال ما تهواه منك مقربّاو كل الذى تشنأه عنك مبعدا

فائدة: فى كتاب البركة فى السعى و الحركة عن السلف.

صيام يوم من عشر ذى الحجةيعدل صيام سنة و ليلة

منها بليلة القدر.

و أنشدوا:

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۲۹ صم عشر ذى الحجة و ارغب إلىرب العلا فى الفوز بالجنة

فهو كما قد جاء لمن صامهفى عرصات الحشر كالجنة

تتميم: رأيت بخط بعض الفضلاء أن من كانت (له إلى اللّه تعالى) حاجة و أتى إلى قبر سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق و هو فى قبلى باب البقيع من داخل السور و ذلك فى اليوم العاشر من ذى الحجة فصلى ركعتين و قرأ الفاتحة و سورة الإخلاص بالإخلاص مائة مرة و صلى على النبى صلى اللّه تعالى و سلم عليه- و توسل إلى اللّه تعالى فى قضاء حاجته.

قضيت بعناية اللّه تعالى و كرمه و ما زال هذا الشهر يعرف فى المدينة المنورة باللأواء و ضيق الصدر و لم تزل فيه النفوس تترقب الأخبار إلى العشرين منه فيردها بعض أهل البركات من الحجاج ثم لا تزال تتصل القوافل و تدور أحكام الأيام كما يريد الملك العلام إلى أن يبلغ الكتاب أجله و اللّه سبحانه و تعالى أعلم و أما ما يتعلق بالسنة الشمسية و هى أربعة فصول.

فصول لأوقات الزمان جميعهابأربعة معتادة العود و الكر

ربيع و صيف مع خريف و بعدهشتاء إلى يوم القيامة و الحشر

الفصل الأول و هو فصل الربيع و هو ثلاثة بروج الأول برج الحمل و هو أول السنة البروجية و أول يوم منه يوم النوروز فيه يعتدل الزمان و يطيب الهواء و تنحسم مادة الأدواء و تتنسم نسمات الأسحار و تتبسم أنوار الأزهار و يسجع الأطيار على الأغصان، و تنشد

بلسان حال البستان:

هذا الربيع و هذه أنوارهطاب الزمان و أورقت أشجاره

فأطرب على صوت الهزارو غنى هذا هواك و هذه آثاره

و قال ابن تميم:

بعث الربيع رسالة بقدومهللروض فهو بوصله فرحان

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۳۰ و الطيب ما قرأ الهزاربشجوه مضمونها مالت به الأغصان

و قال غيره:

ضحك الروض من بكاء الغيومو حكى زهره لزهر النجوم

و قدوم الربيع أحيىالأراضى بآقاح تبسمت للقدوم

و لسان الطيور سبح لماشاهدت فى الحديث صنع القديم

و غصون الرياض مالتفى حلى الزهر ميل قد قويم

فاعتنق من صفاء عيشك غصنّاسوف تثنيه عنك أيدى الهموم

لطيفة: قال ابن غانم فى كتابه كشف الأسرار و اختلاف الهواء فى الفصول الأربع بما هو أصلح و أنفع فيهب فى الربيع شمالا فيلقح الأشجار و يعدل الليل و النهار و يهب فى الصيف صبا فينمى الأثمار (و يزهى الأشجار و يهب فى الخريف جنوبًا) فتأخذ كل ثمرة حد طيبها و تستوفى حق تركيبها و يهب فى الشتاء دبورًا فيخف عن كل شجرة حملها و يجف ورقها و يبقى أصلها فيه تنمى الثمار و تزهى الأشجار و تسلسل الأنهار و تستروح الأسرار.

ألم تر أن نسيم الصباله نفس نشره صاعد

فطورًا يفوح و طورًايسبق كما يفعل الواجد الفاقد

و سكب الغمام و ندب الحمام إذا ما انثنى الغصن المايد

و نور الصباح و نور الأقاح إذا هزه البارق الراعد

و وافى الربيع بمعنى بديعيترحمه ورده الوارد

و كل لأجلك مستنبط لمافيه نفعك يا جاحد

و فى كل شىء له آيةتدل على أنه الواحد

و كل لآلائه ذاكرمقر له شاكر حامد

و قال:

يا طيب ما نقل النسيملمسمعى عن نشر ذياك المحل الأرفع

هب النسيم صبًا ليبرد لوعتىفآثار نار تحرقى و توجعى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۳۱ ما ذاك إلا أنها لما سرتمرت على تلك الربا و الأربع

و أنت بوصف أحبتى فىطيبها فسكرت حتى لا أفيق و لا أعى

وافت تبشرنى بليلى أنهافى حسنها سفرت و لم تتبرقعى

و جلت على عشاقها فىحانها وجهًا تمنع فى حمى متمنع

و قال:

هبت لنا ريح شماليةأتت إلى القلب بأسباب

أدت رسالات الهوىبيّنا عرفتها من بين أصحابى

و قال:

يحدثنى النسيم عن الخذاماو يقرينى عن الشيخ السلاما

و يسرى تحت جنح الليل سرّافيوقظنى و قد هجع النداما

و أسكر من شذاه حين يسرىكأنى قد ترشفت المداما

أهيم بنشره طربّا و سكرّافيبدى البرق من طربى ابتساما

تمر على الرياض، رياضنجد فتنعطف الفصول له احتشاما

و يقلقن حمام الأيك نوحّاو يذكرنى بالمنازل و الخياما

خيامّا تجمع الأحباب فيهاو فيها يبلغ القلب المراما

تجلى وجه من أهواه فيهابحسن نوره يجلو الظلاما

فى العشرين من الحمل يكون طلوع الفرغ المؤخذ مع الفجر و فى الرابع عشر منه يتوسط مع الفجر أول الشولة و فى اليوم الحادى و العشرين منه يدخل نيسان و فى اليوم الحادى عشر من نيسان و هو أول الثور يكون عيد النصارى و أول الخماسين يوم الاثنين بعده و هى أثقل أيام السنة على الأجساد.

و الثانى: برج الثور فى اليوم الثانى منه يتوسط مع الفجر رابع الواردة و يتوسط راعى النعائم فى الرابع عشر و نير البلدة فى السابع عشر الثالث برج الجوزاء و ينتهى طول النهار و قصر الليل فى آخره و يتوسط شمالى سعد الذابح فى ثامنه و تطلع الثريا فى عاشره و نير بلغ فى سادس عشرة و نير سعد السعود حتى السابع و العشرين منه.

الفصل الثانى: فصل الصيف و هو ثلاثة بروج: الأول: برج السلطان و هو برج الانقلاب الصيفى و أبان الفواكه و الثمار و يتوسط فى عاشره وسط الأخبية و فى ثامن عشرة شمالى الفرغ المقدم.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۳۲

الثانى: برج الأسد و فيه يشتد الحر و فى أوله يتوسط شمالى الفرغ المؤخر و فى ثالث عشرة الرشا و فى الثانى و العشرين منه شمالى الشرطين الثالث برج السنبلة يتوسط نير البطين فى خامسها و فى ثامنها تطلع الجبهة و سهيل و إذا ناث سقطت الجمرة الأولى فى الهواء قال الصفدى فى تذكرته الجمار ثلاثة كواكب زاهرة تطلع فى آن واحدا بعد واحد فيكون بطلوعها أول البرد ثم تنحط فى سباط فيكون بسقوطها زواله و فى سابع عشر السنبلة يتوسط نير الثريا و فى الخامس و العشرين منها يتوسط نير الدبران و فيها تكثر السحب الفارغة و تجد النخيل.

الفصل الثالث: فصل الخريف و هو ثلاثة بروج برج الميزان و فيه يعتدل الزمان و يأخذ النهار فى النقصان و يسمى المهرجان و هو زمان زرع الحنطة و الشعير و طيب الهواء فى الروض النضير.

قال ابن الوكيل:

و كما جلا وجه الخريف محاسنّاو صفق ماء النهر إذ غرد القمرى

أتاه النسيم الرطب رقص دوحهفنقط وجه الروض بالذهب المصرى

و قال الحكيم:

إحذر أمن هذا الخريف فإنهمستعذب متلطف خطاف

يسرى إلى الأجساد فى عنق الدجىبلطافة و من اللطيف يخاف

فى الحادى عشر من الميزان تتوسط الهقعة مع ثانى النظوم و فى الخامس و العشرين منه يتوسط نير الهقعة الثانى برج العقرب يتوسط

فى عاشره أجر الزراع و فى الثالث و العشرين منه تتوسط النشرة الثالث برج القوس و هى نهاية الليل و غاية قصر النهار.

و فى ذلك يقول القائل:

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنهاو هجره النار يصلينى بها النارا

فالشمس بالقواس أضحت و هى نازلةإن لم يزرنى و بالجوزاء أن زارا

فى ثالثه يتوسط شمال الطرفو فى ثانى عشرة قلب الأسد

و جنونى جبهة الأسد و فىالثامن و العشرين تطلع منه الزبره

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۳۳

الفصل الرابع: فصل الشتاء و هو ثلاثة بروج الأول برج الجدى و هو أول الليالى و تسمى الأربعين و يبارى طوبه بحساب الزراعين أو هى فى النصف منه بحساب أهل التاريخ و فيها يشتد البرد و يحسن غرس الأشجار و الكروم و فيه يبدو الطلع.

و أنشد لنفسه قطب الدين الحنفى فى باب التورية:

توق من الشتاء و لا تخاطربنفسك قائلا إنى جليد

فرضنا أن جسمك من حديدفهل يقوى على البرد الحديد

يتوسط الطرف فى سابعه و زاوية العوافى ثالث عشرة و السماك فى آخره و تطلع التوله فى سادسه و من غريب الأخبار أن المال المدفون عند طلوعها لا يوجد إلا عند طلوعها .

ثانيًا: من العام القابل الثانى برج الدلو و هو قلب الشتاء و يبارى أمشيرًا و هو فى السادس العشر منه و هو برج الحصاد و فيه يحسن غرس النخل و البطيخ و يتوسط العقرب ثانى عشر.

الثالث: برج الحوت فيه تكثر الأهوية و فى الحادى عشر منه يطلع سعد السعود و يجرى الماء فى العود و يقال غرس النخيل فى الحوت من عمل أهل البخوت و يتوسط فى أوله شمالى الزبانا و فى رابع عشرة نير جبهة العقرب و فى الثالث و العشرين منه قلب العقرب و على هذا تدور الفصول.

أدام الله عزك فى سعودبها و بمجدك العالى تصول

و أفلاك السعادة دائراتبجاهك ما تعاقبت الفصول

مسئلة: إذا كان الفرقدان فوق الجدى فالمتوسط الزبانا فإذا كانا غربية فى محاذاته فالمتوسط سعد بلغ فإذا كانا تحته فالمتوسط البطين فإذا كانا شرقية فالمتوسط الطرف.

مسئلة: لسقط فى الماضى من أيام السنة القبطية ستة و قيل سبعة و من الباقى لكل منزلة من الزبدة ثلاثة عشر إلا منزلة آخر السنة فتسقط لها أربعة عشر فى البسيطة و خمسة عشر فى الكبيسة فالمنزلة الطالعة بالفجر حيث تنتهى و الغاربة الخامسة عشر منها .

قاعدة: يغيب القمر فى كل ليلة على مضى ستة أسباع ساعة من أول الشهر فإذا

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۳۴

كانت الليلة الخامسة عشر طلع على مضى ستة أسباع ساعة و هكذا إلى تمام الشهر وجه آخر يغرب القمر على مضى نصف سبع الليل من أول الشهر و فى الليلة الثانية على سبع و هكذا و يطلع ليلة الخامس عشر على نصف سبع و هكذا فإذا ضربت ماضى ليالى النصف الأول من الشهر فى أربعة و طرحت الخارج خمسة خمسة كانت كل خمسة ساعة مضت من الليل وقت غروب القمر إلى أربعة عشرة و هكذا تفعل بالماضية بعد ذلك و ما بقى أقل من خمسة فهو من أخماس ساعة.

قاعدة: زد على الماضى من السنة القبطية مائة و خمسة و سبعين يومًا و اطرح من المجموع لكل برج من الحمل ثلاثين فحيث تنتهى تكون درجة الشمس فإن زاد المجتمع على دور فاجعل لكل برج مما زاد واحد و ثلاثين و هكذا.

قاعدة: خذ للقبطى ما زاد على اثنين و تسعمائة من السنين العربية بالقبطية التى دخلت فيها و أسقط منه الازدلاف و هو أن تخرج السنة العربية و لا تدخل فيها سنة قبطية و زد على الباقى ألفًا و مائتين و ثلاثة عشر فما اجتمع فهو عدد السنين القبطية زد عليها خمسمائة و تسعين يحصل عدد سنتك السريانية التى تدخل فى طوبه من تلك السنة القبطية و عدد السنة الرومية التى تدخل فى طوبه من تلك السنة المفروضة و إذا أردت معرفة ما أنت فيه من الأشهر القبطية فاحسب ما مضى من السنة العربية شهرًا تامًا و شهرًا ناقصًا فما اجتمع زد عليه أس السنة القبطية و هو عبارة عن الماضى منها قبل دخول سنتك العربية فإن كان المجتمع أقل من سنة قبطية فاطرحه ثلاثين ثلاثين و ابدأ من نوت تنتهى إلى شهرك القبطى و إن كان المجتمع أكثر من سنة فاطرح سنة و افعل بالباقى كما تقدم.

قاعدة: الثالثة و الرابعة من السنين العربية و القبطية كبيسة و ما عدا ذلك سابط فائدة الكواكب ما عدا السمقة السيارة فى الفلك الثامن و يسمى المكوكب و أصغر كوكب يرى من الثوابت كالسها أكبر من زحل، و زحل مثل كرة الأرض إحدى و تسعين مرة و قطر الأرض سنة آلاف و خمسمائة و أربعة عشر ميلا كذا فى كتاب سر الفلك.

نكتة: قال بعضهم العالم كرة و الأرض نقطة و الأفلاك قسى و الليالى أوتار و الحوادث سهام و الإنسان هدف و اللّه الرامى فقروا إلى اللّه منه انتهى .

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۳۵

قال فى الفتوحات المكية:

إذا قلت يا مولاى قال لما تدعوو إن أنا لا أدعو يقول ألا تدعو

لقد فاز باللذات من كان أخرسّاو خصص بالراحات من لا له سمع

تتميم: لا ريب فى أن أهل المدينة المنورة من أسعد هذه الأمة بجوار سلطان الأنبياء و صدق التوسل به و الانتماء إليه صلى اللّه و سلم عليه و أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف على أن فى المدينة قومًا من أهاليها كأنهم لآليها تنازعوا درة بينهم و أوجبوا الرضيع الكأس ما يجب لا يحفظون على النشوان زلته و لا تريبك من أخلاقهم ريب.

شعر أوهم كما قال:

قوم هم فى الدجا للناس أقمارو هم لمن هجروا الأوطان أوطار

و أين حلوا يحل الخصب حومتهم كأنهم مثلما قد قيل أمطار

هم العيون فإن تبصر هدى فبهمو فى الهدى ليس بعد العين آثار

سلهم و سل عنهم إن كنت ذا وطرفعندهم لذوى الحاجات إيثار

و حل حلتهم تسعد فيهم غرب‌تحمى النزيل و لا يؤذى لهم جار

و انعم إذا كنت تهواهم بعيشتهمو أصحبهم إن تأت يومًا بك الدار

أو كما قال:

قوم بأحمد فى الأنام تمسكواو بتربة بين الكرام تمسكوا

و بحبه فى العالمين تهتكوابواديه حج لهم و تنسك

و لا يرتجون سواه فى مقصوديرجون أحمد عند غايات المنا

و به يزيلون المشقة و العنامتوسلين به يرومون الفنا

لله در قلوبهم لهم الهناخلوا به فى المنزل المسعود

الحب أبلاهم و أنحل جسمهمو المحق أفنى فى الحقيقة رسمهم

قد أدغموا فى حب أحمد إسمهم مذ صيروا داع المحبة رسمهم

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۳۶ فهم لأحمد من أقل عبيدقد أشربوا كأس المحبة مترعّا

فلذلك قد صرعوا فيا لك مصرعانالوا الفخار به و طابوا منبعّا

و زهت فروعهم لغصن أينعافهم بأحمد فى علا و صعود

متحققين بنوره فى قدسهمأحياء قد عاشوا به فى رمسهم

متطلعين لحسنه فى أنسهممتشرعين بفعله فى حسهم

خلفاؤه فى عزه و سعودوليهم الرحمن عنه نيابة

ملك الوجود عناية و مثابةنالوا بأحمد فى الأنام مهابة

نور تلبيه القلوب إجابةمهما دعا للعشق ود ودود

و أنشد لنفس العفيف التلمسانى قدس سره العزيز:

عندى بكم يا أهيل كاظمةأسرار وجد حديثها عجب

أرى بكم خاطرى يلاحظنىمن أين هذا الإخاء و النسب

و قال آخر:

ألا إن لى فى أرض طيبة جيرةشددت بهم مهما ضرا حادث أدرى

كرام إذا ألقى الزمان صروفهجعلتهم فى كل نايبة ذخرى

و ما أحدثت أبدى الزمان اساءةو وافيتهم إلا انتقمت من الدهر

إذا كان عمر المرء طيب حياتهفإن طريف المال كالواو فى عمرو

من أهل المدينة من رضى بالمقيل فى خمائل الخمول و جسم إلا عن الضروريات مادة المأمول فلا تراه إلا مجموعا فى ذاته ممتعا فى وجوده بلذاته فقد أثر الوحدة على الاجتماع و ضيق المعاش على الاتساع متمثلا فى هذا الحال بقول من قال:

إذا قنعت بقوتو لبس ثوب مرقع

و لم يكن لى عيالنفسى لهم تتفجع

و لا بنون صغارقلبى بهم يتقطع

و لا صديق صدوقفراقه أتوقع

و كأن لله نسكىفما بى الدهر يصنع

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۳۷

و قال آخر:

لله تحت قباب العزّ طائفةأخفاهم فى رداء الفقر إجلالا

هم السلاطين فى أطمار مسكنةاستعبدوا من ملوك الأرض إقبالا

غير ملابسهم شم معاطهمجروا على ملك الخضراء أذيالا

هذى المناقب لا ثوبان من عدنخبطا قميصا فعاد بعد أسمالا

يروى أن الرشيد ظفر من خزائن بنى أمية برقعة من الحرير الأخضر مكتوب فيها بالذهب الأحمر هذان البيتان:

إذا سد باب عنك من دون حاجةفدعه لأخرى ينفتح لك بابها

فإن قراب البطن يكفيك ملؤهو يكفيك سوآت الأمور اجتنابها

فقال:

و لا تك مبذالا لعرضك و اجتنب‌ركوب المعاصى يجتنبك عقابها

و سم بجميل العبر نفسك و اغتنم‌شريف المزايا لا يفتك ثوابها

تعش سالمّا و القول فيك مهذب‌كريم و قد هانت عليك صعابها

و تندرج الأيام و الكل ذاهب‌يمر و يفنى عذبها و عذابها

و ما الدهر إلا من يوم و ليلةو لا العمر إلا طيها و ذهابها

و قال آخر:

أخص الناس بالايمان عبدخفيف الحاد شيمته الوقار

له بالليل حظ من قيامو من صوم إذا جاء النهار

و فيه عفة و له خمول‌إليه بالأصابع لا يشار

تقل الباكيات عليه إن ماقضى نحبّا و ليس له يسار

فذاك قد نجا من كل همو لم تمسه يوم الحشر نار

و منهم المحسن و المؤثر على نفسه على ضيق الحال و شدة البأس و كان يقال:

ليس العطاء من الفضول سماحةحتى تجود و ما لديك قليل

و ما أوقع ما قال:

الناس اثنان فى زمانك ذاأن تبتغى غير دين لم تجد

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۳۸ هذا بخيل و عنده جدهو ذا جواد بغير ذات يد

و كان يقال: الكريم من إذا وهب لم يهب و كان يقال أجدنى أشتهى ما لا أجد و أجد ما لا أشتهى. و كان يقال جد بما تجد. و قال الحكيم:

إذا جاد عليك الزمانفجد فيه للناس و ابسط يداك

و إن أمسك الدهر عنك الغنىفنفسك دنها ودع من عداك

و قال:

الجود و جد فإن لم يأت عن سعةفذاك ضرب من التبذير و الكلف

فإن وجدت فلا تبخل و إن عدمت‌يداك فاحذر من الإملاق و التلف

و قال آخر:

إذا وصل الدهر أيدينا لمكرمةثم امتنعنا فلا نلنا آمالينا

أو عاند الدهر إذ بالفجر خصصنافالذنب للدهر كف الفجّر أيدينا

و قال:

رب حى لميت ليس فيهأمل يرتجى لنفع و ضر

و عظام تحت التراب و هى فى الأرض منها آثار حمد و شكر

و قال لسان الحال:

قوم مضوا كانت الدنيا تزان بهمو الدهر كالعيد و الأوقات أقوات

ماتوا و عشنا فعاشوا بعد موتهمو نحن فى صور الأحياء أموات

و منهم من يكتسب و تكون به الخصاصة التامة و الفاقة العامة، فلا تراه يشكوا مضرته و لا يقبل من أحد منته بل ينتظر الفرج من رفيع

الدرج و يستدين على آماله فى رحمة اللّه و نواله و كان يقال سعف النخيل خير من اسعاف الخليل.

و كان يقال:

لا تظهرن لعاذل أو عاذرحاليك فى السراء و الضراء

فلرحمة المتوجعين حرارةفى القلب مثل شماتة الأعداء

و كان يقال من الخطوب المدلهمة، عزة النفس و بعد الهمة و لا يصلح للإخاء غير أهل السخاء و كان يقال حسبك كسبك و لا يخلق الديباجة كالحاجة.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۳۹ توكل و لا تتكل و احتسبفما ذاك صد عن الإتكال

و إن اكتسابك فى نفسهبمحض اتكال على كل حال

قال بعضهم مضغ القيصوم و الشيح خير من النظر إلى الشحيح، و إنما الشهد من وراء الجهد، و الحر المحتاج إذا وقع فى اللجاج يتجزى بالبقل و يقنع به و إن قل.

الملح و الكرات أشهى عندنامن أكل مامولية بالسكر

و مشاهد الحرمين أعلى رتبةمن أن نقيم بدار ملك أكبر

و قال:

كسرة خبز و كف ملحو فرد ثوب مع السلامة

خير من العيش فى نعيمتكون من بعده ندامة

و قال:

نصف رغيف مشبع لمن أكلفالذل من أى الوجوه يحتمل

هون على نفسك فالدهر دولو الغاية الموت و إن طال الأمل

و قال:

مطيتنا للمنزل الرحب صبرناعلى الضيم إن النفع فى ذلك الصبر

و من يقتبس نار الكليم فشرطهو لا بد ترك الأهل بالطوع و بالجبر

و قال أبو حيان:

إذا المرء أضحى للمراد مطلقّاو حاز عنان النفس فهو موفق

و إن دام محجوبًا بأهل و موطنفلا شك فى بحر التساويف يغرق

على أن المطلوب من الدنيا سلامة الديباجة، و مفارقة ذل الحاجة، و إلا فقد جاء أن آدم عليه السلام كان زراعا، و صح أن سبعين نبيًا ماتوا جياعًا . و الحمد للّه الذى كرم بنى آدم بمزيتى العقل و التبيين، و خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين و من دعاء أمير المؤمنين على كرم اللّه وجهه اللهم صن وجهى باليسار، و لا تبذر جاهى بالاقتدار فاسترزق طالبى برزقك، و استعطف شرار خلقك، فامتحن بحمد من أعطانى، و افتتن بذم من منعنى، و أنت من وراء ذلك كله ولى الاعطاء و المنع إنك على كل شىء قدير يا نعم المولى و يا نعم النصير.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۴۰ يا رب لا تحينى إلى زمنأكون فيه كلّا على أحد

خذ بيدى قبل أن أقول لمنأراه عند القيام خذ بيدى

و من حسن التوسل:

إلهى قد مننت بكل خيرعلينا من مواهبك الجزيلة

و قد عودتنا لطفّا جميلافلا تقطع عوائدك الجميلة

و منه:

إلهى أنت تعلم أن ضعفىبعفوك من عذابك يستجير

و إنى يا غنيّا عن عذابىإلى أن لا تعذبنى فقير

و منهم المبتلى بأسنه الأسنة ، و اللّه أعلم بالسرائر، و كان يقال: لاـ سلامة من الناس و لا غنى عنهم؛ فاصحبهم على قدر الحاجة.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية ؛ ص ۲۴۰

ما أوقع ما قال الأمير على بن المغربى:

تجاف عن العتبى فما الذنب واحدوهب لصروف الدهر ما أنت واجد

إذا خانك الأدنى الذى أنت حزبهفلا عجبك إن أسلمتك الأباعد

فلا تشك أحداث الليالى إلى امرءفما الناس إلا حاسد و معاند

إذا وطن ساءتك أخلاق أهلهفدعه فما يغفى على الضيم ماجد

و بث حبال الوصل فمن تودهإذا لم يرد كل الذى أنت وارد

و قل لليالى كيفما شئتى فاصنعىفإن على الأقدار تأتى المكائد

و لا ترهب الخطب الجليل لهولهفطعم المنايا كيف ما ذقت واحد

(فياذا النهى كم ذا المقام على القذى) و فى العزم حاد للمطايا و قائد

فقم نحصد الأعمار أو نبلغ المنىنجد فللأعمار لا بد حاصد

فليس بصعاد إلى ذروة العلىنؤم تناديه العلى و هو راقد

و فى السعى عذر للفتى لو تعذرتعليه المساعى أو جفته المقاصد

خليلى كم لهوى الليالى و همتىتناولنى الجوزاء و الجد قاعد

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۴۱ و كم ذا أناجى همه دون همهانجوم الثريا و السها و الفراقد

و قال آخر:

لأجلك يا من شرف الله قدرهتجرعت كأس المر من معشر البلوى

و لو لا غرام لى بطيبة لم أكنأذل لمن يسوى و من لم يكن يسوى

و من أهل المدينة من ساعدته الأقدار، و لحظة الطالع السعيد، فجمع له بين الحسنتين و ادخل فى حيطة لا يسمعون حسيسها، و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء، و كان يقال:

إذا حلت العناية بقطر من الأقطارسكبت اللآلىء فيه الأمطار

إذا عرضت فالأهل منى أجانبو إن أقبلت فالأجنبى نسيب

و ما أصدق ما قال:

و إذا السعادة لاحظتك عيونهانم فالمخاوف كلهن أمان

و اصطد بها العنقاء فهى خبائلو اقتد بها الجوزاء فهى عنان

و الغالب على طباع أهل المدينة، محبة التنزه، و الاجتماع الخالى عن الكلف بحسب ما يقتضيه الحال، و ربما افصحوا عن حالهم بقول من قال:

إذا ما اجتمعا طاب بالأنس وقتناو طبنا بجمع بالأحبة سالم

و ما القصد إلا أن يكون اجتماعناو ما الأكل إلا من صفات البهائم

و قال آخر:

روح الروح براحات الأملو تعلل بعشى ثم لعل

ما تناهى الشيء إلا و انتهىو بدا النقص به حيث كمل

و قال:

و عنوان شأنى ما أبثك بعضهو ما تحته إظهاره فوق قدرتى

و يحسن إظهار التجلد للعدىو يقبح غير العجز عند الأحبة

و قال:

إذا كنت فى حالى صلاحك و الهوىرحيم ظنون الناس بالقيل و القال

فما الرأى إلا أن تكون بحالةترى النفس فيما تشتهى ذات إقبال

و من أهل المدينة من يرى ركوب البريد فى طلب الثريد و فيهم من هو أثبت فى

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۴۲

الدار من الجدار و أطفل من الليل على النهار، و فيهم من هو حرف جاء لمعنى فى غيره، و فيهم من هو من أفراد عموم لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا، و فيهم و اللّه واسع عليم.

لنا عتب على سلمان سلعو حاشى المازنية من عتاب

أنشد لنفسه السيد حسن بن شدقم الحسينى:

و ليس غريبًا من نأى عن دياره‌إذا كان ذا مال و ينسب للفضل

و إنى غريب بين سكان طيبةو إن كنت ذا مال و علم فى أهلى

و ليس ذهاب الروح يومًا منيةو لكن ذهاب الروح فى عدم الثكل

قال ابن فرحون فى تاريخ المدينة: و كان رؤساء المدينة يوالون المجاورين و يخدمونهم و يتقربون إلى خواطرهم بقضاء الحوائج، و الهدايا و الطرف مع حسن الاعتقاد فيهم، و التماس أدعيتهم و بركتهم.

قلت: الموجب لذلك عفة من كان يرد عليهم، و ما اشتملوا عليه من حسن السيرة، و صفاء السريرة، لا كأيامنا التى لا يرد علينا إلا المنهوم الذى لقطته افاقه، و تجافته رفاقه، فلا يلبث بها حتى ينازع أهلها فيما بأيديهم، و يطعن فى أعراضهم، و هو فى ناديهم، لا يعرف بهم حق التقدم و الجوار، و متى ما أمكنه الغدر أغار.

و لست على غيب أحيلك لا و لاعلى مستحيل موجب سلب حيلتى

و قال بعض العقلاء:

و ما عبر الإنسان عن فضل نفسه‌بمثل اعتراف الفضل فى كل فاضل

و ما أخس أن يرمى الفتىقذى النقص عنه بانتقاص الأفاضل

فترى الوداد اليوم، لا يزال فى لباس التلبيس، يجتذب مطالبه بمغناطيس التدليس إلا ما شد ممن رحم ربك و قليل ما هم (و المثل فى ذلك تغيير الشكل لأجل الأكل) و فى الغالب إنما تكون إساءات الغريب الوارد على المورد الذى ينهل منه (و اللّه سبحانه و تعالى أعلم).

و ما ضرنى إلا الذين عرفتهمجزى الله خيرًا كل من لست أعرف

و كان يقال: المصائب أثمار التجارب.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۴۳ (فيا ليتنى كالزند يكتم أمرهو إن كان فى أحشائه النار تضرم)

نكتة: جرت سنة الفعال لما يريد فى خلقه، إن كل بلدة فى الغالب تكون عونّا لغريبها حتى على سكانها، و على الخصوص المدينة المنورة، و كان المرحوم العلامة الشيخ إبراهيم بن أبى الحرم المدنى يقول: ليس من الرأى تعظيم الوارد إلى هذه الديار إلا بحسب ما يقتضيه الحال، فإنه بتعظيمه يطأ غيره، ثم يتمرد على معظمه فيطأه كذلك، و تكون إساءته عليه أكثر، و على الخصوص من لفظته القرى، و ألف النوال و القرى. و قد اتفق لى شيء من ذلك، فكتبت لبعض أصحابى فى خصوص هذا المعنى:

يا أهل طيبة لا زالت شمائلكم‌بلطفها فى الورى مأمونة العتب

لكن رعايتكم للغرب تحملهم‌على تجاوزهم للحد فى الأدب

فكان الجواب عن ذلك بلسان الحال:

مولاى إن صروف الدهر قد حكمتو أعوزت إن بذل الرأس للذنب

كم من مقبل كف لو تمكن من‌تقطيعها ما كان ممن فاز بالارب

و اختصر المعنى بعضهم قال:

كم من يد قبلتهافلو استطعت قطعتها

و قال آخر:

و إنى لمغرىّ بالتواضع مغرمو أنت ترى أن المعالى ديدنى

و من مذهبى أنى أذل لمطلبىو لا أتحامى قبلة من يدى دنى

لبعضهم و لقد أجاد فى المعنى:

؟؟؟ ذريتى و نفسى فى عفافى‌جعلت عفافى فى حياتى ديدنى

و أقطع من قطع اليدين على الفتى‌ضيعة بر نالها من يدى دنى

و بالجملة فإن أهل المدينة المنورة بعد الحاقهم الأسية هم أقرب الأمة إلى التجاوز و السماح، و أقرب الخلق إلى النجاة و النجاح، كيف و قد قال الصادق الذى لا ينطق عن الهوى: (جار الدار أحق بالشفعة)- و قال: (جار الدار أحق بدار الجار)، و قال: (جار

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۴۴

الدار أحق من غيره)، و للعموم فى الأقوال مجال عند الرجال، فتبا لمن ثلب لهم عرضّا و بعد المن أضمر لهم بغضا.

كيف و الجم الغفير منهم سلافة النداما، و إذا مروا باللغو مروا كرامّا، قال بعضهم ينبغى لمن أراد المجاورة بالمدينة المنورة أن يكون لين الأعطاف، هين الانعطاف، حافظا لحرمة مكانها. محافظّا على مراعات سكانها ، يشاركهم فى أنديتهم لا فى أغذيتهم و يزاحمهم فى أوقاتهم، لا فى أقواتهم، و يكتسب من أخلاقهم و لا من أرزاقهم و يقتبس من برهم، لا من برهم و يرغب فى حبهم، لا فى حبهم، مقتديّا فى هذا المقياس، و ازهد فيما عند الناس، و قال بعض العلماء، ينبغى لطالب سكنى المدينة، ألا يضيق على المحتاجين بسكنى الأربطة و المزاحمة على الصدقات و لا يسعى فى منع معروف و كان يقال:

يا ليت من يمنع المعروف يمنعه‌حتى يذوق رجال مثل ما صنعوا

و ليت رزق رجال مثل نايلهم‌قوت كقوت و وسع كالذى وسعوا

و قال آخر:

غدا توفى النفوس ما كسبتو يحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهمو إن أساءوا فبئسما صنعوا

و قال آخر:

إذا كنت مع ما فى يديك من الغنى‌من المال مزدادا يجد مدى الدهر

فكيف تلوم الطالبين و ربمايكون بهم ما لا علمت من الفقر

و قال:

لا تقطعن يد المعروف عن أحدما دام يمكن فالإمكان تارات

و اشكر فضيلة لطف الله إذ جعلتإليك لا لك عند الناس حاجات

خاتمة قال: فى المواهب اللدنية، روى البخارى من حديث أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه و سلم قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» أى ينضم و يلتجىء مع أنها أصل فى انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها فى جميع الأزمان لحبه صلى اللّه عليه و سلم فى ساكنيها فأكرم بسكانها و لو قيل فيهم ما قيل فقد حظوا بشرف المجاورة، و ثبت لهم حق الجوار، و إن عظمت إساءتهم فلا

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۴۵

يسلب عنهم اسم الجار و قد عم عليه الصلاة و السلام بقوله: «ما زال جبريل يوصينى بالجار» و لم يخص جار دون جار و كل ما احتج به محتج من رمى بعض عوامهم بالابتداع و ترك الاتباع فإنه إذا ثبت ذلك فى شخص منهم لا يترك إكرامه، و لا ينتقص احترامه، فإنه لا يخرج عن حكم الجار و لو جار، و لا يزول عنه شرف مساكنته فى الدار كيف ما دار ، بل يرجى أن يختم له بالحسنى، و يمنح بهذا القرب الصورى فرب المعنى.

فيا ساكنى أكناف طيبة كلكمإلى القلب من أجل الحبيب حبيب

قلت: و أنت ترى أن الملل و النحل على اختلافها، و تباين ائتلافها، لا يخلوا منها قطر من الأقطار و لا مصر من الأمصار و لا يزالون مختلفين إلا- من رحم ربك، و لذلك خلقهم، فمن فهم علة الخلق تنزه فى رياض الأفكار من وهم فى سنة الحق وقع فى مشاغب الانكار، و لأهل المظاهر مجال فى حكم الظاهر، و اللّه أعلم بالسرائر.

و من محاسن المدينة أن حديث أهلها و ذكر شمائلهم المعطرة.

مما يرقص رؤس الحكماء طربّاو يحرك نفوس العلماء عجبّا

أوصافهم تسرى أحاديثهامسرى النجوم الزهر فى الأفق

كما أحاديث الندى عنهميسندها الركبان من الطرف

قال العلامة ابن حجر: ينبغى أن ينظر إلى أهل المدينة بعين التعظيم، و رعاية التكريم و لا يبحث عن بواطنهم و لا عن طواهم لقوله تعالى: وَ لا تَجَسَّسُوا و يكل سرائرهم إلى اللّه تعالى، لأن الذنوب ما عدا الشرك تحت مشيئته يعذب من يشاء و يرحم من يشاء، و لا يطلع أحد على تعلق إرادته عز و جل فيحهم بجواره كيف ما كانوا أى على ارتكاب الذنوب الصغائر و الكبائر، فإن عظم الإساءة و لو فى الدار لا يسلب حرمة الجوار.

و أحبها و أحب منزلها الذىنزلت به و أحب أهل المنزلى

و قال فى الجوهر المنظم، و صرف ما يتصدق به إلى أهل المدينة أولى على أى حالة كانوا و ذلك لأن شرف الجوار الثابت لهم أوجب الأعراض عن مساوئهم، و النظر إلى حرمتهم و ما تشرفوا به من ذلك الجوار الأعظم، و لذلك كثر فى الأحاديث الصحيحة الدعاء منه صلى اللّه عليه و سلم لهم بالبركة، و على من قصدهم بسوء بأقبح النكال، ثم قال

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۴۶

و لقد استوفيت طرقا من ذلك فى كتابى الزواجر عن اقتراف الكبائر، و مهما يكن للمرء فى القول فسحه فنسبته للذنب من أعظم الذنب، و ما أوقع ما قال القاضى الفاضل:

أعجب ما فى العيون عندىاظهار ما تضمر القلوب

تأبى نفوس نفوس قومو ما لها عندها ذنوب

و تشتهى نفس نفوسّاو ما لها عندها نصيب

و من على آخر يجنىفحسنه عنده معيب

ما ذاك إلا لحكمة ماقدرها القادر الرقيب

و من مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت رحمه اللّه تعالى قال: كان له جار مسرف على نفسه، مدمن للخمر و كان كثيرًا ما يسمعه ينشد قول الشاعر:

أضاعونى و أى فتى أضاعواليوم كريهه و سداد ثغر

فاتفق أن الحرس صادفوه ليلا فى بعض الطرق فأخذوه و ذهبوا به إلى السجن فلما كان الصباح بلغته القصة، فركب إلى الأمير و لم يكن يركب إليه من قبل ثم أنه تشفع فيه، فأطلقه الأمير له، فلما أقبل عليه قال له: كيف رأيت هل أضعناك فكان سببًا لهدايته، و من أحسن ما يحكى أن رجلان كانا مع بعض الصالحين فمرا على جماعة يشربون و يغنون فقال الرجل يا سيدى ادع على هؤلاء المجاهرين بالمنكر فقال الشيخ نعم؛ ثم استقبل القبلة و قال اللهم كما فرحتهم فى الدنيا فرحهم فى الآخرة، فبهت الرجل، فلم يمض مدة حتى اهتدى كل منهم و حسن حاله و كان إلى طريق الخير مآلة، و عار على راعى الحمى و هو فى الحى إذا ضاع فى البيداء عقال بعير و ليكن ذلك آخر ما جرى به القلم من ذكر بعض محاسن المدينة المنورة و نشر لطائف هاتيك الأماكن الأمينة المعمرة و هى و إن كثر لقليل فى جانب شرفها الشامخ، و يسير مما كرمها اللّه تعالى (من جزيل فضله الراسخ، و لو تتبعنا ما شرفها اللّه تعالى به) من جليل المناقب، و منحها من جميل المواهب، لكلت دونه الأقلام و جفت المحابر و لما وسعت بعضه الدفاتر و الحمد للّه الذى شرف طابه و شوق القلوب لسماع أخبارها المستطابة، فهى الأرض التى هى فى الحقيقة السماء، و هى الروض التى من دونها المقام الاسما، أرض مشى جبريل فى عرصاتها، و اللّه شرف أرضها و سماها أرض سمت بمحمد و بآله، و اللّه رب العرش قد أسماها، اللهم اغننا فى التمسك بأهداب الآداب عن خيط باطل يعتمد حبلها الوهى، و ول أوجه قلوبنا شطرك ينطبع فى مرآتها صور الأشياء كما هى،

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۴۷

و لا تخزنا بمقال لا تقال فيه العثار، و مجال يتمحل له الأعذار و صل و سلم على رسولك الذى الزمت ربقه دينه الرقاب، و قرنت بطاعته و معصيته الثواب و العقاب، و جاره بقبول الشفاعة و بالوسيلة و المقام المحمود يوم الجزاء. و زد شمل أمته اجتماعًا ما اجتمع الكل من الأجزاء، يا من وجب لذاته وجوده، و عم جميع خلقه إثناء انعامه و جوده فصل و سلم على من أكرمتنا بجواره و أسكنتنا بفضلك فى ظلال سعة دياره مما بين روضه غنّا و غيضه حسنّا و منازل باهية باهرة و منازه زاهية زاهرة، و جيرة قد شقوا عصا الشقاق و تراضعوا فوائق الوفاق من ألف منهم أقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى و عم بكرمك جميع آله و أصحابه و مؤازريه و أحزابه ثم و الحمد للّه الذى بأمره جرى القلم على منوال ما اقتضته الحكم، و سلام على عباده الذى اصطفى، و حسبنا اللّه و كفى.

تم الكتاب و صلى اللّه على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تم تم، تمت مقابلته على حسب الطاقة من نسخة المؤلف فى ضحى يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر شوال المبارك من شهور سنة ۱۰۵۷.

استكتبها لنفسه الفقير محمد نعمة اللّه التمتام نقلا عن نسخة المؤلف.

و قال مؤلفه العالم العلامة و الحبر الفهامة مولانا و سيدنا السيد محمد كبريت الحسينى المدنى فرع من تنميق هذا المسطر مؤلف فى الأوائل شهر ربيع الآخر و تمت كتابة هذه النسخة يعنى نسخته فى أواخر شوال المبارك من تمام تاريخه سنة ثمان و أربعين و ألف.

الجواهر الثمينة فى محاسن المدنية، ص: ۲۴۸

الفهرس

ترجمة المؤلف ۳

وصف المخطوط ۴

مقدمة المؤلف ۱۱

المقالة الأولى ۲۹

باب فيما يتعلّق بالحجرة المعطرة ۵۲

ذكر نسب سيدنا و مولانا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ۹۷

باب فى ذكر المصلى و النقا و العقيق المؤذن بطيب اللقا ۱۱۸

باب فى ذكر سلع و مساجد الفتح و ما اشتمل عليه ذلك الفتح ۱۳۲

باب فى ذكر قبا و محاسن هاتيك الربا ۱۳۶

باب فى ذكر العالية ۱۵۸

باب فى ذكر أحد و مساجده و مشهده الشريف و معاهده ۱۸۵

باب فى ذكر الصدقة و السوافل و آبار العريض الكثير النوافل ۱۹۰

باب فى ذكر بقيع الغرقد و معاهده، و قراراته و مشاهده ۱۹۳

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم

الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹